

على بن أبي طالب رضوعنه الله

بين الإنصاف والجحود

رمضان أحمد عبد ربه عبصفور  
كبير الأئمة بوزارة الأوقاف

مكتبة وهيب

٤ اشاع الجمهورية. عابدين  
القاهرة - تلفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

حقوق الطبع محفوظة

### تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأى وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أى نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف.

**All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher.**

## إهداء

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

[الأحزاب : ٣٣]

« على مع القرآن ، والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض »

[أخرجه الطبراني والحاكم والسيوطي]

« إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة : علي وعمار وسلمان »

[رواه الترمذي والحاكم]

[رواه الترمذي]

« لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن »

قيل تشقى بحب آل النبي قلت هذا كلام غاو غبي  
فاز كلب بحب أصحاب كهف فكيف يشقى محب آل النبي

#### سيدي يا رسول الله

- هذا السفر عن علي : صاحب القبول الجلي .
- قدوة العالم والسالك والولي .
- المجاهد الصابر والجواد السخي .
- العابد الزاهد والمؤمن التقى .
- أهديكموه حبا في الله . والنبي .
- عليكم الصلاة والسلام والآل والصاحب الوفي .
- واشفع في عبد هائم في حبكم : أيها النبي .

## ( يهلك فى الإمام إثنان )

روى النسائى بسنده عن على كرم الله وجهه قال : قال رسول

الله ﷺ :

« يا على : فىك من عيسى مثل . أبغضته يهود حتى بهتوا

أمه . وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذى ليس فيه » .

[ ورواه الحاكم وصححه فى المستدرک . ورواه البخارى فى التاريخ ]

## مقدمة

- الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين . ولا عدوان إلا على الظالمين .  
أحمده وأستعينه وأستهديه وأستغفره من الذنوب والآثام .
- والصلاة والسلام على نبي الهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
- ورضى الله عن صحابته الكرام البررة . مصابيح الهدى . وزوجاته أمهات المؤمنين الطاهرات العفيفات . والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .
- وبعد : لقد طلب منى منذ أربع سنوات أن أصنف مؤلفا عن سيدنا الإمام الشهيد أبي الشهداء أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه . فقلت لصاحبي : إن الكتابة عن هذا الصحابي الجليل . أمر صعب وبضاعتي متواضعة . وعشت هذه السنوات الأربع وأنا أقدم رجلا وأرجع الأخرى . لأن الإمام رضى الله عنه لم يكن رجلا عاديا يسهل التعامل مع مسيرته الإيمانية فهو أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة المبشرين بالجنة . كما أنه رجل يحب الله تعالى ورسوله ﷺ ويحبه الله عز وجل ورسوله ﷺ . تربى فى بيت النبوة منذ نعومه أظفاره . أسبق الناس تصديقا وإيمانا . وأقواهم حجة وأوسعهم علما وأقواهم رأيا . وأمضاهم عزما . وأرجحهم قضاء وفتيا . وأشجعهم قتالا وفتوة . وأعظمهم فداء وألينهم عريكة . وأوسعهم صدرا وأكثرهم صبورا . عفيف طاهر، زاهد ورع . جواد كريم . سمح حلیم وقد كان مع عظمته وقوته سهلا لينا متواضعا .
- له عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلة رفيعة، وعند صحابته الكرام قدر كبير ومكانة عالية أحبه كل من حوله . وأجله كل من عرفه . هلك بمحبته شيعة . وضاع كل من بالعداء ناصبه .
- ونجا بمحبته كل من آمن بحبيبه ﷺ واهتدى . وعرف حدود الله وأتقى واقتدى، إنه الإمام على رضى الله عنه الذى تعارضت فيه الروايات عند المؤرخين

والباحثين . فالكثير من مرويات المؤرخين فيها أثر الصنعة وخصوصا ما جاء عن طريق الشيعة والخوارج ولم تُبحث ولم تُقيّم ووُضعت بالكتب والمراجع هكذا كما تلقوها من البدو والعربان من الغالين والقالين .

لذلك عانيت كثيرا من كبريات كتب التاريخ للمسعودى والطبرى وابن قتبية وبعض المؤلفين المحدثين وخاصة المتشيعين . والأمر جد خطير ويحتاج إلى جهد كبير . وهذا الذى بين يديك يا أخى هو جهد المقل أرجو أن أكون قد وفقت ولو بقدر ضئيل . فالنية مخلصه والجهد صادق والغاية سامية والعمل متواضع . فإن أكن قد وُفقت فما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . وإن كان غير ذلك فأرجو الله تعالى العفو والمغفرة . إنه هو الغفور الرحيم .

أخى القارئ هذا الذى بين يديك هو كتاب : على بن أبى طالب بين الإنصاف والجحود .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أشكر كل من قدم لى يد المعونة بإبداء الرأى أو تقديم بعض المراجع والوثائق التاريخية وخصوصا الأخوين الكريمين : محمد عبد الوهاب فايد ، ومحمد هاشم جزاهما الله خيرا .

أما الأخ الفاضل الحاج وهبة حسن وهبة - فله شكر خاص لتعاونه الصادق فى إخراج هذا الكتاب ومن سبقه جزاه الله عنا خيرا . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

## المؤلف

رمضان احمد عبد ربه عصفور

كبير الأئمة بوزارة الأوقاف

القاهرة (حدائق القبة)

فى التاسع من ذى الحجة ١٤٢٢ هـ

٢١ من فبراير ٢٠٠٢ م

## فضل الصحابة رضى الله عنهم

تعريف الصحابي (١):

لقد ذكر علماء الحديث وعلماء الأصول عدة تعاريف للصحابي . وأصح هذه التعاريف وأشملها هو: ما ذكره الحافظان: العراقي وابن حجر العسقلاني رحمهما الله تعالى:

وهو: أن الصحابي هو: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به . ومات على لإسلام فيدخل في هذا التعريف: من طالت مجالسته للنبي ﷺ أو قصرت . ومن روى عنه ﷺ أو لم يرو عنه . ومن غزا معه ﷺ أو لم يغزُ معه . وكل مكلف من الجن والإنس . أما الملائكة ففيه خلاف .

وكذلك من أسلم ثم ارتد ثم عاد للإسلام قبل وفاة النبي ﷺ . ويخرج من هذا التعريف: من لقيه ﷺ - كافرًا به - ولو أسلم بعد وفاة النبي ﷺ لأنه لم يجتمع به وهو مسلم . وكذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى لو أسلموا بعد وفاته ﷺ .

وكذلك من أسلم ثم ارتد عن الإسلام ومات على ردة، وهؤلاء كانوا قلة كعبد الله بن خطل وربيعة بن أمية بن خلف، ورجل من الأنصار كان من كتاب الوحي . ثم ارتد فمات فلفظته الأرض فهذا التعريف بمحترزاته هو الصحيح المختار عند المحققين كالبخارى وأحمد بن حنبل ومن تبعهما .

وقال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر عدة تعاريف للصحابي:

---

(١) راجع الإصابة لابن حجر والاستيعاب لابن عبد البر «فضائل الصحابة الكرام» الخليل

العزامي .

وفصل الخطاب فى هذا الباب : أن الصحبة إذا أطلقت فهى فى المتعارف تنقسم إلى قسمين :

أحدهما : أن يكون الصاحب معاشرًا . مخالطًا . كثير الصحبة . فيقال : هذا صاحب فلان . كما يقال : خادمه . لمن تكررت خدمته . لا لمن خدمه يوما أو ساعة .

والثانى : أن يكون صاحبًا فى مجالسة أو ممشاة ، ولو ساعة . فحقيقة الصحبة موجودة فى حقه وإن لم يشتهر بها . أ . هـ .

ثم ذكر ابن الجوزى : أن عموم العلماء على القول الثانى . وأنهم عدوا فى الصحابة من لم يغز معه ومن توفى رسول الله ﷺ . وهو صغير السن ، ومن وفد عليه ﷺ ولو مرة .. وهكذا .

ويترتب على هذا : صحة القول برجحان رتبة من لازمه ﷺ وقاتل معه . أو قتل تحت رايته ﷺ على من لم يلازمه أو لم يحضر معه إلا مشهدًا ، وإن كان شرف الصحبة حاصلًا للجميع ، كما قرره الحافظ ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى وغيره .

### ثبوت الصحبة :

وذكر أهل العلم بالحديث والأصوليون أن شرف الصحبة يثبت للشخص بأمر خمسة ؛ وهى :

أولًا : أن يثبت ذلك بطريق التواتر بأنه صحابى . كالعشرة المبشرين بالجنة ونحوهم رضى الله عنهم .

ثانيًا : بالاستفادة والشهرة التى لم تبلغ حد التواتر كضمام بن ثعلبة وعكاشة بن محصن ونحوهما .

ثالثًا : بشهادة صحابى معروف الصحبة . كشهادة أبى موسى الأشعرى لجممة بن أبى حمم الدوسى الذى مات بأصبهان مطونًا . فحكم له بالشهادة .

رابعاً: أن يخبر عنه آحاد التابعين الثقات بأنه صحابي، وهو رأى ابن حجر رحمه الله.

خامساً: أن يقر الشخص على نفسه بأنه صحابي فيقبل قوله بشرطين:

١ - أن يكون ثابت العدالة - كما جزم به الأمدى وغيره.

٢ - المعاصرة: فيعتبر ذلك بمضي مائة سنة وعشرين سنة من هجرة النبي ﷺ وذلك لما رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاء في آخر حياته. فلما سلم. قال: «أرايتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد».

زاد مسلم من حديث جابر رضی الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول - قبل أن يموت بشهر - «أقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ».

وذكر ابن حجر رحمه الله تعالى ضابطاً يستفاد منه صحبة جمع كثير. قال:

- كانوا لا يؤمرون في المغازي إلا الصحابة. فمن تتبع الأخبار الواردة في الردة والفتوح وجد من ذلك شيئا كثيرا.

- كانوا لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي ﷺ فدعا له. وهذا يؤخذ منه شيء كثير جدا أيضا.

- لم يبق بمكة والطائف أحد سنة عشر إلا أسلم وشهد حجة الوداع ..  
١. هـ. [الإصابة: ١/٩، ١٠] إن آخر من مات من الصحابة على الإطلاق هو:

أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي رضی الله عنه بمكة (١١٠ هـ) كما جزم به غير واحد وصححه الذهبي.

وآخر من مات بالمدينة : محمود بن الربيع وقيل سهل بن سعد الساعدي  
رضي الله عنهما .

وآخر من مات في الكوفة : عبد الله بن أبي أوفى وقيل : عمرو بن حريث -  
رضي الله عنهما .

وآخر من مات في الشام : عبد الله بن بسر المازني رضي الله عنه .

وآخر من مات بالبصرة : أنس بن مالك رضي الله عنه .

وآخر من مات في مصر : عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه .

وآخر من مات في اليمامة : الهرماس بن زياد الباهلي رضي الله عنه .

وأما عدد الصحابة فليس له ضابط يحصيهم لكثرتهم . وقد روى عن أبي  
زرعة الرازي رحمه الله قال : قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا  
من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه ورآه من رجل وامرأة .

ولكن ابن حجر في الإصابة يقول : ( لم يحصل لنا من ذلك جميعا الوقوف  
على العشر من أسامي الصحابة بالنسبة لما جاء عن أبي زرعة الرازي )

وأجمع علماء أهل السنة على : أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ثم باقى العشرة  
ثم أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية ، والسابقون الأولون من  
المهاجرين والأنصار أفضل ممن جاء بعدهم والله أعلم .

\* \* \*

## فضل الصحابة فى القرآن الكريم والسنة الشريفة

لقد ورد فى القرآن الكريم آيات كثيرة تبلغ مائة وسبعين آية فى ست وعشرين سورة تقريبا منها الخاص بعموم الصحابة (٩٣ آية) ومنها الخاص بالمهاجرين والأنصار (٢٩ آية) ومنها الخاص ببعض الصحابة (٤٥ آية).

وردت هذه الآيات فى مدح الصحابة رضى الله عنهم. والثناء عليهم وبيان فضلهم وشرفهم وبيان صفاتهم وعلو مقامهم ورفع شأنهم ومكانتهم مهاجرين وأنصارا.

فهذه الآيات تصرح بكمال إيمانهم وصدقهم ورضاه سبحانه وتعالى عنهم ورضاهم عن الله عز وجل وتوبتهم وتوبة الله عليهم وغفرانه لهم وتأليفه بين قلوبهم ونشر المحبة والمودة والألفة فيما بينهم. مبينا ما لهم من الفلاح والفوز بنعيم الله تعالى ورضوانه. وما وعدهم به من النصر والتأييد والفتح والتمكين ، وما أمدهم به من أمداد السماء وما خصهم به من ولايته لهم. وما أيد به نبيه المصطفى ﷺ.

وسندكر بعض الآيات المنزلة فى فضل الصحابة الكرام لنسترشد بها. والله يهدى من يشاء ويؤتى فضله من يشاء. لأنه ذو الفضل العظيم والهادى إلى الصراط المستقيم.

(١) قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا \* وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨، ١٩]

(٢) قال الله عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ

شَطَاهُ فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ  
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [الفتح: ٢٩]

(٣) قال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ  
أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَكَيْتُمْ  
مُدْبِرِينَ \* ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا  
وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿ [التوبة: ٢٥، ٢٦]

(٤) قال الله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ  
آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا  
غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ \* لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا  
مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا  
حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا  
وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿ [البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦]

(٥) قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي  
أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ \* وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا  
أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ [الانفال: ٦٢، ٦٣]

(٦) قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ  
وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَّتِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَّتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ [التوبة: ٨٨، ٨٩]

(٧) قال الله عز وجل: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ  
أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ  
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿ [الحديد: ١٠]

( ٨ ) قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ \* وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿ [الحشر: ٨ - ١٠ ]

وهكذا يبين لنا المولى عز وجل آثار نعمته على الصحب الكرام . ووصفهم بالإيمان الصادق والجهاد فى سبيل الله باموالهم وانفسهم نصراً لله ولرسوله ﷺ وانهم يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة لذلك هم كلهم مهاجرون وانصار قد رضى الله عنهم ورضوا عنه فاعد لهم من النعيم المقيم فى جنات الخلد ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وقد ورد فى السنة الشريفة احاديث كثيرة . عن النبى ﷺ تبين فضلهم ومنزلتهم وتشيد بمكانتهم ورفعة قدرهم عند الله تعالى ونبيه ﷺ وتبين صفاتهم وحليتهم وتشهد بعدالتهم وجميل خصالهم . نذكر منها :

( ١ ) روى البخارى عن ابنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بعثت من خير قرون بنى آدم . قرنا فقرنا . حتى كنت من القرن الذى كنت منه » .

( ٢ ) وروى البخارى ومسلم عن عمران بن حصير رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال : « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم قال عمران : لا ادرى اذكر بعد قرنه : قرنين او ثلاثة - ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » .  
 زاد مسلم : ( ويحلفون ولا يستحلفون ) .

( ٣ ) روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء . قال : فجلسنا فخرج علينا . فقال : « ما زلتم ههنا » قلنا : نعم يا رسول الله . صلينا معك المغرب ثم قلنا : نجلس حتى نصلى معك العشاء . قال : « أحسنتم - أو أصبتم » قال : فرفع رأسه إلى السماء - وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال : « النجوم أمانة للسماء . فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد . وأنا أمانة لأصحابي . فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون . وأصحابي أمانة لأمتي . فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » .

( ٤ ) روى الخطيب البغدادي في الكفاية عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبو أصحابي ، فوالذي نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا . ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » .

( ٥ ) وروى أيضا من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحدكم فى تركه . فإن لم يكن كتاب الله فسنة منى ماضية ، فإن لم يكن سنة منى ماضية فما قال أصحابي . إن أصحابي بمنزلة النجوم فى السماء فأيما أخذتم به اهتديتم . واختلاف أصحابي لكم رحمة » .

( ٦ ) وروى أيضا من حديث سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدى فأوحى الله إلى : يا محمد . إن أصحابك عندى بمنزلة النجوم فى السماء . بعضها أضوأ من بعض . فمن أخذ بشئ ممن هم عليه من اختلافهم فهو عندى على هدى » .

( ٧ ) وروى الإمام الشافعى بسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اختارنى . واختار أصحابي . فجعلهم أصهارى وجعلهم أنصارى وإنه سيجئ فى آخر الزمان قوم يتنقصونهم . إلا فلا

تناكحونهم . الا فلا تنكحوا إليهم .. الا فلا تصلوا معهم . الا فلا تصلوا عليهم .  
عليهم حلت اللعنة .

يقول الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية (١) :

« عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن .. ثم يقول: والأخبار في هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما في نص القرآن وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة . والقطع على تعديلهم ونزاهتهم . فلا يحتاج أحد منهم – مع تعديل الله تعالى لهم . المطع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له .. على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شئ مما ذكرناه . لأوجبت الحال التي كانوا عليها – من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد . والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين – القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين . الذين يجيئون من بعدهم أبد الأبدين » ثم قال : أخبرنا أبو منصور : محمد بن عيسى الهمداني حدثنا صالح بن أحمد الحافظ قال : سمعت أبا جعفر : أحمد بن عبد الله يقول : سمعت محمد بن سليمان التستري يقول : سمعت أبا زرعة يقول : « إذا رأيتم الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق . لأن الرسول ﷺ عندنا حق . والقرآن حق . وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله – ﷺ – وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى ، وهم « زنادقة » .

ثم يقول البغدادي : وأبو زرعة الذى أعلن زندقة من ينتقص أحدا من الصحابة هو : عبيد الله بن عبد الكريم الرازى من موالى بنى مخزوم . كان أحد الأئمة الأعلام . قال عنه الإمام أحمد : ما جاز الجسر أحفظ من أبى زرعة .

وقال الإمام أبو حاتم : إن أبا زرعة ما خلف بعده مثله . توفى سنة ٢٦٤ هـ رحمه الله تعالى .

(١) مقدمة محب الدين الخطيب لكتاب العواصم من القواصم ص ٣٢ ، ٣٤ .

## فضل على بن أبي طالب رضي الله عنه

روى البخارى ومسلم عن سهل بن سعد رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال : « لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله عليه » قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ . كلهم يرجو أن يعطاها . فقال : أين على بن أبي طالب ؟ قالوا : يشتكى عينيه يا رسول الله . قال : فأرسلوا إليه . فلما جاء بصق فى عينيه ودعا له فبرئ حتى كان كأن لم يكن به وجع . وأعطاه الراية . فقال على : يا رسول الله : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . قال : « ابتدئ على رسلك حتى تنزل بساحتهم . ثم ادعهم إلى الإسلام . وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه . فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم » وأخرجه أبو حاتم .

وفى رواية أبى حاتم عن أبى هريرة : قال رسول الله ﷺ : « لأدفعن الراية اليوم إلى رجل يحب الله ورسوله » ... الحديث .

وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة : قال رسول الله ﷺ يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله . يفتح الله عليه » .

وعن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى ﷺ : جليل على الحسن والحسين وعلى وفاطمة كساء . وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » (١) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » .

قال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : لا .

قال عمر : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : لا ولكن خاصف النعل .

(١) أخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح .

وكان - أى النبي ﷺ - أعطى علياً نعله يخصفها» [أخرجه أبو حاتم]

وروى المحب الطبرى (١) عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] قال: نزلت فى على بن أبى طالب. كانت معه أربعة دراهم. فأنفق فى الليل درهما. وفى النهار درهما، ودرهما فى السر ودرهما فى العلانية.

فقال له رسول الله ﷺ: ما حملك على هذا؟

فقال: أن استوجب على الله ما وعدنى. فقال: إلا إن لك ذلك. فنزلت الآية. وتابع ابن عباس. مجاهد وابن السائب ومقاتل. ١. هـ.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة: ٥٥] الآية نزلت فى على (خرجه الواحدى).

ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: ١٨] قال ابن عباس: نزلت فى على بن أبى طالب. والوليد بن عقبة بن أبى معيط لاشياء بينهما. (خرجه الحافظ السلفى).

ومنها قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ١٩-٢٤].

وعن أبى ذر أنه كان يقسم لنزلت هذه الآية فى على وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعتبة بن ربيعة. وشيبة بن ربيعة. والوليد بن عتبة. (أخرجه الباسلى) (كانوا المتبارزين فى غزوة بدر).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ليس آية فى كتاب الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعلى أولها وأميرها وشريفها. ولقد عاتب الله أصحاب محمد فى القرآن وما ذكر علياً إلا بخير (٢).

(١) الرياض النضرة: ٦٤٦.

(٢) ذكره الطبرى فى الرياض النضرة: ٦٤٧ وقال: أخرجه أحمد.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ... ﴾ الآيات من سورة الإنسان. قالوا: نزلت في علي وفاطمة وابنيهما. ١. هـ. الرياض النضرة.  
وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾

[الشورى: ٢٣]

روى الواحدى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت.  
قال رجل: مَنْ هؤلاء الذين أوجب الله علينا محبتهم يا رسول الله؟ قال: «على وفاطمة وابناهما».

وروى أحمد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ عند امرأة من الأنصار. صنعت له طعاما. فقال النبي ﷺ: «يدخل عليكم رجل من أهل الجنة» فدخل أبو بكر رضى الله عنه. فهيناه.

ثم قال ﷺ: «يدخل عليكم رجل من أهل الجنة» فدخل عمر رضى الله عنه، فهيناه ثم قال ﷺ: «يدخل عليكم رجل من أهل الجنة».

فرايت النبي ﷺ يدخل رأسه تحت الودى ويقول: «اللهم إن شئت جعلته عليا» فدخل على رضى الله عنه. فهيناه. [ورواه الطبرانى فى الأوسط والبخارى وصححه الحاكم وأقره الذهبى].

وروى أحمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: كنا نقول فى زمن النبي ﷺ.

رسول الله ﷺ خير الناس. ثم أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما.  
ولقد أوتى ابن أبى طالب ثلاث خصال. لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم.

زوجه رسول الله ﷺ ابنته وولدت له.

وسد الأبواب إلا بابه فى المسجد.

وأعطاه الراية يوم خيبر [حسنه الحافظ ابن حجر فى الفتح].

وروى أحمد وابن أبي شيبة عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ ولأبى بكر رضى الله عنه . يوم بدر « مع أحدكما جبريل . ومع الآخر ميكائيل . وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال - أو يكون فى الصف » [ورواه ابن أبى عاصم والبزار وصححه الحاكم وأقره الذهبى ] .

وروى البخارى ومسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : خلف رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فى غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله . تخلفنى فى النساء والصبيان ؟

فقال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى . غير أنه لا نبى بعدى » .

روى مسلم عن على رضى الله عنه قال : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الامى ﷺ إلى : أن لا يحببنى إلا مؤمن . ولا يبغضنى إلا منافق » .

روى مسلم عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ يوماً فىنا خطيباً بماء . يدعى خُماً بين مكة والمدينة . فحمد الله وأثنى عليه . ووعظ وذكر ثم قال :

« أما بعد : ألا أيها الناس . فإنما أنا بشر . ويوشك أن يأتى رسول ربى . فأجيب . وأنا تارك فىكم ثقلين : أولهما : كتاب الله . فيه الهدى والنور . فخذوا بكتاب الله . واستمسكوا به . فحث على كتاب الله . ورغب فيه . ثم قال : وأهل بيتى . أذكركم الله فى أهل بيتى . أذكركم الله فى أهل بيتى . » .

قيل : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قيل : ومن هم ؟ قال : هم آل على . وآل عقيل . وآل جعفر وآل عباس . قيل : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم .

فهذا بعض ما جاء فى فضائل الإمام على كرم الله وجهه . ومناقبه كثيرة وردت بها نصوص كثيرة قال الإمام أحمد والنسائى وإسماعيل القاضى وأبو على النيسابورى رحمهم الله تعالى : « لم يرد فى حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء فى على رضى الله عنه » .

وكان السبب فى ذلك أنه تأخر . ووقع الاختلاف فى زمانه . وخروج من خرج عليه . فكان سببا لانتشار مناقبه . ومن كثرة من كان بينها من الصحابة . ردا على من خالفه .

فكان الناس طائفتين . لكن المبتدعة قليلة جدا ، ثم كان من أمر على رضى الله عنه ما كان فنجمت طائفة أخرى حاربوه . ثم اشتد الخطب فتنقصوه . واتخذوا لعنه على المنابر سنة . ووافقهم الخوارج على بغضه ، وزادوا حتى كفروه . مضموما ذلك منهم إلى عثمان رضى الله عنه .

فصار الناس فى حق على ثلاثة : أهل السنة . والمبتدعة من الخوارج والمحاربين له من بنى أمية وأتباعهم . فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله . فكثر الناقل لذلك لكثرة من يخالف ذلك وإلا فالذى فى نفس الأمر أن لكل من الأربعة - رضى الله عنهم - من الفضائل إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلا . أ. هـ فضائل الصحابة الكرام .

ورحم الله إمامنا الشافعى رضى الله عنه قال :

آل النبى ذريعتى وهمو إليه وسيلتى

أرجو بهم أعطى غدا بيدي اليمنى صحيفتى

وقال رضى الله عنه ينكر على المنكرين إنكارهم :

إذا فى مجلس تذكر عليا وسبطيه وفاطمة الزكية

يقال : تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضية

برئت إلى المهيمن من أناس يرون الرفض حب الفاطمية  
وقال: إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أنني رافضى  
وقال شيخنا المرحوم محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية:  
قيل أشقى بحب آل النبي قلت: هذا كلام غاوغبى  
فاز كلب بحب أصحاب كهف فكيف أشقى بحب آل النبي؟

\* \* \*

## ابن عم رسول الله ﷺ

● هو: الإمام: على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. كرم الله وجهه ابن عم رسول الله ﷺ.

● وأمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. رضى الله عنها.

لقد أسلمت وصحبت رسول الله ﷺ وهاجرت إلى المدينة المنورة وماتت بها. وصلى عليها النبي ﷺ. ونزل في قبرها. ودعا: «اللهم إني أسألك بحقي وبحق الأنبياء من قبلي أن تغفر لأمي فاطمة بنت أسد».

وتولى دفنها. والبسها قميصه. وأثنى عليها خيرا فقال: «إنها كانت من أحسن خلق الله صنيعا إلى. بعد أبي طالب».

من هذه الأسرة الهاشمية – أبا وأما – الماجدة العريقة فى السيادة والريادة والشرف جاء على بن أبى طالب كرم الله وجهه. فورث الفضائل والمكارم والمحاسن كابرا عن كابر واجتمعت له صفات وسمات الأسرة الكريمة: من الشجاعة. والمروءة. والكرم والسخاء والطهارة والعفة. والحزم والعزم. والصدق والوفاء والحب والإيثار. يتوج ذلك كله ماضى هذه الأسرة العريق فى السيادة والريادة.

فلقد كان آباؤه وأجداده هم سدنة الكعبة والقائمين على أمرها ورعاة بيت الله الحرام كما كانوا يقومون على خدمة حجاج البيت. كما كانوا يطعمون الجائع ويكسون العارى ويقرون الضيف. يجعلهم العرب جميعا فى شبه الجزيرة العربية لرعايتهم للكعبة المشرفة ولزوارها، ولنجدتهم ومرءتهم ومعاونتهم لكل من يستحق العون.

وكن أبو طالب؛ رجلا كريما. وقويا وصلبا. وحازما. وصاحب مروءة. ورث عن نبيه: عبد المطلب – بعد موته – أمر تربية النبي ﷺ الذى مات جده وعمره ثماني سنوات فعهد جده بأمر تربيته إلى عمه: أبى طالب. فكان

أبو طالب عند حسن الظن به فتولى أمر ابن أخيه واعتنت به كثيرا زوج عمه : فاطمة بنت أسد رضی الله عنها التي لم تفرق بين محمد ﷺ وبين أولادها . فكانت تعتبره أحد أبنائها . وكان ﷺ يعتبرها أما له بعد وفاة أمه وجده . وكان أبو طالب أخا شقيقا لأبي محمد ﷺ وظل الصادق الأمين يعيش في كنف عمه أبي طالب وزوجه فاطمة بنت أسد حتى تزوج الصادق الأمين بالسيدة : خديجة بنت خويلد رضی الله عنها . فانتقل إلى بيت الزوجية . ولم يقطع النبي ﷺ علاقته وولاءه بعمه وبأسرته الكريمة . ومقرأ لهم بحسن رعايتهم له .

ولد على بن أبي طالب رضی الله عنه : قبل بعثته النبي ﷺ بعشر سنين في جوف الكعبة . وكان اسمه الذي سمته به أمه « حيدرة » وهو من أسماء الأسد ، فأحبت أن تحيي فيه اسم أبيها « أسد » فدعته بمعناه ولم تدعه بلفظه . ولكن أباه – وقد رأى ابنه قد علا شرفا بمولده في الكعبة – سماه « عليا » وكان اسم علي من الأسماء النادرة في الجاهلية كاسم « محمد » . وأما في الإسلام . فيقول المسعودي : لم يتقلد الخلافة إلى هذا الوقت – وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة من خلافة المتقي لله العباسي – من اسمه علي إلا علي بن أبي طالب . وعلي . المكتفى بالله العباسي بن المعتضد العباسي .

وكان علي رضی الله عنه أصغر أولاد أبي طالب . وأكبر منه : جعفر وعقيل وطالب . وبين كل منهم وأخيه عشر سنين .

وكنيته المشهورة : أبو الحسن – وكناه رسول الله ﷺ : أبا تراب .

فقد روى البخاري : أن النبي ﷺ جاء بيت فاطمة . فلم يجد عليا في البيت . فقال : أين ابن عمك ؟ قالت : كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندى ( من القيلولة ) فقال رسول الله ﷺ لإنسان : انظر أين هو ؟ فجاء فقال : يا رسول الله . هو في المسجد راقد . فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد رداؤه عن شقه وأصابه تراب . فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه . ويقول : « قم أبا تراب » .

وقد كانت هذه الكنية . أحب الكنى إليه . ففى البخارى (باب الاستئذان )  
 ما كان لعلى اسم أحب إليه من أبى تراب . وأنه كان يفرح إذا دعى به .  
 ولكن أعداء الإمام من بنى أمية كانوا يعيرون بها الإمام . ويسبون به على  
 المنابر . ويجعلونها له نقيصة ووصمة . فكأنما كسوه بها الحلى والخلل – كما يقول  
 الحسن البصرى – وكأنما كانوا يأخذون بيا فوخه إلى السماء . كما قال الخليفة  
 الخامس : عمر بن عبد العزيز (١) .

ولا أدرى كيف يجعلونها نقيصة ووصمه ؟ والذى كناه بها هو : رسول الله  
 ﷺ فهل كنى النبى ﷺ عليا بما يوصم به ويسب ؟ إنه الحقد الأسود والعصبية  
 العمياء . وكناه الرسول ﷺ أيضا : بأبى الريحانتين . رواه البخارى والطبرانى (٢)  
 ولما أتم على رضى الله عنه من عمره ست سنوات أصاب أهل مكة جذب شديد .  
 وقحط عظيم وكان أبو طالب كثير العيال وغير ميسور الحال .

ذكر أحمد بن يحيى البلاذرى وعلى بن الحسين الأصفهانى : أن قريشا  
 أصابها أزمة وقحط . فقال رسول الله ﷺ لعميه : حمزة والعباس . الا نحمل ثقل  
 أبى طالب فى هذا المحل . فجاءوا إليه وسألوه أن يرفع إليهم ولده ليكفوه أمرهم .  
 فقال : دعوا لى عقيلاً وخذوا من شعتم – وكان شديد الحب لعقيل فاخذ  
 العباس . طالبا . وأخذ حمزة جعفرا وأخذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليا .  
 وقال لهم : قد اخترت – من اختاره الله لى عليكم – عليا .

قالوا – أى المؤرخون – : فكان على عليه السلام فى حجر رسول الله ﷺ  
 منذ كان عمره ست سنين (٣) .

وأقول : إن الله سبحانه وتعالى قد أراد بذلك أن لا يكون لأحد من خلقه  
 جميل على حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم . فها هو رسول الله عليه الصلاة

---

(١) مشهد الإمام على فى النجف . للمرحومة د . سعاد ماهر ص ١٧ . ١٨٠  
 (٢) وهو فى جمع الجوامع للسيوطى برقم ١٠٤٦١ ح ٢ ص ٨٨ مجمع البحوث  
 الإسلامية والريحانتان هما : الحسن والحسين رضى الله عنهما .  
 (٣) المصدر السابق نقلا عن ابن أبى الحديد بشرح نهج البلاغة : ١٥

والسلام بمكنه الله عز وجل من رد جميل عمه الذى رباه . بأخذه عليا ابنه ليربيه فى حجره . وتكون هذه بتلك وزيادة عليها . بزوجه ابنته سيدة النساء . الزهراء رضى الله عنها لما بلغ مبلغ الرجال وأمر آخر . إن الفرق كبير بين بيت النبوة وبيت أبى طالب .

لقد انتقل الغلام الصغير من بيت أبيه . سيد قريش . إلى بيت محمد ﷺ سيد الاولين والآخرين .

وفى بيت النبوة تفتحت عيننا على . على نمط من الحياة جديد رأى فيه ابن عمه محمدا ﷺ باحثا عن الحقيقة . يتعبد بملة أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام . نائيا بنفسه عن جاهلية قومه ووثنياتهم وأصنامهم . فكان يذهب إلى غار حراء شهرا فى السنة يعبد ويتأمل ويفكر فى إبداع الخالق العظيم وهو فى حيرة من أمره حتى كان المبعث العظيم والاصطفاء الكريم لرسول الله ﷺ (ووجدك ضالا فهدى) أى كنت حائرا لا تدري من أمر النبوة والشريعة شيئا حتى هديناك .

وكان الغلام على يتأمل فى كل ما يدور من حوله من أمر ابن عمه . الذى كان يعيش فى كنفه . ويترعز فى بيته . يتفيا ظلال صاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وآله وسلم وتحت رعاية السيدة الجليلة : خديجة بنت خويلد رضى الله عنها أول نساء النبى عليه الصلاة والسلام وأم الذرية الطاهرة . فكانت أما ثانية لعلى رضى الله عنه . الذى شرفه الله تعالى بإسلام أمه فى الولادة التى أسلمت بعد عشر . وإسلام أمه فى التربية التى كانت أول الناس إسلاما . وكان على أيضا أول الرجال إسلاما وهو فى العاشرة من عمره .

وكانت هذه الحياة الكريمة فى بيت محمد ﷺ تبعد عليا عن حياة اللهو والعبث فلم ينشأ كلداته من أبناء قريش الذين يقضون حياتهم فى اللهو وأحاديث الهوى ومزامير البادية وأغانى السُّمَّار ومجون الجاهلية . وإنما نشأ على فى حياة هادئة جادة عاقلة يأخذ من ابن عمه . حميد الصفات وكريم الأفعال . فكانت تلك الحياة طاهرة . نقية طيبة .

## صفات الإمام وأوصافه

كان سيدنا الإمام على كرم الله وجهه - كما قال واصفوه . مما روى فى الرياض النضرة للمحب الطبرى .

وفى الاستيعاب لابن عبد البر وفى غيرهما ونقل عن جابر وابن الحنفية وأبى سعيد التيمى وابن لبيد وغيرهم - ربعة من الرجال إلى القصر أقرب . أسمر اللون حسن الوجه . واضح البشاشة . أدعج العينين عظيمهما . أذلف الأنف . أصلع ليس فى رأسه شعر إلا من خلفه . نأتى الجبهة له حفاف كأنه إكليل . وكان عنقه إبريق فضة . كث اللحية طويلها تملأ صدره لا يغير شيبه . عريض المنكبين لهما مشاس كمشاس السبع الضارى . لا يبين عضده من ساعده قد أدمجت إدماجا ، عبل الذراعين . شثن الكفين . وكان كبير البطن . يميل إلى السمنة فى غير إفراط . أقرى الظهر . عريض الصدر . كثير شعره . ضخم الكسور . عظيم الكراديس غليظ العضلات ممشى الساقين ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها . ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها . يتكفا فى مشيته على نحو يقارب مشية النبى ﷺ وإذا مشى إلى الحرب هرول .

وقد نشأ عليه السلام قوى البنيان مكين التكوين . وظل كذلك فى شبابه وكهولته وفى شيخوخته . فكان كما قال واصفوه ودلت عليه أخباره . قوى الساعد واليد قوة بالغة . ما صارع أحدا إلا صرعه . ولم يبارز أحدا إلا قتله . إذا أمسك بذراع أحد فكأنه أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس . وقد يقتلع الفارس من ظهر جواده بيده ، ويرمى به الأرض غير جاهد ولا حافل .

فعل ذلك أيام صفين . ( بأحمر ) مولى بنى أمية لما هم أن يضرب عليا بعد أن قتل كيسان مولاه . فوضع على يده فى جيب درع ( أحمر ) وجذبه عن فرسه وحمله على عاتقه ثم ضرب به الأرض . فكسر منكب وعضديه . وأجهز عليه الحسين وابن الحنفية رضى الله عنهما وهو الذى حمل بابا بخيبر عجز عن قلبه

النفر من الأشداء واتخذته ترسا حين سقط ترسه عند فتح حصن نارعم أحد حصون خيبر المنيعة .

وروى الطبرى عن أبى نافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : خرجنا مع على بن أبى طالب حين بعثه رسول الله ﷺ برايته . فلما دنا من الحصن . خرج إليه أهله فقاتلهم . فضربه رجل من اليهود فطاح ترسه من يده . فتناول على رضى الله عنه بابا كان عند الحصن . فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده . وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده حين فرغ فلقد رأيتنى فى سبعة أناثامنهم . نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه . وروى أنه جعل الباب قنطرة اجتاز المسلمون عليها ( الخندق ) إلى داخل أبنية هذا الحصن . وهو مع قوته البالغة كان شجاعا . ما نكل عن مبارزة . ولا ارتاع من كتيبة . ولا هاب قرنا مهما تكن صولته وشهرته .

ففى وقعة الخندق وتسمى أيضا ( غزوة الأحزاب ) أقدم على مبارزة فارس تحسب له الجزيرة العربية ألف حساب وقتله . ذلك هو : عمرو بن عبد ودّ ( العامرى ) (١) أ.هـ .

وأول ما عرف من شجاعة على رضى الله عنه . مبيته مكان النبى ﷺ فى ليلة الهجرة ، وهو يعلم حقيقة موقف قريش من رسول الله ﷺ . ولربما يظفرون بعلى ويقتلونه فى فراشه ظنا منهم أنه النبى عليه الصلاة والسلام ولكنه نام فى فراش النبى ﷺ فى شجاعة وفدائية نادرة .

---

(١) مشهد الإمام على فى النجف : ٢٠ ، ٢١ والرياض النضرة : ٥٧٤ ، ٥٧٥ .

الدعج : شدة سواد العين مع سعتها . الذلف : قصر الأنف وصغره .

الحفاف : الطرة حول رأس الأصلع .

المشاس : رءوس العظام كالمشكبين والمرفقين والركبتين . عبل السراعين : ضخمهما .

شثن : غليظ . أقرى الظهر : شديده . ضخم الكسور : الأعضاء .

الكراديس : جمع كردوس وهو كل عظمتين التقتا فى مفصل . حمش الساقين : دفيقهما .

وكان رضى الله عنه مع شجاعته وفتوته . يتورع عن البقى والعدوان فلا يبدأ أحدا بالقتال وله مندوحة عنه . يقول لابنه الحسن رضى الله عنه : « لا تَدْعُونَ إِلَى مَبَارِزَةٍ فَإِنْ دَعَيْتَ إِلَيْهَا فَأَجِب . فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ . وَالْبَاغِي مَصْرُوعٌ » .

وقديما قالوا : وعلى الباغي تدور الدوائر .

وكان الخوارج يفارقون عسكره ليحاربوه ، ف قيل له : إنهم خارجون عليك فبادرهم قبل أن يبادروك . فقال : « لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون » .

وفى وقعه صفين : خرج من أصحاب معاوية ( رضى الله عنه ) رجل يسمى : كريس بن الصباح الحميرى . فصاح بين الصنفين : من يبارز؟ فخرج إليه رجل من أصحاب على ( رضى الله عنه ) فقتله . ووقف عليه ونادى : من يبارز؟ فخرج إليه آخر فقتله وألقاه على الأول . ثم نادى : من يبارز؟ فخرج إليه الثالث . فصنع به صنيعه بصاحبه . ثم نادى رابعة من يارز؟ فأحجم الناس . ورجع من كان فى الصف الأول إلى الصف الذى يليه . وخاف على أن يشيع الرعب بين صفوفه . فخرج إلى ذلك الرجل المدلّ بشجاعته وناسه فصرعه ثم نادى ندائه حتى أتم ثلاثة صنع بهم صنيعه بأصحابه . ثم قال مسمعا الصفوف : يا أيها الناس : إن الله عز وجل يقول : ( الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ) ولو لم تبدءونا ما بدأناكم .. ثم رجع إلى مكانه ( ١ ) .

وكان على كرم الله وجهه صاحب مروءة وعفو فى معاملة خصومه مهما تكن إساءتهم قويا كان أو ضعيفا على السواء .

لقد ظفر بمروان بن الحكم فى وقعة الجمل وهو من الد أعدائه . فعفا عنه . وصفح عن سعيد بن العاص الأموى . وعفا عن عمرو بن العاص رضى الله عنه .

وعفا عن أهل البصرة حين قدر عليهم ورفع السيف عنهم . ولما منعه جنود معاوية ماء الفرات . وسألهم الماء فمنعوه . ولما رأى أنه الموت لا محالة تقدم

---

( ١ ) مشهد الإمام على ٢٥ ، ٢٦ نقلا عن كتاب : أعيان الشيعة .

بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم وردهم إلى الصحراء وملك الماء فأشرفوا على الهلاك . فسألوه الماء فقال له أصحابه : امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ولا تسقهم منه قطرة واقتلهم بسيف العطش . وخذهم قبضا بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب فقال : لا . والله لا أكافئهم بمثل فعلهم . افسحوا لهم عن بعض الشريعة - أى مورد الماء - ففى جد السيف ما يغنى عن ذلك فأخذ كل منهما بالشريعة مما يليه (١) .

وكان الإمام كرم الله وجهه زاهدا فى الدنيا يقول سفيان (إن عليا لم بين آجرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة) .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : (أزهد الناس فى الدنيا على بن أبى طالب) .

وقد بلغ من زهده وعزوفه عن الدنيا أنه لم يقتن ضيعة ولا ريعا . وكان متقشفا فى لباسه وطعامه . وكان يأكل الشعير . وتطحنه امرأته بيديها . وكان يتحرى طيب الطعام ولا يتناول من الطعام ما فيه شبهة يقول (لا أحب أن يدخل بطنى ما لا أعلم) .

كما كان على رضى الله عنه لين الجانب شديد التواضع سهل الانقياد . ورغم ذلك كان مهابا وكانت فيه دعابة روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لعلى : (لله أبوك لولا دعابة فيك) وقال لمن سألوه فى الاستخلاف : (ما أظن إلا أن يلى أحد هذين الرجلين : على أو عثمان فإن ولى عثمان فرجل فيه لين . وإن ولى على ففيه دعابة . وأحرى به أن يحملهم على الطريق) (٢) لكن دعابة على رضى الله عنه ليست معيبة . لأن أخلاقه وتاريخه وأقواله ونوادره مع صحبه وأعدائه ليس فيها ما يدل على خلق الدعابة فضلا عن الدليل على الإفراط فيه كما ذكره المرحوم عباس محمود العقاد فى عبقرية الإمام .

(١) شرح نهج البلاغه بتصرف ١ / ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) الدكتور سعاد ماهر فى مشهد على فى النجف ص ٣١ .

لقد كان سيدنا الإمام يتمتع بحميد الصفات وكريم الأوصاف والأخلاق . يذكر له ذلك أصدقائه وأعداؤه . ولا عجب في هذا ولا غرابة لأن عليا تربي في بيت النبوة وشرب من كأس الوصف المحمدي وتأدب بكريم صفات وأخلاق الصادق الأمين وكان لحسن صحبته للمصطفى وأصحابه الأثر الكبير حتى كان هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذي أحبه الله تعالى ورسوله ﷺ .

ولقد أجاد ضرار بن ضمرة الكنانى فى وصف تلك الأخلاق الباهرة والمكارم النادرة وأبان عن جوهرها ومكنوناتها . عندما سأله معاوية أن يصف عليا . فقال ضرار: ( كان - والله - بعيد المدى . شديد القوى . يقول فصلاً . ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه . وتنطق الحكمة من نواحيه . يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته .

كان - والله - غزير العبرة . طويل الفكرة . يقلب كفه . ويخاطب نفسه . يعجبه من اللباس ما قصر . ومن الطعام ما خشب - أى ما غلظ وخشن من الطعام .

كان - والله - كأحدنا . يدنينا إذا أتينا . ويجيبنا إذا سألناه . وكان مع تقربه إلينا . وقربه منا . لا نكلمه هيبة له . فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم . يعظم أهل الدين . ويحب المساكين . لا يطمع القوى فى باطله . ولا ييأس الضعيف من عدله .

فأشهد بالله لقد رأيت فى بعض مواقفه - وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه - يميل فى محرابه . قابضاً على لحيته . يتململ تلمل السليم . ويبكى بكاء الحزين فكاننى أسمع الآن وهو يقول : يا ربنا . يا ربنا . يتضرع إليه . ثم يقول للدنيا : إلى تغررت؟ إلى تشوفت؟ هيهات . هيهات . غرى غبرى . قد بنتك ثلاثاً فعمرك قصير . ومجلسك حقير . وخطرك يسير . آه . آه من قلة الزاد . وبعد السفر ووحشة الطريق ) فبكى معاوية رضى الله عنه وقال : رحم الله أبا الحسن كان

والله كذلك، وهذا الوصف البديع الأخاذ كاف لمعرفة خلق عليّ وسجاياه واكتشاف أغوار نفسه. وآفاق روحه الطاهرة (١).

وقال فيه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: (أزهد الناس فى الدنيا على بن أبى طالب) رحم الله أبا الحسن. كان على جانب كبير من الخلق العظيم. وكيف لا يكون كذلك؟ والذي رباه هو رسول الله ﷺ فأشربه حسن الخلق. وحميد الصفات حتى كان على مثلاً أعلى لمن عداه فى التمسك بالقيم الأخلاقية العظيمة رضى الله عنه هذا: وقال معاوية لضرار بعد ما سمعه: فكيف حزنك عليه باضرار؟

قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها. فهى لا ترقأ عبرتها. ولا يسكن حزنها. ثم خرج (٢).

وسئل الحسن البصرى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه. فقال (كان والله سهما صائبا من مرامى الله على عدوه. ربانى هذه الأمة وذا فضلها وذا سابقتها. وذا قرابتها من رسول الله ﷺ. لم يكن بالنؤومة عن أمر الله. ولا بالملومة فى دين الله. ولا بالسروقة لمال الله. أعطى القرآن عزائمه وعلم ما فيه حتى قبضه الله إليه. ففاز برياض مؤنقة. وأعلام مشرقة) (٣) رضى الله عنه.

\* \* \*

(١) الخلفاء الراشدون ص ٤٧٥ - ٤٧٦.

(٢، ٣) مشهد الإمام على: ٣٢.

## إسلامُ عليٍّ

اختلف في تحديد سن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . يوم أسلم . فقد روى في سيرة ابن هشام : قال ابن إسحاق : كان أول ذكرٍ من الناس آمن برسول الله ﷺ . وصدق بما جاءه من عند الله تعالى . علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عبد المطلب بن هاشم . وهو ابن عشر سنين يومئذ . وكان مما أنعم الله على عليٍّ ابن أبي طالب . أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام .

وقد ذكر هذه الرواية الطبري في تاريخه . كما روى عن الكلبي قال : أسلم علي وهو ابن تسع سنين . وعن مجاهد قال : أسلم علي وهو ابن عشر سنين<sup>(١)</sup> . وذكر المسعودي في مروج الذهب قال : كان علي يوم أسلم صبيا يكفله رسول الله ﷺ وتدم هذا القول : أن أول من أسلم من النساء : خديجة . ومن الرجال : أبو بكر ومن الصبيان : علي . ومن الموالي : زيد ، رضی الله عنهم أجمعين<sup>(٢)</sup> .

وذكر قبل هذا القول . قوله - مشيرا إلى الروايات المختلفة : قد تنوزع في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وإسلامه . فذهب كثير من الناس إلى أنه لم يشرك بالله شيئا فيستأنف الإسلام . بل كان تبعا للنبي ﷺ في جميع أفعاله . مقتديا به وبلغ وهو علي ذلك وأن الله عصمه وسدده ووقفه لتبعية لنبه عليه الصلاة والسلام لأنهما ما كانا مضطرين ولا مجبورين علي فعل الطاعات . بل مختارين قادرين . فاختارا طاعة الرب . وموافقة أمره . واجتناب منهيته . ومنهم من رأى أنه أول من آمن وأن الرسول - ﷺ - دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله عز وجل ( وأنذر عشيرتك الأقربين ) .

وكان بدؤه بعلي . إذ كان أقرب الناس إليه وأتبعهم له . ومنهم من رأى غير ما وصفا<sup>(٣)</sup> . وأقول : إن من المسلم به أن سيدنا علي كرم الله وجهه نشأ مسلما

(١) تاريخ الامم والملوك للطبري : ٢ / ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) مروج الذهب : ٢ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

ولما بعث رسول الله ﷺ ظل على رضى الله عنه فى متابعتة والافتداء به صلوات الله وسلامه عليه .

وهذا الخلاف الذى ذكره المؤرخون وكتاب السيرة . عن سن على وقت إسلامه . بل كان من الأوفق لهم أن يحددوا سن على وقت بعثة رسول الله ﷺ . فقد قال ابن إسحاق : ذكر بعض أهل العلم . أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب . مستخفيا عن عمه أبى طالب وجميع أعمامه وسائر قومه . فيصليان الصلوات فيها . فإذا أمسيا رجعا . فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا . ثم إن أبى طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان . فقال لعلى : أى بنى ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟ قال : يا أبت . آمنت بالله ورسول الله وصدقته بما جاء به . وصليت معه لله . واتبعته فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير . فالزمه . ١ . ه الطبرى وابن هشام وروى أن عليا قال لابن عمه - حين طلب منه أن يشاور أباه فى إسلامه : ( يا ابن عمى إنى سمعت وأجبت . وإنى أشهد بشهادة الإسلام . أن لا إله إلا الله وأنت لرسوله ثم قال : يا رسول الله ما كنت لأسمع لأبى طالب أو أشاوره فى دينى . فقد خلقنى الله ولم يشاوره فى خلقى . . إنى هديت يا رسول الله بك إلى ربى . فلاعبدنه ابتغاء وجهه ) .

والقول الصحيح كما قلنا ونقول : إن عليا رضى الله عنه نشأ مسلما متبعا لرسول الله ﷺ قبل البعثة وبعدها . وهو ما رجحه أكثر من واحد كابن عبد البر والعاملى وغيرهما من الرواة والمؤرخين .

يقول ابن أبى الحديد فى شرحه : كان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما . كما كان غاية الغايات فى التقوى والورع . ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة . وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده . أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلى عليه ورده . والسهم تقع بين يديه وتمر على

صماخيه يمينا وشمالا فلا يرتاع لذلك . ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته . وما ظنك برجل كانت جهبته كثفنة - الثفنة من البعير هي : الركبة - البعير لطول سجوده .

وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته . والاستخذاء له . عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص . وفهمت من أى قلب خرجت وعلى أى لسان جرت (١) . هـ .

لقد كان سيدنا على رضى الله عنه عظيما طول سنى حياته إسلاما وصحبة وجهادا وعلما وقضاء وإمرة حتى لقى ربه عز وجل راضيا مرضيا .

إن المطلع على حياته والقارئ لسيرته ليقف مشدوها أمام عبقرية هذا الرجل الذى تفتحت عيناه واستقبل صباه بعبادة العلى الكبير فى وقت كانت قريش تعبد فيه أحجارها وأصنامها . ولكن عليا شرفه الله تعالى بعدم السجود للأصنام كما روى أنه وهو جنين فى بطن أمه كان يتعرض فى بطنها ويمنعها من السجود للأصنام إن هى أرادت كما يعبد قومها رضى الله عنها . وهنيئا لها بهذا الوليد الذى أحبه الله تعالى وأحبه رسول الله ﷺ الذى قال : لأعطين الراية غدا لرجل يحبه الله ويحبه رسول الله (٢) . الحديث فإذا هذا الرجل المحبوب من ربه عز وجل ورسوله هو : على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

\* \* \*

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٢٧ / ١ .

(٢) الحديث بطوله رواه أحمد فى المناقب وأخرجه ابن إسحاق فى السيرة .

## فى صحبة الرسول ﷺ

كان على رضى الله عنه أول صحابى من صبيان قريش وفتيانها . وكان أبو بكر رضى الله عنه أول صحابى من رجالها وسادتها . وكانت خديجة رضى الله عنها الزوجة الحنون العاقلة القوية أول زوجة وأول صحابية من نساءها وعقيلاتها . وكان زيد بن حارثة رضى الله عنه الذى أنزل الله تعالى فيه قرآنا يتلى . أول صحابى من مواليتها وضعفائها فقوى بالإسلام وتشرف بالصحبة وعلا شأنه بقربه من المصطفى ﷺ صحب على رضى الله عنه رسول الله ﷺ وكان دائما قريبا منه وتحت بصره يأخذ عنه الوحي المنزل . ويسمع منه التبيان والبيان المفصل ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] فكان على حريصا على أخذ القرآن والسنة من فى رسول الله ﷺ بإيمان صادق . وفهم واع . وإخلاص لا حدود له . حتى ملئ إيمانا وعلما حتى صار فيما بعد هو المرجع الكبير لميراث النبوة .

لذلك كان على بين أصحاب رسول الله ﷺ محل تقدير وإعجاب وحب وانبهار . ولا عجب فى هذا ولا غرابة . لأنه على الذى سبقهم جميعا وهو فى حداثة سنه . إلى الإيمان بالله عز وجل والتصديق بنبوة ابن عمه ﷺ روى المحب الطبرى فى الرياض النضرة . عن على عليه السلام قال : قلت يا رسول الله أوصنى قال : ( قل . ربي الله ثم استقم ) فقلت : ربي الله . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ) . قال : ( ليهنك العلم أبا الحسن لقد شربت العلم شربا ) . ثم قال : أخرجه : البخترى والرازى . وزاد : ( ونهلته نهلا ) .

وروى أيضا : عن عبد الله بن عياش الزرقى وقد قيل له : أخبر عن هذا الرجل على بن أبى طالب فقال : إن لنا أخطارا وأحسابا . ونحن نكره أن نقول فيه ما يقول بنو عمنا . قال : كان رجلا تلعبا . يعنى : مزاحا . وكان إذا فزع . فزع إلى

ضرس من حديد . قال : قلت وما ضرس من حديد ؟ قال : قراءة القرآن . وفقه في الدين . وشجاعة . وسماحة ) وقال : أخرجه أحمد في المناقب .

إن عليا رضي الله عنه كان في صحبته من الخيرة . إيمانا وعلما وأدبا وشجاعة وفتوة وشدة وسماحة ورحمة ولينا . كان ينزل على العدو كالصاعقة في جراءة وشجاعة وشدة . وكان مع المؤمنين . سمحا ورحيما ولينا وكريما .

ويكفي على فخرا أن أستاذه الذي تتلمذ عليه وتربى في حجره هو خير البشر وسيد الناس سيدنا محمد ﷺ . لذلك كان قويا في الحق . ولا تأخذه في الله لومة لائم كان يقول الحق ويحكم به بكل ما يملك من قوة . لذا كان ناصحا أمينا . وناصرا مستقيما .

### ( ١ ) الهجرة إلى المدينة :

لقد قضى عى بن أبى طالب رضى الله عنه ثلاثة عشر عاما في صحبة الرسول ﷺ . من ابعث إلى الهجرة . يتلقى عنه القرآن بنفس مرهفة . وقلب واع . وذكاء وقاد ، وعزم متهلل أكيد . وروح حرة شفاقة . فاشرب قلبه ولاء للقرآن منقطع النظر . فكان واحدا ممن سبق وممن صدق . فنال الحسينيين . وحاز المكرميين . وصلى مع النبي إلى القبلتين .

وتكاملت شحضية على بكل خصائصها الموروثة من آبائه . والمكتسبة من حجر النبوة . وراح يسطر في تاريخ الدعوة أبهى الصفحات . المترعة بالمواقف الرائعة والطولات النادرة .

وحين نستقبي حياة الإمام ومواقفه . فإننا نجد روضات يانعات . يفوح عبيرها بالبطولة والرجولة . والمروءة والنخوة . والصدق والقداء . والتقى والطهر والنقاء .

ولقد جاءت حادثة الهجرة النبوية لتخط لعلى - رضى الله عنه - واحدا من أبرز الأمثلة على بطولة روحه . وقوة شكيمته . وشجاعة نفسه . ورباطة جاشه

وصدق افتدائه لصاحب الرسالة ﷺ بالنفس . وحبه وطاعته له . ولو كان فى ذلك مواجهة أسياف قريش مجتمعة (١) .

فلما عزم رسول الله على الهجرة من مكة المكرمة إلى يثرب - المدينة - وأخبر بذلك أبا بكر الصديق رضى الله عنه . جاءه الأمين : جبريل عليه السلام وأخبره أن قريشا قد أجمعت على قتله . وقد أعدت لذلك عدتها . وأمره ألا يبيت تلك الليلة على فراشه الذى كان يبيت عليه .

لذا فإنه يلزم أن يأخذ مكانه ﷺ . رجل يشغل أبصار المحاصرين لبيته والمراقبين لفراشه من خلل الباب . فالأمر حينئذ محتاج إلى فدائى . يفدى رسول الله ﷺ ويعمى على القوم خروج المصطفى ﷺ مهاجرا .

ومن يكون لذلك إلا فتى مثل على رضى الله عنه . يلى . إنه على بن أبى طالب رضى الله عنه فهو خير فتى يقوم بهذا الأمر . قال له رسول الله ﷺ ( نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر . فتم فيه . فإنه لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم ) واستقبل على الأمر الصادر له من النبى ﷺ بالرضا . سمع فاطع . لأنه يعلم أن النبى ﷺ لا ينطق عن الهوى . لذا لم يأبه بالنتيجة أيأما كانت ما دام ذلك فى سبيل الله عز وجل .

نام على رضى الله عنه فى فراش النبى ﷺ . وخرج رسول الله ﷺ على فتیان مكة المحيطين ببيته . وأخذ بيده حفنة من تراب وأخذ الله أبصارهم عنه - فأخذ ينثر التراب على رءوسهم . وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ يَسْ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ .. ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [ الآيات من ١ - ٩ سورة يس ] .

وظل المحاصرون للبيت فى موقعهم حتى جاءهم رجل . فأخبرهم بأن محمدا قد خرج وألقى التراب فوق رءوسهم . فهبوا مسرعين . ونظروا من خلل الباب فرأوا

(١) الخلفاء الراشدون : ٤٥٣ .

عليها نائما فضنوه محمدا ﷺ - فقالوا: والله إن هذا لمحمد نائما على برده. فلم يبرحوا مكانهم حتى أصبحوا. وفي الصباح قام علي من فراش رسول الله ﷺ وخرج عليهم. فقالوا: والله لقد صدقنا الذي حدثنا.

وحفظ الله تعالى. عليا وحماء منهم تصديقا لوعده النبي ﷺ له. وإكراما وكرامة لهذا الفدائي البطل الذي اختار الله تعالى ورسوله ﷺ منذ حداثة سنة رضى الله عنه وأرضه.

لقد هاجر النبي ﷺ يرافقه صاحبه الصديق الأكبر. أبو بكر رضى الله عنه وخلف بمكة على رضى الله عنه. لبيبت مكانه تعمية على قومه. ثم يقوم برد الودائع والأمانات التي كانت عند رسول الله ﷺ لبعض أهل مكة. لأنها أمانة والأمانة لا بد أن تؤدى لصاحبها ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨] فمكث على رضى الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها. رد فيها ما كان عند رسول الله ﷺ من الودائع.

وفي هذه الأيام الثلاثة كان على يجابه قريشا التي بلغ منها حنقها وغيظها مبلغا عظيما على النبي ﷺ وكل من تبعه على دينه. وظن على يواجه تحرشاتهم به وشتمهم وسبهم وهو رابط الجأش. عالى الهمة. ولم تخفه قريش بصدفها وجبروتها وكيف يخاف وهو الفتى الفدائي الذي ملأت الشجاعة نفسه وخالطت كيانه وقد منحه الله تعالى كل أسباب القوة والشجاعة بنوعيهما الروحي والمادى.

وبعد ما اطمأن الفتى الفدائي على تمام تنفيذه لأوامر النبي ﷺ عزم على المسير لكى يلحق بلصطفى ﷺ بالمدينة المنورة. فخرج وحده مخترقا الصحراء الواسعة لقاحلة. ولم يرهبه ما تقوم به قريش من انتشار بعض رجالها في الصحراء بحثا عن النبي ﷺ وأتباعه. وقطع الفيافي وانقفار في رباطة جأش وثقة بالنفس. وقيل هاجر مع علي بعض المسلمين (١).

(١) تقول مصادر الشيعة: إنه هاجر معه القواطم: فاطمة بنت النبي. فاطمة بنت أسد.

فاطمة بنت حمزة فاطمة بنت الزبير وأيمن ابن أم أيمن. أعيان الشيعة ٢ / ١١٧.

وصل الفتى الفدائي رضي الله عنه إلى (قباء) في منتصف شهر ربيع الأول .  
فتزل مع رسول الله ﷺ على : كلثوم بن الهدم .

وفي المدينة المنورة : شارك على بن أبي طالب رضي الله عنه إخوانه في بناء  
المسجد النبوي الشريف وهو يرتجز شعرا ووجهه يعلوه البشر والسرور فيقول :

لا يستوى من يعمر المساجدا

يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى في الغبار حائدا

وفي المسجد النبوي أقيمت الصلاة . واستقبل المسلمون ما يوحى الله به إلى  
النبي ﷺ . فيتعلمون دينهم ويقيمون شعائرهم وفيه تعقد مجالس الشورى  
وتعقد ألوية الجهاد وتنطلق الجيوش دفاعا عن الدعوة ونشرا للإسلام (وان  
المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)

وفي المدينة المنورة وبعد إنشاء مسجدى : قباء والمسجد النبوي الشريفين .  
قام النبي ﷺ بوضع القاعدة العظيمة (المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار) لكي  
يصهر جناحي الأمة - المهاجرين والأنصار - في بوتقة واحدة . ليكونوا جميعا  
صفا واحدا . وجسدا واحدا متكاملا . إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر  
الأعضاء بالسهر والحمى . وكان لقيام هذا الأمر شأن عظيم في حياة المسلمين  
مهاجرين وأنصار حيث نشأ فيهم : الحب والود والتعاون والإيثار والكفاح .  
والمساهمة سويا في نصر الإسلام والصدق والإخلاص في الاقتداء بالرسول ﷺ  
الذي لقي ربه عز وجل وهو عنهم راض . فهنيئا لهم بحب الله ورسوله لهم  
وبحبهم لله ورسوله ﷺ .

لقد آخى النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله عنهم . فماذا كان حظ على بن  
أبي طالب رضي الله عنه من هذا الأمر؟

روى أنه: كان أخا لسهل بن حنيف الأنصارى رضى الله عنهما (١)

وروى المحب الطبرى فى الرياض النضرة (٢) قال: وخرج ابن إسحاق ذكر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فقال: قال رسول الله ﷺ فيما بلغنا: (تآخوا فى الله أخوين أخوين) ثم أخذ رسول الله ﷺ بيد على فقال «هذا أخى» وكان رسول الله ﷺ وعلى أخوين . أ . ه .

وروى الطبرى أيضا: عن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء على تدمع عيناه قال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد . قال له رسول الله ﷺ: (أنت أخى فى الدنيا والآخرة) خرجه الترمذى وقال: غريب والبعوى فى المصابيح الحسان (٣).

وروى الطبرى أيضا فى رياضه فقال: وعن على رضى الله عنه - أنه كان يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله . لا يقولها أحد غيرى إلا كذاب . خرجه أبو عمر وخرجه الحلعي .

وعن على قال: طلبنى النبي ﷺ فوجدنى فى حائط نائما - بستان - فضربنى برجله وقال: (قم فوالله لأرضينك . أنت أخى . وأبو ولدى . تقاتل عنى بسنتى من مات على عهدى فهو فى كنز الجنة . ومن مات على عهدك فقد قضى نحبته ومن مات محبك بعد موتك ختم الله له بالإيمان ما طلعت شمس أو غربت - خرجه أحمد فى المناقب .

ثم قال: وعن على قال: جمع رسول الله ﷺ . أو دعا بنى عبد المطلب وهم رهط كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق . فصنع لهم مدا من طعام . فأكلوا حتى شبعوا . قال: وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس . ثم دعا بغمر فشربوا حتى رروا

---

(١) الخلفاء الراشدون: ٤٥٦ وتمسك بهذا رأى مؤلفه الأستاذ عبد الستار الشيخ . ذاكرا فى هامشه أن ابن كثير: يضعف الأحاديث الواردة فى مؤاخاة النبي ﷺ له . والمؤلف حرر فيما اختار .

(٢) الرياض النضرة: ٥٩١ .

(٣) ص ٢٦ .

وبقى الشراب كأنه لم يمس أو لم يشربوا . فقال : ( يا بنى عبد المطلب إني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة ) . وقد رأيتم من هذه الآية - المعجزة - ما رأيتم . فأيكم يبايعني على أن يكون أخى وصاحبي ؟ فلم يقم إليه احد . قال : فقامت وكنت اصغر القوم . قال : اجلس . ثم قال ذلك ثلاث مرات . كل ذلك أقوم إليه فيقول : اجلس . حتى كان فى الثالثة . فضرب بيده على يدي ) خرجة احمد فى المناقب ثم قال الطبرى : وعن ابن عباس ( رضى الله عنهما ) وقد سئل عن على ( رضى الله عنه ) قال : ( كان أشدنا برسول الله ﷺ لزوما . وأولنا به لحوقا ) خرجة ابن الضحاك وعن عمر بن عبد الله عن ابيه عن جده أن النبى ﷺ آخى بين الناس وترك عليا . حتى بقى آخرهم لا يرى له أخا . فقال : يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتنى . قال : ( ولم ترانى تركتك ؟ إنما تركتك لنفسى . أنت أخى وأنا أخوك فإنى أذكرك . قل : أنا عبد الله وأخو رسول الله . لا يدعيها بعدى إلا كذاب ) (١) خرجة احمد فى المناقب وأقول : وسواء أكان على كرم الله وجهه : أخا للنبى ﷺ فى معاهدة الإخاء بين المهاجرين والأنصار . وهى ثابتة بالأحاديث وكلها يقوى بعضها بعضا . أو كان أخا لسهيل بن حنيف الأنصارى رضى الله عنهما . فإن هذا لا يزيد ولا يقلل من قدر على رضى الله عنه عند رسول الله ﷺ لقربته القريبة منه . فهو ابن عمه وولده بالتربية وأول الذكور إسلاما وأولهم صحبة وأفداهم لرسول الله ﷺ وزوج الزهراء سيدة النساء رضى الله عنها وأبو العترة الطاهرة . آخر سلالة النبیین وهو المجاهد الذى أبلى بلاء حسنا وهو باب مدينة العلم والمدافع عن سنة النبى ﷺ فأنعم من رجل أحب الله ورسوله . فأحبه الله تعالى ورسوله ﷺ .

## ( ٢ ) الزواج المبارك

لقد بلغ على كرم الله وجهه مبلغ الرجال . وأصبح من الضرورى له أن يتزوج . ولكن من يتزوج . وكيف يتزوج وهو لا يملك مؤنة الزواج ؟ لقد كان رجلا لا مال له يعيش على الكفاف ولا يملك من حطام الدنيا ما يساعده على

(١) رويت هذه الأحاديث وغيرها بالرياض النضرة فى مناقب العشرة : ٥٩١ ، ٥٩٢ .

الزواج . لذا فإنه لم يكن يفكر فى هذا الامر وخاصة أيضا أنه مشغول بأمر الدعوة و قتال الأعداء . لك الله يا على سيأتى الله بالفرج . وسوف يهديك ربك بخير النساء عند ربك وبخيرهن أما وأبا ومن مثلك يحظى بهذا الشرف العظيم؟ إنها الزهراء يا على حبيبته المختار ﷺ وصغرى بناته . جمال وطهارة وعفة ودين وحسب ونسب فمن تكون مثلها من نساء وفتيات المسلمين رضى الله عنها وأرضاها؟

ولدت السيدة: فاطمة الزهراء رضى الله عنها وقريش تعيد بناء بيت الله الحرام . وكان ذلك قبل البعثة بخمس سنوات .

عن أبى جعفر قال : دخل العباس على : على و فاطمة وأحدهما يقول للآخر: أيننا أكبر؟ فقال العباس : ( ولدت يا على قبل بناء قريش البيت بسنوات . وولدت أنت وقريش تبني البيت ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة قبل النبوة بخمس سنين ) أخرجه الدولابى - تربت فاطمة رضى الله عنها فى حضن النبى ﷺ تحت سمعه وبصره فنالت الخير كله . لقد عاشت فاطمة فى كنف أمير الأنبياء وسيد المرسلين يرعاها ويهذبها . يعلمها ويؤديها بأدب الإسلام . ويسقيها من رحيق النبوة . ويعطيها من حنانه ورحمته ما لا تُعطى غيرها .

بلغت فاطمة رضى الله عنها سن الزواج وأصبحت مرغوبة لدى الرجال الشرفاء . لأنها الشريفة بنت الشريف صلوات الله وسلامه عليه .

خطبها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . فاعتذر رسول الله ﷺ لهما .

أخرج ابن سعد فى الطبقات الكبرى : عن علباء بن أحمر اليشكرى : أن أبا بكر خطب فاطمة إلى النبى ﷺ فقال : يا أبا بكر أنتظر بها القضاء . فذكر ذلك أبو بكر لعمر . فقال له : ردك يا أبا بكر .

ثم إن أبا بكر قال لعمر : اخطب فاطمة إلى النبى ﷺ فخطبها . فقال له مثل ما قال لأبى بكر : أنتظر بها القضاء .

فجاء عمر إلى أبي بكر: فأخبره. فقال له: رديك يا عمر؟

ثم إن أهل عليّ قالوا لعلي: أخطب فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقال: بعد أبي بكر وعمر؟ فذكروا له قرابته من النبي ﷺ فخطبها فزوجه النبي ﷺ فباع علي بغيرها له وبعض متاعه فبلغ أربع مائة وثمانين فنال له النبي ﷺ: (اجعل ثنين في الطيب وثلثا في المتاع).

ثم إن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: (إن عليا يذكرك) فسكت. فزوجها (١) تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وبنى بها في ذى الحجة من السنة المذكورة.

عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عليّ قال: جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل وقربة ووسادة آدم حشوها ليف الإذخر (٢).

(الخميل: القטיפفة. الأدم: الجلد. الإذخر حشيشة رطبة طيبة الرائحة) وقد أمر رسول الله ﷺ عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما بتهيئة الدار والعروس.

أخرج ابن ماجه عن عائشة وأم سلمة قلنا: (أمرنا رسول الله ﷺ أن تجهز فاطمة حتى ندخلها عنى: عليّ. فعمدنا إلى البيت. ففرشنا بأيدينا. ثم أطعمنا تمرا وزبيبا. وسقينا ماء عذبا. وعمدنا العود فعرضناه في جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلق عليه استقاء فما رأينا عرسا أحسن من عرس فاطمة).

وهكذا: نقلت فاطمة من دار أبيها إلى دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فكانت رضي الله عنها نعم الزوج ظهرا ونقاء وعفة وصهارة. ملأت علي زوجها كل حياته. اللهم إلا ما كان منه لله عز وجل ولرسوله ﷺ وللمسلمين.

كانت صابرة على عسر حال زوجها. راضية بما قسمه الله لها. ترعى حق زوجها. فتطيعه إذا أمر. وتسره إذا نظر. وتواسيه لتتهون عليه متاعب الحياة وقسوة المعيشة. عن علي: أن فاطمة أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته والنسائي في سننه.

(٢) رواه أحمد في مسنده.

من الرحى . وبلغها أنه جاءه رقيق . فلم تصادفه . فذكرت ذلك لعائشة . فلما جاء أخبرته عائشة . قال : فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا . فذهبنا نقوم فقال : على مكانكما . فجاء فقعد بينى وبينها . حتى وجدت برد قدميه على بطنى . فقال : ( إلا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما . فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا . أربعا وثلاثين . فهو خير لكما من خادم (١) ) .

وأخرج أحمد فى مسنده : إن بلالا أبطأ عن صلاة الصبح فقال له النبى ﷺ : ما حبسك؟ قال : مررت بفاطمة وهى تطحن . وصبى يبكى . فقلت : إن شئت كفيتك الرحى . وإن شئت كفيتك الصبى . فقالت : أنا أرفق بابنى منك فذلك الذى حبسنى (٢) .

لك الله يا أم الحسنين . لا مال ولا خادم ولا رقيق . ومع ذلك كانت صابرة محتسبة فما لهما والدنيا . إنهم كانوا يرجون ما عند الله وهو خير وأبقى .

وفى ليلة العرس قال النبى ﷺ لعلى : ( لا تقرين أهلك حتى آتيك ) فجاء الرسول ﷺ . فدعا بإناء فيه ماء ، ثم مسح صدر على ووجهه . ثم دعا فاطمة . فقامت إليه تتعثر فى مرطها من الحياء . فنضح عليها من ذلك الماء . ثم دعا لهما . فقال : ( اللهم بارك فيهما . وبارك عليهما . وبارك لهما فى بنائهما . وبارك لهما فى نسلهما ) ثم قال لفاطمة : ( إنى لم آل - أى لم أقصر - أن أنكحتك أحب أهلى إليّ ) ثم خرج فقال لعلى : ( دونك أهلك ) .

ثم ولى إلى حجره . فما زال يدعو لهما حتى دخل حجره (٣) .

ولقد عرف على لزوجته الزهراء مكانتها . وعظم منزلتها من قلب رسول الله ﷺ فلم يتزوج عليها حتى ماتت . ولما زاد أن يتزوج بنت أبى جهل . أنف النبى ﷺ من ذلك . وقام على المنبر فخطب الناس . فقال :

(١) متفق عليه . (٢) راجع كتابنا : مشارق الأنوار : ٤٣ - ٤٨ .

(٣) الخلفاء الراشدون : ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

(إن بنى هاشم بن المغيرة . استاذنوا فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب . فلا آذن . ثم لا آذن . ثم لا آذن . إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى . وينكح ابنتهم . فإنما هى بضعة منى . يرببنى ما أربها . ويؤذبنى ما آذاها) .  
وقال ﷺ مبينا سبب ذلك : (إنى لست أحرم حلالا . ولا أحل حراما ولكن لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله أبدا) .

فكان على رضى الله عنه خير من يلبى رغبة النبى ﷺ . فاقلع عما عرض عليه من الزواج بامرأة أخرى . وجنب قلب السيدة البتول المغيرة من الضرائر ١ . هـ . (١) وقد ولدت فاطمة رضى الله عنها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : الحسن والحسين ومحسن - مات رضيعا - وزينب وأم كلثوم رضى الله عنهم .

وزاد الليث بن سعد : رقية . وماتت ولم تبلغ . ووافق الدارقطنى . ولكن جمهرة المؤرخين يقولون : إن رقية رضى الله عنها بنت على من امرأة تسمى : أم حبيب الصهباء التغلبية (أم ولد : كانت من سبى حروب الردة) .

ويقرر الشعرانى : أن مشهدها بمصر بالقرب من مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها . ويرى آخرون : أنها دفنت بدمشق ولها قبر هناك مشهور . أما رقية المدفونة بمصر فهى بنت على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق رضى الله عنهم (٢) .

لقد قضت الزهراء حياتها مع على رضى الله عنهما فى رضا تام وقناعة بما قسم الله تعالى عبادة زاهدة تقية ورعة حتى لقيت ربها بعد وفاة النبى ﷺ بستة أشهر توفيت رضى الله عنها فى ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة . وهى بنت ثمان وعشرين سنة ونصف وغسلها . وصلى عليها : العباس . ودفنت ليلا رضى الله عنها وأرضاها .

(١) المصدر السابق : ٤٦٠ .

(٢) كتابنا : مشارق الأنوار : ٥٩ .

### ( ٣ ) جهاد على ومشاهده مع رسول الله ﷺ :

كان من أبرز صفات على رضي الله عنه . الشجاعة والبطولة والفتوة في انضباط عظيم فلم يكن الإمام متهورا . وإنما كان رجلا ملتزما في كل تصرفاته البطولية . فلم يكن يوما ما باغيا ولا معتديا . وإنما هو دائما سليم الصدر . فلا ضغائن ولا أحقاد على العدو بعد أنتهاء القتال . ملتزما بادب القرآن والسنة في كافة المعارك التي خاضها . جنديا كان أوقائدا . لأنه مجاهد في سبيل الله تعالى وليس لطلب سمعة وذكر وإنما لتكون كلمة الله هي العليا .

لذلك كان رسول الله ﷺ يختاره ليكون صاحب اللواء في أكثر المشاهد وفي شتى المعارك . فكانت راية المهاجرين تكون معه في أحيان كثيرة . وكانت تؤهله لذلك قدراته البطولية . وقدرته القتالية .

لقد شهد على المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا غزوة تبوك . فقد استخلفه النبي ﷺ على المدينة المنورة .

### ( أ ) غزوة بدر الكبرى :

ففي غزوة بدر دفع إليه النبي ﷺ راية المهاجرين . وكان معلما بصوفة بيضاء . ولما دفع النبي ﷺ بجماعة الاستطلاع لتستطلع له قوات العدو قبل بداية المعركة . فكانت الجماعة مكونة من ثلاثة نفرهم :

حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبي وقاص . وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم . ولما التقى الجيشان . وقبل أن يبدأ القتال . طلب قوات قريش المبارزة وأخرجت لهم : عتبة بن ربيعة وأخوه : شيبة بن ربيعة . وابنه : الوليد بن عتبة .

فأخرج لهم النبي ﷺ ثلاثة فتيان من الأنصار . فردتهم قريش وطلبوا من النبي ﷺ أن يخرج لهم أكفاءهم من قريش . فقال رسول الله ﷺ : ( قم يا عبدة ابن الحارث . وقم يا حمزة . وقم يا على ) .

فهب الثلاثة استجابة لنداء النبي ﷺ . وبارز عبدة - أسن القوم - عتبة ابن ربيعة . وبارز حمزة . شيبة . وبارز على الوليد بن عتبة .

أما حمزة فقد قتل شيبه. وقتل على. الوليد. أما عبيدة وعتبة فقد جرح كل منهما الآخر بضربة من كل منهما. فحمل حمزة وعلى بسيفيهما على عتبة. فقتلاه. واحتملا عبيدة رضى الله عنه إلى معسكر المسلمين فمات شهيدا قبل غروب الشمس فكان أول شهيد في بدر ونزل في هؤلاء الستة قول الله تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩] فكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: ( أنا أول من يجشو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة ).

ولما بدأ القتال وأخذت سيوف المسلمين تعمل في رقاب المشركين. كان على يقائل في الميسرة. وأبو بكر في الميمنة. وجاءتاهما البشرى من النبي ﷺ فقال لهما: ( مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاقل ) ولما نزلت الملائكة ببدر كان جبريل في خمسمائة في الميمنة. وميكائيل في خمسمائة من الملائكة في الميسرة.

وقد أنتهت المعركة بنصر المسلمين وسقط منهم أربعة عشر شهيدا. وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

### (ب) غزوة أحد:

لقد حشدت قريش قوتها لتأخذ بثأر قتلاها في بدر. وجاءت إلى المدينة في ثلاثة آلاف مقاتل بعدتهم وعتادهم. وخرج إليهم المسلمون في ألف مجاهد. اتخذل منهم ثلاثمائة وعادوا إلى منازلهم بقيادة عبد الله بن أبى بن سلول زعيم المنافقين. وقالوا للمجاهدين ( لو نعلم قتالا لاتبعناكم ) واتجه المسلمون إلى أرض المعركة في سيعماتة مقاتل. وكان لواؤهم مع الصحابي مصعب بن عمير رضى الله عنه. والتقى الجمعان في أحد. وقاتل المسلمون في صلابة وبأس حتى سقط مصعب شهيدا سعيدا رضى الله عنه. فدفع النبي ﷺ اللواء إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه. فأخذه بإحدى يديه وبالأخرى سيفه البتار. واحتدم القتال. وتصارول الأبطال وبرقت السيوف. وصاح على بأعلى صوته فقال: ( أنا

أبو القُصَم) - أى الذى يحطم كل ما يلقاه - فناداه سعد بن أبى طلحة صاحب لواء المشركين هل لك يا أبا القُصَم فى البراز من حاجة؟ فصاح به علىّ فى قوة وشجاعة: نعم. فبرزوا بين الصفين. فاختلفا ضربتين. فضربة علىّ فصرعه ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: (إنه استقبلنى بعورته فعطفتنى عليه الرحم. وعرفت أن الله عز وجل قد قتله).

فهذه هى مروءة الإمام التى كان دائما يتحلى بها. إن مبارزه وقع مجندلا ولا أمل له فى الحياة وقد استقبله بعورته. فكان من المروءة تركه.

وتحقق النصر للمسلمين. فلما رأى الرماة ذلك تركوا أماكنهم ونزلوا من على الجبل يجمعون الغنائم مخالفين بذلك أمر رسول الله ﷺ لهم بعدم تركهم لأماكنهم حتى يأذن لهم فاستغل هذا الموقف خالد بن الوليد وصعد بفرقتة الجبل ولما رأى ذلك جيش قريش عادوا وأوقعوا بالمسلمين هزيمة منكرة. وفر نفر كثير من المسلمين من ميدان المعركة وصمد علىّ رضى الله عنه ومن معه يدافعون عن رسول الله ﷺ يحمونه فى بسالة نادرة. وأصيب علىّ فى هذا اليوم بست عشرة ضربة برحت جسمه فما القى لها بالا. لأن المهم هو حماية الرسول ﷺ وأمام هذا الصمود العنيد عاد المسلمون الذين فروا للقتال مرة أخرى حتى كادت الهزيمة تلحق بالمشركين ففروا هاربين وتابعهم علىّ حتى لحق بهم فى حمراء الأسد وهزمهم ففروا هاربين إلى مكة المكرمة.

وفى هذه المعركة استشهد سبعون مجاهدا وكان علىّ رأسهم مصعب بن عمير وحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنهم جميعا.

وعاد علىّ إلى بيته وسيفه مخضب بالدماء فناوله للزهراء وقال لها: (اغسلى عنه دمه. فوالله لقد صدقنى اليوم) ثم أنشد قائلا:

أفاطم هاك السيف غير ذميم      فلست برعديد ولا بلئيم  
لعمرى لقد أبليت فى نصر أحمد      ومرضاة رب بالعباد عليم

وهناك نزل قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤]

فلما سمعها على رضى الله عنه قال : ( والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله والله لمن مات أو قتل . لاقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت ) .

وصدق على وبر بوعده هذا، حتى لقي ربه راضيا مرضيا رحمة الله عليه .

(ج) يوم الخندق :

جاء الأحزاب بجمعهم وعتادهم إلى المدينة المنورة يحادون الله تعالى ورسوله ﷺ . وحفر المسلمون خندقا حول مدينتهم أخذا بمشورة الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضى الله عنه . ولم يكن هذا الأمر معروفا عند العرب . واشترك النبي ﷺ مع أصحابه فى الحفر . وتواجه الجمعان يفصل بينهما الخندق الذى استطاع كوكبة من المشركين أن يخترقوه من مكان ضيق . وقام فارس الجزيرة العربية عمرو بن عبد ود العامرى - الذى كانت العرب تقومه بألف رجل عند أصحابه وعند أعدائه - وهو مقنع بالحديد . عليه علامة يعرف بها ليرى مكانه . ووقف هو وخيله ونادى : من يبارز؟ فقام على بن أبى طالب فقال : أنا لها يا نبي الله . فقال (إنه عمرو . اجلس) ثم نادى عمرو : ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم دخها . أفلا تبرزون إليّ رجلا؟ فقام على فقال : أنا يا رسول الله فقال : « اجلس »

ثم نادى الثالثة فقال :

ولقد بححت من النداء	ء لجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جَبُن المشرك	جمع موقوف القرن المناجز
ولذلك إنى لم أنزل	متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة فى الفتى	والجود من خير الغرائز

فقام على رضى الله عنه . فقال : يا رسول الله : أنا . فقال : (إنه عمرو) فقال :  
 وإن كان عمراً  
 فاذن له رسول الله ﷺ . ويروى أنه عممه بعمامته ودعا له . فمشى إليه على  
 وهو يقول :

لا تعجلن فقد أتاك      مجيب صوتك غير عاجز  
 فى نية وبصيرة      والصدق منجى كل فائز  
 إنى لأرجو أن أقي      م عليك نائحة الجنائز  
 من ضربة نجلاء يب      قى ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو : من أنت ؟

قال : أنا على

قال : ابن عبد مناف ؟

قال : على بن أبى طالب .

فقال : يا ابن أخى . من أعمامك من هو أسن منك . فإنى أكره أن أهريق  
 دمك .

فقال على : ولكنى والله لا أكره أن أهريق دمك .

فغضب عمرو . ونزل . وسل سيفه كأنه شعلة نار . ثم أقبل نحو على مغضباً  
 واستقبله على بدرقته - ترس من جلد - فضربه عمرو فى درقته فشقها وأثبت  
 فيها السيف ، وأصاب رأسه فشجه . وضربه على . على حبل عاتقه . فسقط وثار  
 العجاج - التراب - وسمع رسول الله ﷺ التكبير . فعرف المسلمون أن علياً . قتله  
 وسقط عمرو بن عبد ود صريعاً . وهو الرجل الذى كان يحسب له أصدقائه  
 وأعداؤه ألف حساب . أهلكه الله تعالى بسيف المجاهد التقى : على بن أبى طالب  
 رضى الله عنه ولكن ابن تيمية فى معرض انتقاده لعلى بن أبى طالب فى كتابه  
 (منهاج السنة) يقلل من شأن عمرو ويقول إنه لم يكن إلا ر : لا ، كبيراً ولم يكن

بهذه القدرة والشجاعة التي يصفونه بها. وابن تيمية فى هذا القول واهم.  
واسأله:

ما معنى ان لا ياذن النبى ﷺ لعلّى بالخروج إليه مرتين ويقول له (إنه عمرو، إجلس) ثم أذن له فى الثالثة عندما رآه مصرا على قتاله لعمرو.  
أليس فى قول رسول الله ﷺ دلالة على معرفته. كسائر العرب. بقوة وشجاعة عمرو بن عبد ود. ولكن ماذا نقول لابن تيمية وهو ينتقد عليا ويقلل من شأنه؟

فلا أدرى ماذا أقول له. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل، وعاد عليّ رضى الله عنه بعد قتله لعمرو وهو ينشد:

نصر الحجارة من سفاهة رأسه      ونصرت رب محمد بصوابى  
فصدرت حيث تركته متجدلا      كالجذع بين دكادك وروابى  
وعففت عن أثوابه ولو أننى      كنت المقطر بزنى أثوابى  
لا تحسبن الله خاذل دينه      ونبيه يا معشر الأحزاب

ثم أقبل نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل. فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه: هلاً استلبته درعه. فإنه ليس للعرب درع خير منها؟

فقال: ضربته فاتقانى بسواته. فاستحييت ابن عمى أن أسلبه، رضى الله عنك يا ابن عم رسول الله ﷺ وجزاك خيرا ومتعك بالنظر إلى وجهه الكريم وأما القتال فقد كفى المؤمنين شره. وأرسل ريحا عاصفة طردت قريشا<sup>(١)</sup>.

---

(١) ونادى فيهم طلحة بن خويلد: إن محمدا قد بدأكم بشر. فالنجاة النجاة. ونادى أبو سفيان بالرحيل. وكان مما قاله: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام. لقد هلك الكراع والحف. ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمنن لنا قدر. ولا تقوم لنا نار. ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإنى مرتحل. حياة محمد - هيكل: ٣٢٧ - ٣٢٨ ونزل قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٨]

## (د) بيعة الرضوان :

لقد بلغ المسلمين أن عثمان بن عفان رضى الله عنه قد قتلته قريش، فسارع المسلمون بمبايعة النبي ﷺ على الموت لتأديب قريش. وكان على بن أبي طالب رضى الله عنه من أول المبايعين. وقد سميت هذه البيعة: (بيعة الرضوان).

وبذلك نال المبايعون رضوان الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا \* وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

[الفتح: ١٨، ١٩]

## (هـ) غزوة خيبر :

فى أول السنة السابعة من الهجرة الشريفة. تحرك الجيش الإسلامى إلى خيبر. وكان سيدنا على قد تخلف عن النبي ﷺ. لرمم أصاب عينيه. ولكن عليا رضى الله عنه خاف أن يفوته شرف مشاركة الجيش الإسلامى وأن يحرم من الجهاد فى سبيل الله عز وجل. فقال فى نفسه متسائلا: (أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ؟) وخرج مسرعا حتى لحق برسول الله ﷺ.

ولما علم اليهود بقدم المسلمين بجيشهم. تحصنوا بأطامهم. فهاجمهم المسلمون فى حصونهم المنيعة. وأبطأ على المسلمين الفتح. وكانت البشارة من المصطفى ﷺ فقد روى الشيخان عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه).

قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ. كلهم يرجو أن يعطاها.

فقال: أين على بن أبى طالب؟

قالوا: يشتكى عينيه يا رسول الله.

قال: فأرسلوا إليه. فلما جاء بصق فى عينيه. ودعاه. فبرئ حتى كان.

كان لم يكن به وجع واعطاه الراية.

فقال على : يا رسول الله . أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

قال : ( ابتدئ على رسلك حتى تنزل بساحتهم . ثم ادعهم إلى الإسلام . وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه . فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم ) وأخرجنا من رواية سلمة بن الأكوع : ( لياخذن الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله أو قال : يحب الله ورسوله يفتح الله عليه ) .

وفى رواية لمسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه ( لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله عليه ) .

وفى رواية لأبى حاتم عن أبى هريرة : ( لادفعن الراية اليوم إلى رجل يحبه الله ورسوله ) وأخذ على الراية بيمينه . ورفعها عاليا . ومضى إلى وجهته مهرولا . والصحابة من خلفه ثم ركز الراية فى كوم من الحجارة تحت الحصن . فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن فقال : من أنت؟ قال : أنا على بن أبى طالب . فقال اليهودى : علوتم . وما أنزل على موسى !! ورفع على رضى الله عنه باب الحصن وحمله - وهو الذى لم يستطع الجمع على حمله . ولم يحمله إلا أربعون رجلا - وصعد المسلمون عليه . فخرج اليهود من حصنهم واقتتلوا مع المسلمين قتالا عنيفا وشرسا .

وكانت لعلى رضى الله عنه مواقف فى خيبر صال فيها وجال وكان من أهمها وأعظمها أنه قتل يهوديا اسمه ( مَرْحَبَا ) فارس يهود وأحد شجعانهم وأشدهم بأسا . لقد برز مرحب اليهودى من حصن خيبر . وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحسرب أقبلت تلهبُ

فقام إليه على رضى الله عنه يزار زئير الأسد ، وأجابه بصوت تنخلع له قلوب الصناديد وتسقط الاجنة من بطن الحوامل . فقال :

أنا الذى سمّتنى أمى حيدرة كليث غابات كرىه المنظرة

أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ (١)

وهجم على رضى الله عنه على (مرحب) هجوم الأسد الكاسر. فضرب رأسه فقتله شر قتلة وانتهت غزوة خيبر بنصر الله عز وجل لأوليائه فهتفوا من أعماق قلوبهم (الله أكبر خربت خيبر) وصدقت نبوة النبي ﷺ: (لأعطين هذه الراية رجلا يفتح الله عليه).

لقد كان على رضى الله عنه. شجاعا فى غير تهور. عادلا فى غير ظم ولا تعدى. كان يتسم فعله وقوله بالعدل والحكمة والشجاعة والمروءة. والأناة والسداد. فكان محل إعجاب الصديق والعدو. ولا عجب. فهو رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. فكيف به لا يكون ميزانا من موازين العدل والرحمة؟.

إنه رجل المهمات الصعبة. والمواقف المحرجة. والأمور الشديدة. وكان - دائما - عند حسن الظن به رضى الله عنه.

(و) فتح مكة المكرمة:

مكة المكرمة بلد الله الحرام. والكعبة قبله المسلمين لها حرمتها وتعظيمها. وقد أتى النبي ﷺ بالجيش الإسلامى إليها يريد فتحها ليضمها إلى المدن الإسلامية العظيمة وهو لا يريد أن تراق فيها نقطة دم واحدة.

وكان سعد بن عبادة رضى الله عنه يحمل راية الأنصار. فلما وقعت عينه على مكة تذكر عدوان قريش المتكرر على المسلمين. فقال: (اليوم - يوم الملحمة. اليوم تستحل الحرمة) يعنى حرمة الكعبة. وفتح الصحابى الجليل: عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لما سمع قول سعد وأسرع إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله. أسمع ما يقول سعد بن عبادة؟ ما تأمن أن يكون له فى قريش صولة.

(١) حيدرة: اسم للأسد. والسندرة: مكيال واسع والمعنى: اقتل أعداء الله قتلا واسعا

ذريعا.

فنادى النبي ﷺ عليا . وقال له : ( أدركه فخذ الراية منه . فكن أنت الذى تدخل بها ) .

لقد أخذ على رضى الله عنه راية الانصار تنفيذاً لأمر النبي ﷺ الذى يعلم مدى حكمة وشجاعة على . فكان هو الأجدر يحمل الراية .

ولما تم لرسول الله ﷺ فتح مكة المكرمة بعث سراياه لتدعوا الناس حول مكة وخارجها للدخول فى الإسلام .

فكان ممن بعث : خالد بن الوليد رضى الله عنه إلى بنى جذيمة . فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا . بل قالوا : ( صبأنا - صبأنا ) فلم يفهم خالد أنهم أرادوا بذلك أنهم أسلموا . فقتل منهم طائفة وأسر بقيةهم .

ولما بلغ الخبر لرسول الله ﷺ رفع يديه وقال : ( اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ) ونادى عليا رضى الله عنه وقال : ( يا على أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر فى أمورهم . واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ) .

وجاءهم على بن أبى طالب . ومعه مال بعث به الرسول ﷺ إليهم فودى لهم الدماء - أى دفع دية قتلاهم - وما أصيب لهم من أموال حتى أنه ليدى وليغة الكلب - إناء يشرب منه - حتى إذا لم يبق شئ من دية ولا تعويض عن أموالهم . وبقيت معه بقية مال . فقال لهم : هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يؤدكم؟ قالوا : لا .

قال : فإنى أعطيتكم هذه البقية من هذا المال . احتياطا لرسول الله ﷺ مما يعلم ولا تعلمون . ففعل . ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال النبي ﷺ : ( أصبت . وأحسن ) .

وهكذا استطاع على رضى الله عنه أن يعالج ويصلح آثار هذا الخطأ الكبير الذى وقع فيه خالد رضى الله عنه . بكل كفاءة واقتدار . فكان رضى الله عنه دائما

محل ثقة رسول الله ﷺ والمسلمين. وبذلك أعطى الصورة الحسنة لعظمة الإسلام ونبى الإسلام وهو ما يدل على حكمته وسعة فهمه فى معالجة الامور الصعبة. رضى الله عنه.

(ز) غزوة حنين:

قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّحِينَ \* ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٦].

خرج رسول الله ﷺ بعشرة آلاف مقاتل. فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة فزلزل الله الأرض من تحت أقدامهم وانكشف المسلمون لأول وهلة. ولم يثبت منهم مع رسول الله ﷺ إلا قلة قليلة. كان منهم. على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى ثبت بجوار النبى ﷺ مدافعا عنه مع رفاقه.

ولمح على رجل من هوازن على جمل له أحمر. قد حمل راية سوداء فى رأس رمح طويل يتقدم قومه. فهوى إليه على وضرب عرقوبى جملة. فوقع على عجزه. وانقض عليه رجل من الأنصار فقطع ساقه. وسقطت رايتهم. واجتلد الناس. وما هى إلا بعض ساعة حتى رجع المسلمون الفارين إلى نبيهم ﷺ فوجدوا الأسيرين مقيدىن عنده وفيهم أنزل الله قرآنا يعتب عليهم ظنهم بأنفسهم حتى نسوا أن النصر من عند الله تعالى فكانت هذه الزلزلة ليثوبوا إلى رشدهم. وأعلن لهم أن لن يترك أحبائهم المتوكلين عليه ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]

فستان بين موقفهم هنا وموقفهم فى بدر رضى الله عنهم أجمعين.

## (ح) غزوة تبوك :

تجهز جيش العسرة بنفقة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وفرح على رضى الله عنه ولكنه فوجئ بالنبى ﷺ وهو يستخلفه على المدينة المنورة . فقال بأدب جم متوسلا : يا رسول الله أتخلفنى فى الصبيان والنساء؟  
ويجيبه الرسول ﷺ ببشرى عظيمة : ( ألا ترى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا إنه لا نبي بعدى )

ويستجيب الإمام على لأمر رسول الله ﷺ . ولكن المنافقين أرجفوا به وقالوا : ( ما خلفه إلا استثقالا له . وتخففا منه ) .

ولما سمع ذلك على رضى الله عنه أخذ سلاحه ولحق برسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف . فقال : يا نبي الله : زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت منى .

فقال ﷺ ( كذبوا . ولكنني خلفتك لما تركت ورائي . فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك . أفلا ترى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا إنه لا نبي بعدى ) .

فرجع على كرم الله وجهه وهو قرير العين . مستريح البال . بعدما نال هذه البشرى العظيمة والمكانة الرفيعة والمنزلة العليا . ومن مثله يحظى بذلك؟ رضى الله عنه .

## (ط) الأمير الشجاع :

لقد أرسله النبى ﷺ أميرا على بعض السرايا ثقة منه فيه ، بلغ النبى ﷺ أن بنى سعد بن بكر قد عزموا على أن يمدوا يهود خيبر ضد المسلمين . فبعث إليهم عليا فى مائة رجل . فسارع إليهم بفدك . يسير الليل ويكمن النهار . وبينما هو فى بعض الطريق إذ وجد عينا لهم يتجسس لجيشهم . فأخذه على وطلب منه أن يدلهم على القوم وأمنه . ففعل . فلما بلغ المسلمون منازلهم . أغاروا عليهم .

فتفرق هؤلاء الأعراب في البادية وهربوا. وغنم المسلمون خمسمائة بعير والفي شاة. وعادوا إلى النبي ﷺ سالمين غانمين بعد ما هزموا هؤلاء المتآمرين وأبطلوا كيدهم والله غالب على أمره.

وفي شهر ربيع الأول من سنة تسع وجه رسول الله ﷺ سرية بقيادة علي رضي الله عنه. وأمره بهدم (الفلس) - صنم لطئ - وأرسل معه مائة وخمسين مجاهدا. وأعطى عليا الراية. فلبى أمر النبي ﷺ وسار بمن معه من الرجال. وأغاروا على أحياء من العرب وأخضعهم للحق. وشنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائي. وهدموا (الفلس) وخربوه. وجمعوا الغنائم والسبي. وكان من السبايا - سقانة بنت حاتم الطائي - أخت عدي بن حاتم. فلما قدموا المدينة مر النبي ﷺ بسقانة. فكلمته أن يمن عليها. وذكرت أنها بنت حاتم الطائي - ففعل ﷺ وقال لها: لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه.

ولما فكها الرسول ﷺ من الأسر ذهبت إلى أخيها عدي بن حاتم الطائي وأشارت عليه بالقدوم على رسول الله ﷺ. فقدم وأسلم وكانت هي قد سبقته بإسلامها لما فكها رسول الله ﷺ من الأسر رضي الله عنهما وهكذا قام الإمام علي بكل ما كلف به راضيا محتسبا نصره لدين الله عز وجل ودفاعا عن رسول الله ﷺ ونشرا للدعوة رضي الله عنه.

### (ي) موقف لعلی فی صلح الحديبية:

في السنة السادسة للهجرة خرج رسول الله ﷺ في ألف وستمائة تقريبا من أصحابه يريد مكة لأداء شعائر العمرة.

ولما علمت قريش بقدومه أرسلت من يتحدث مع النبي ﷺ مفاوضا نيابة عنهم. ليعود الرسول ﷺ ومن معه من طريقهم هذا العا على أن يحضروا في العام المقبل معتمرين. وكان مناو عن أهل مكة: سويل عمرو. الذي اتفق مع النبي ﷺ على كتابة معاهدة تُصلح بشروطها.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو كاتب المعاهد . نكتة .

أعلاها . بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : ما نعرف الرحمن الرحيم مره أن يكتب باسمك اللهم فأمره النبي ﷺ بذلك . ففعل عليّ رضی الله عنه .

ثم كتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله . سهيل بن عمرو مندوب أهل مكة .

فقال سهيل : يا محمد مره أن يشطبها لأننا لو عرفنا أنك رسول الله لاتبعناك .

فقال : اشطبها يا علي .

قال : والله لا اشطبها يا رسول الله بعدما أنزلها الله تعالى في قرآنه .

فطلب النبي ﷺ من علي أن يشير له عليها . ففعل . وشطب النبي ﷺ كلمة (رسول الله) .

إن هذا الموقف الثابت من عليّ رضی الله عنه لم يكن مخالفا لأمر رسول الله ﷺ . وإنما هو الأدب مع رسول الله ﷺ . فقد رأى علي أن الأدب معه مقدم على الأمر - اللهم ارزقنا حسن الأدب مع الله عز وجل ومع النبي المصطفى ﷺ .

إنه موقف رائع من عليّ . وأدب إيماني رفيع من رجل يعرف مقام النبوة . وعظمة النبي ﷺ .

### (ك) إبلاغ البراءة للمشركين :

في موسم الحج سنة تسع من الهجرة أمر النبي ﷺ أبا بكر رضی الله عنه أميرا على الحج . ليقم للمسلمين حجهم . وأمره أن يؤذن في الناس أن : « لا يحج بعد العام مشرك . ولا يطوفن بالبيت عريان » ثم أتبعه عليا رضی الله عنه ليكون مع الصديق . ويتولى علي بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله ﷺ تنفيذا لأمره ﷺ « لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي » .

وعلي رضی الله عنه هو ابن عمه ومن عصبته وزوج ابنته .

فبينما أبو بكر رضی الله عنه في الطريق . إذ سح رغء ناقرة رسول الله ﷺ

القَصْوَاء فقام أبو بكر رضى الله عنه فزعا . يظن أنه رسول الله ﷺ . فإذا هو : على فدفع إلى أبى بكر كتاب رسول الله ﷺ . يأمر فيه عليا أن ينادى بهذه الكلمات فانطلق أبو بكر وعلى فحجا . وقام على فى أيام التشريق . ينادى : ( ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك . فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر . ولا يحجن بعد العام مشرك . ولا يطوفن بالبيت عريان . ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ) .

فكان على ينادى بهذه الكلمات . فإذا عيى . قام أبو بكر فنادى بها رضى الله عنهما .

### (ل) فى اليمن :

بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه - قبل حجة الوداع - إلى أهل اليمن . يدعوهم إلى الإسلام . فأقام خالد ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام . فلم يجيبوه فبعث النبي ﷺ عليا إلى اليمن ليخلف خالد بن الوليد . وقال له : ( مر أصحاب خالد . من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب . ومن شاء فليقبل ) . استجاب على رضى الله عنه لأمر رسول الله ﷺ . وخرج مجاهداً لإبلاغ الدعوة . وتقدم بأصحابه وصلى بهم . ثم صفهم صفا واحدا . ودعا القوم إلى الإسلام وقرأ عليهم كتاب النبي ﷺ . فأسلمت همدان جميعا . فكتب إلى النبي ﷺ يبشره بإسلام همدان .

فلما قرأ رسول الله ﷺ كتاب على رضى الله عنه خر ساجدا . ثم رفع رأسه فقال : ( السلام على همدان . السلام على همدان ) .

وأجهد الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك الغزو . وكلت رواحلهم . فالتمسوا من قائدهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن ياذن لهم بركوب إبل الصدقة . فأبى على رضى الله عنه روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه - هذا الموقف - فقال : ( بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب إلى اليمن . فكنت فيمن خرج معه فلما أخذ من إبل الصدقة . سألتناه أن نركب منها ونريح إبلنا - وكنا قد رأينا فى إبلنا خلا - فأبى علينا . وقال : إنما لكم فيها سهم كما

للمسلمين . فلما فرغ على وانطلق من اليمن راجعا . أمر علينا إنسانا . وأسرع هو وأدرك الحج . فلما قضى حجته . قال له النبي ﷺ : « ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم » .

قال أبو سعيد : وقد كنا سالنا الذى استخلفه ما كان علىّ منعنا إياه . ففعل فلما عرف - أى على - فى إبل الصدقة أنها قد ركبت . ورأى أثر الركب . قدم الذى أمره ولامه فقلت : أما إن لله علىّ لئن قدمت المدينة لأذكرن لرسول الله ﷺ ولاخبرته ما لقينا من الغلظة والتضييق .

فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله ﷺ . أريد أن أفعل ما كنت جلفت عليه فلقيت أبا بكر خارجا من عند رسول الله ﷺ . فلما رآنى وقف معى . ورحب بى وسألنى وسألته . وقال : متى قدمت ؟ فقلت : قدمت البارحة . فرجع معى إلى رسول الله ﷺ فدخل وقال : هذا سعد بن مالك ابن الشهيد .

فقال : ( ائذن له ) فدخلت . فحييت رسول الله ﷺ وحيّانى . وأقبل علىّ وسألنى عن نفسى وأهلى . وأحفى المسألة . فقلت : يا رسول الله . ما لقينا من علىّ من الغلظة وسوء الصحبة والتصنييق . فاتمذ رسول الله ﷺ وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه . حتى إذا كنت فى وسط كلامى ضرب رسول الله ﷺ علىّ فخذى - وكنت منه قريبا - وقال : « يا سعد بن مالك ابن الشهيد . مهّ بعض قولك لأخيك علىّ . فوالله لقد علمت أنه أخيشن فى سبيل الله » .

قال أبو سعيد : فقلت فى نفسى . ثكلتك أمك سعد بن مالك . ألا أراى كنت فيما يكره منذ اليوم ولا أدرى ؟ لاجرم - والله - لا أذكره بسوء أبدا سرا ولا علانية (١) رحم الله أبا سعيد . لقد شعر بخطئه فيما قال . فعزم على أن لا يذكر عليا إلا بكل ما هو خير

(م) يوم وفاة النبي ﷺ :

كان يوم انتقال الحبيب المصطفى ﷺ إلى الرفيق الأعلى شديدا على كل

(١) ذكره صاحب كتاب . الخلفاء الراشدون ص ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

المسلمين وخاصة على بن أبي طالب كرم الله وجهه. وقد أصيب على كغيره من الصحابة بذهول شديد وكرب عظيم. وكان على آخر الناس عهدا برسول الله ﷺ. روى المحب الطبري (١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة: (ادعوا لى حبيبي) فدعوا له أبا بكر فنظر إليه ثم وضع رأسه ثم قال: (ادعوا لى حبيبي) فدعوا له عمر فلما نظر إليه وضع رأسه. ثم قال: (ادعوا لى حبيبي) فدعوا له عليا. فلما رآه أدخله معه فى الثوب الذى كان عليه. فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه. [أخرجه الرازى].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: والذى أحلف به أن كان على لأقرب الناس عهدا برسول الله ﷺ قالت: عدنا رسول الله ﷺ غداة بعد غداة يقول: جاء على؟ مرارا وأظنه كان بعثه لحاجة. فجاء بعد. فظننت أن له حاجة. فخرجنا من البيت. فقعدنا عند الباب. فكنت من أدناهم إلى الباب. فأكب عليه على فجعل يساره ويناجيه. ثم قبض من يومه ذلك ﷺ فكان من أقرب الناس به عهدا [أخرجه أحمد] وروى أيضا قال: قال ابن اسحاق: لما غسل النبي ﷺ على أسنده إلى صدره وعليه قميصه يدلكه به من ورائه. ولا يفضى بيده إلى رسول الله ﷺ ويقول: أبى وأمى ما أطيبك حيا وميتا. ولم ير من رسول الله ﷺ شيئا يرى من الميت. وكان العباس والفضل وقثم - ابنا العباس بن عبد المطلب - يساعدون عليا فى قلب النبي ﷺ. وكان أسامة بن زيد وشقران - مولى رسول الله ﷺ - يصبان الماء عليه. ١. ه لك الله يا على. لقد شاهدت هذا المشهد الرهيب ولا أدرى كيف مرت بك هذه الساعات الحزينة على فراق الحبيب ﷺ؟

لقد كنت عظيما مثل ما كنت فى كل أحوالك السابقة. إنها شجاعة المؤمن وتسليم وتفويض التقى. وربما الولى. وصبر السالكين العارفين. ويقين الخاشعين ومعرفة الواصلين. رضي الله عنك وعن العباس والفضل وقثم وأسامة وشقران وصلى اللهم ربنا وسلم على الحبيب المصطفى والرسول المحتسى صلاة وسلاما يسومان بدوام ملك الله تعالى وصلاة وسلاما ترضيك، يارب وترضى نبيك عنا وعوضنا بفقدته حنانه وشفاعته ﷺ.

(١) الرياض النضرة: ١٠٦٠٧، ٦٠.

## إمام المتقين ورائد السالكين

قال الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه: «إياك وأهل لا إله إلا الله. فإن لهم من الله الولاية العامة. وإن جاءوا بقيراط خطايا. أتاهم الله بمثلها مغفرة».

روى الحسن البصرى رضى الله عنه قال: كنت جالسا بالبصرة - وأنا حينئذ غلام - أتطهر للصلاة. إذا مربى رجل راكب بغلة شهباء معتم بعمامة سوداء. فقال لى: «يا حسن: أحسن وضوءك يحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة. يا حسن: أما علمت أن الصلاة مكيال وميزان؟».

فرفعت رأسى فتأملت فإذا هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه. فأسرعت فى طهورى. وجعلت أقفو أثره. إذ حانت منه التفاتة. فقال لى: «يا غلام ألك حاجة؟».

قلت: نعم يا أمير المؤمنين. تفيدنى كلاما ينفعنى فى الدنيا والآخرة. قال: «يا غلام: إنه من صدق الله نجا. ومن أشفق من ذنبه أمن الردى. ومن زهد فى هذه الدنيا. قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا».

ثم قال: يا غلام: ألا أزيدك؟

قلت: بلى يا أمير المؤمنين.

قال: «إن سرك أن تلقى الله غدا وهو عنك راض. فكن فى هذه الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا. وعليك بالصدق فى جميع أمورك تنج مع الناجين غدا. يا غلام: إن تضع هذا الكلام نصب عينيك. ينفعك الله به».

ثم أطلق عنان البغلة من يده. فجعلت أقفو أثره. إذ دخل سوقا من أسواق البصرة فسمعتة يقول: «يا أهل البصرة. يا أهل تدمر: يا عبيد الدنيا وعمال أهلها. إذا كنتم بالنهار تخدمون الدنيا. وفى الليل تنامون. وفى خلال ذلك عن الآخرة تغفلون فمتى تحرزون الزاد. وتفكرون فى المعاد؟».

فقام إليه رجل من السوق . فقال : يا أمير المؤمنين : إنه لا بد من طلب المعاش فكيف نصنع ؟ فقال : « أيها الرجل إن طلب المعاش من وجهه الحلال . لا يشغلك عن الآخرة . فإن قلت : لا بد لنا من الاحتكار لم تكن معذورا » .

فتولى الرجل وهو يبكي . فقال أمير المؤمنين : أقبل على ياذا الرجل أزدك تبيانا إنه لا بد لكل عامل من أن يوفى يوم القيامة أجر عمله . فمن كان عمله للدنيا وحدها فأجره النار » .

ثم خرج من السوق . والناس في رنة بكاء . إذ مر بواعظ يعظ الناس . فلما أبصر أمير المؤمنين . سكت ولم يتكلم بشيء .

فقال كرم الله وجهه « فكم وإلى كم توعظون فلا تتعظون . قد وعظكم وزجركم الزاجرون . وحذركم المحذرون . وبلغكم المبلغون . ودلت أئرس على سبيل السجاة . وقامت الحجة . وظهرت المحجة . وقرب الأمر والأمد . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . أيها الناس : إن لم يكن لله تعالى فى أرضه حجة ولا حكما أبلغ من كتابه ولا مدح الله أحدا منكم إلا من اعتصم بحبله . وإنما هلك من هلك عنده من خالفه واتبع هواه . وعلما أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر . والله . ما هو شئ قلته من تلقاء نفسى . ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

( ما من عبد جاهد نفسه فردها عن معصية الله . إلا باهى الله به كرام الملائكة ومن باهى به كرام الملائكة . فلن تمسه النار . فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ) . انتهى كلام الحسن البصرى (١) رضى الله عنه .

وقال الإمام على كرم الله وجهه : ( أعلم الناس بالله . أشدهم تعظيما لحرمة : لا إله إلا الله ) وروى السيد أحمد الرفاعى (٢) رضى الله عنه قال : وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال :

« إن الله تعالى يتجلى للذاكرين عند الذكر وتلاوة القرآن . ولا يرونه . لأنه

---

(١) على إمام المتقين : ٢٤٥ - ٢٤٦ . (٢) حالة أهل الحقيقة مع الله : ٨٧ .

أعز من أن يرى . وأظهر من أن يخفى . فتفردوا بالله سبحانه . واستأنسوا بذكره . وما نزلت بأحد نازلة . إلا وفي كتاب الله لها دليل . من الهدى والبيان » أ هـ .

لقد كان الإمام على كرم الله وجهه فى إسلامه وعبادته نموذجاً باهراً للإسلام فى أبهى صورته . وأرقى مثله . وكان فى عبادته قدوة ومثلاً للآخرين من العابدين المتبتلين كما كان مثلاً أعلى للسالكين طريق الهدى وطالبي المعرفة والولاية . فى صدق وعزم وصبر وإخلاص ومحبة وتواضع .

لقد كان رضى الله عنه : زاهدا ورعا . وعبادا طائعا . وتقيا مستقيما . ومجاهدا باذلا النفس والنفيس حماية للعقيدة ودفاعا عن الرسول ﷺ ونشراً لدعوة الله كما كان متواضعا فى سيادة . وقويا فى رحمة . وعادلا منصفاً . وعالماً عاملاً . ومنفقا مع قلة ذات اليد . ومسامحاً فى عزة وكرامة . وكان بكلية الله عز وجل لا يعرف النفاق ولا الحقد ولا الضغينة ولا الحسد ولا البغى ولا العدوان طريقاً إلى قلبه . حسن التوكل على الله . مؤمناً بقدر الله . مصدق بكتاب الله مؤمناً برسول الله ﷺ ومحب له . جاءه رجل ينبئه بأن نفراً ائتمروا لقتله ( يا أمير المؤمنين : إن نفراً من مراد يريدون قتلك فقال رضى الله عنه : ( إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر عليه . فإذا جاء القدر جلياً بينه وبينه . إن الأجل جنة حصينة ) .

لقد كان على رضى الله عنه رجلاً قد تكاملت فى شخصيته مبادئ الدين فى شكلها وجوهرها حتى كان كما وصفه النبى ﷺ بأنه : ( قد امتحن الله قلبه للإيمان ) .

لقد كان محافظاً على صلواته فرضها ونوافلها فى الليل وفى النهار . ولم يضع نافلة من النوافل . فكان يصلى قبل الظهر أربعاً طويلاً ويقول - عندما سئل عن ذلك - « رأيت رسول الله ﷺ يصلها » .

وكان يداوم على صلاة أربع قبل العصر إلى أن لقي ربه ويقول : « أوصانى

رسول الله ﷺ بثلاث لا أدعهن ما حييت : أن أصلي قبل العصر أربعاً . فلست بتاركهن ما حييت .

وكان يقول أيضاً : « رحم الله من صلى قبل العصر أربعاً » كما كان يحرص على صلاة الضحى ويصليها في المسجد .

ولم يترك ورده الذي علمه له رسول الله ﷺ . التسبيح والتحميد والتكبير مائة مرة . إذا أصبح وإذا أمسى ما تركهن في حضر ولا في سفر ولا في صحة ولا في مرض . ولا في سلم ولا في حرب يقول كرم الله وجهه :  
« ما فاتتني منذ سمعتها من رسول الله ﷺ إلا ليلة صيفين . فإني نسيتها . حتى ذكرتها من آخر الليل . فقلتها » .

وكان متعهداً لكتاب الله حفظاً وتلاوةً وتجويداً وتفسيراً . وفهماً وتدبراً . مصاحباً له في حله وترحاله . يأنس بتلاوته ومتحلياً بأدابه فملاً الله تعالى قلبه بأنوار القرآن يقول : ( ما كنت أرى أحداً يعقل ينام حتى يقرأ الآيات الأواخر من سورة البقرة فإنهن من كنز تحت العرش ) .

نعم : روى في الحديث أن النبي ﷺ قال : ( من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة . كفتاه ) .

لقد شكى على رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ قائلاً : ( إنه ليتفلت منى ) فعلمه دعاء دعا به الإمام ضارعا وراجيا في خشية . فما لبث أن جاء إلى رسول الله ﷺ قائلاً : يا رسول الله . إنى كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن . وإذا قرأتها على نفسي تفلتن . وأنا أعلم اليوم أربعين آية أو نحوها وإذا قرأتها على نفسي . فكأنما كتاب الله بين عيني . ولقد كنت أسمع الحديث . فإذا ردّته . تفلت . وأنا اليوم أسمع الأحاديث . فإذا تحدثت بها لم أُخْرِم منها حرفاً » فقال له رسول الله ﷺ « مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن » ١ . هـ .

وكان على كرم الله وجهه : واسع الصدقة . عريض البذل . سخي العطاء .

يوقف المال فى سبيل الله تعالى . ويجعله صدقة جارية . وكانت وقوفه تدر أربعين ألف دينار . ومع ذلك ما ترك لورثته عند وفاته إلا ستمائة درهم .

يقول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . فى قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ [البقرة: ٢٧٤] .

قال : ( نزلت فى على بن أبى طالب كان عنده أربعة دراهم . فأنفق بالليل واحدا . وبالنهار واحدا . وفى السر واحدا . وفى العلانية واحدا ) .

وروى أيضا : جاءه سائل يوما يطلب إحسانا . فقال لابنه الحسن : ( اذهب إلى أمك فقل لها تركت عندك ستة دراهم . فهات منها درهما . فذهب ثم رجع فقال : قالت : إنما تركت ستة دراهم للدقيق . فقال على : لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده . قل لها : ابعثى بالستة دراهم فبعثت بها إليه فدفعها إلى السائل .

ومر به رجل معه جمل يبيعه . فقال على : بكم الجمل ؟ قال : بمائة وأربعين درهما فقال على : اعقله على أن تؤخره بثمنه شيئا . فعقله الرجل . ومضى . ثم أقبل رجل فقال : لمن هذا البعير ؟ فقال على : لى . فقال : أتبيعه ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بمائتى درهم . قال : قد ابتعته . فأخذ البعير وأعطاه المائتين . فأعطى الرجل الذى أراد أن يؤخره مائة وأربعين درهما . وجاء بستين درهما إلى فاطمة رضى الله عنها فقالت : ما هذا ؟ قال : هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه ﷺ : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]

وقال الله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا \* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ... ﴾ [الآيات من سورة الإنسان من ٨ - ٢٢] .

قال النسفى فى تفسيره : ( ٤ / ٣١٨ ) :

نزلت فى على فاطمة وفضة جارية لهما لما مرض الحسن والحسين رضى الله

عنهما نذورا صوم ثلاثة أيام . فاستقرض على رضى الله عنه من يهودى ثلاثة أصوع من الشعير . فطحنت فاطمة رضى الله عنها كل يوم صاعا وخبزت . فأثروا بذلك ثلاث عشايا على أنفسهم . مسكينا ویتيما واسيرا . ولم يذوقوا إلا الماء فى وقت الإفطار أ . هـ وقال على رضى الله عنه لأصحابه : ( كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فإنه لن يقلّ عمل مع التقوى . وكيف يقل عمل بتقبل ) ؟ وكان كرم الله وجهه تقيا ورعا . ولذلك منع جنوده العائدين من اليمن أن يركبوا إبل الصدقة وقال لهم ( إنما لكم فيها سهم كما للمسلمين ) .

وكان أيضا قنوعا . ورضى من الدنيا بالقليل . وأخذ منها ما يبلغه مقاصده وغاياته العليا كما كان غزير العبرة . حاضر العبرة . طويل الفكرة .

خرج يوما لزيارة أصحاب القبور ومعه : كميل بن زياد . فلما قربا من المقابر قال : ( يا أهل القبور . يا أهل البلى . يا أهل الوحشة . ما الخبر عندكم ؟ )

فإن الخبر عندنا . قد قسمت الأموال . وأُتيمت الأولاد . واستبدل بالأزواج فهذا الخبر عندنا . فما الخبر عندكم ؟

ثم التفت إلى كميل وقال : ( يا كميل . لو أذن لهم فى الجواب لقالوا : إن خير الزاد التقوى ثم بكى .. وقال : يا كميل . القبر صندوق العمل . وعند الموت يأتيك الخبر ) (١) .

وكان إذا رأى الهلال يقول : ( اللهم إنى أسألك خير هذا الشهر وفتحته ونصره وبركته ورزقه ونوره وطهوره وهداه . وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وشر ما بعده ) ويجأر إلى الله بالدعاء عند النوازل والملمات فيقول : ( أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء . وشماتة الأعداء . وأعوذ بك من السجن والقيد والسوط ) .

ويسأل ربه عز وجل المغفرة والرحمة . فيقول : ( اللهم إن ذنوبى لا تزورك . وإن رحمتك إياى لا تنقصك ) .

( ١ ) الخلفاء الراشدون : ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

وقال الإمام رضى الله عنه : الناس فى الدنيا عاملان :

عامل : عمل فى الدنيا . للدنيا . قد شغلته دنياه عن آخرته . يخشى على من يخلفه الفقر ويأمنه على نفسه . فيفنى عمره فى منفعة غيره .

وعامل : عمل فى الدنيا لما بعدها . فجاءه الذى له من الدنيا بغير عمل . فأحرز الحظين معا وملك الدارين جميعا . فأصبح وجيها عند الله . لا يسأل الله حاجة فيمنعه .

وقال كرم الله وجهه : اعلّموا علما يقينا : أن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتدت طلبته . وقويت مكيدته – أكثر مما سمى له فى الذكر الحكيم ( القرآن الكريم ) ولم يحل بين العبد فى ضعفه وقلة حيلته . وبين أن يبلغ ما سمى له فى الذكر الحكيم . والعارف لهذا . العامل به . أعظم الناس راحة فى منفعة . والتارك له الشاك فيه أعظم الناس شغلا فى مضرة .

ورب منعم عليه مستدرج بالنعى . ورب مبتلى مصنوع له بالبلوى .

فزد أيها المستمع فى شكرك . وقصر من عجلتك . وقف عند منتهى رزقك وقال داعيا وراجيا : « اللهم إني أعوذ بك من أن تحسن فى لامعة العيون علانيتى . وتقبح فيما أبطن لك سريرتى . محافظا على رياء الناس من نفسى بجميع ما أنت مطلع عليه منى . فأبدى للناس حسن ظاهرى . وأفضى إليك بسوء عملى . تقربا إلى عبادك . وتباعدا من مرضاتك » .

ومن دعواته التى تدل على صدق عبوديته لله تعالى وثقته فى رحمة ربه عز وجل . قوله كرم الله وجهه : « اللهم اغفر لى ما أنت أعلم به منى . فإن عدت فعد على بالمغفرة . اللهم إني أعوذ بك أن افتقر فى غناك . أو أضل فى هداك . أو أضام فى سلطانك . أو اضطهد والأمر لك . اللهم اجعل نفسى أول كريمة تنتزعها من كرائمى . وأول وديعة ترجعها من ودائع نعمك عندى . اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك . أو نفتن عن دينك أو تتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذى جاء من عندك .

اللهم صن وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالإقتار. فاسترزق طالبى رزقك  
واستعطف شرار خلقك. وابتلى بحمد من أعطاني، وأفتتن بدم من منعني.  
وأنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء والمنع. وأنت على كل شئ قدير.

اللهم إنك آنس الأنسين لأولياتك. واحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك.  
تشاهدهم فى سرائرهم. وتطلع عليهم فى ضمائرهم. وتعلم مبلغ بصائرهم.  
فأسرارهم لك مكشوفة. وقلوبهم إليك ملهوفة. إن أوحشتهم الغربة آنسهم  
ذكرك. وإن صبت عليهم البلايا لجأوا إلى الاستجارة بك علما بأن أزمة الأمور  
بيدك ومصادرها عن قضائك.

اللهم إن فهتُ عن مسألتى أو عمهت (١) عن طلبى. فدلنى على  
مصالحى. وخذ بقلبى إلى مراشدى، فليس ذلك ينكر من هداياتك ولا بدع من  
كفرياتك.

«اللهم احملنى على فضلك ولا تحملنى على عدلك يا أرحم  
الراحمين» (٢) ١. هـ.

إن الإمام كرم الله وجهه فى هذا الدعاء يعبر عن صدق عبوديته لله تعالى.  
ويدلل به على مدى معرفته بالعلى الكبير. ويبين فى هذا الدعاء أن أولياء الله  
تعالى محل عناية الله عز وجل وتحت رعايته. فهم يأنسون به من الوحشة إذا تجلّى  
لهم. وهو سبحانه وتعالى مطلع عليهم يعلم سرهم ونجواهم. وهو يستجيب لهم  
فإذا استغاثوه أغيثهم وإذا سالوه أعطاهم. كما أنه يسأل ربه تعالى أن يجعله من  
عبيد الفضل والإحسان وليس من عبيد العدل. لأن الفضل مظنة النجاة. أما  
العدل فإنه مظنة العطب، رحم الله تعالى الإمام وجزاه عما قدم للأمة وللدعوة  
خير الجزاء.

(١) فهت: الفهاة: العى وهو العجر عن البيان - عمهت: العمه: التحير والتردد.

(٢) على إمام الأئمة: ٢٦٣، ٢٦٤.

## إمام الأئمة وشيخ العلماء

( ١ ) فضيلة العلم والتعلم :

قال الله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

يقول الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثالث بأهل العلم . وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا . وقال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] قال ابن عباس رضى الله عنهما : للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين بسيرة خمسمائة عام .

وقال عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[الزمر : ٩]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وقال عز وجل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ

وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [القصص : ٨٠] بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ

يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] رد حكمه فى الوقائع إلى استنباطهم . وألحق رتبهم برتبة الأنبياء فى كشف حكم الله .

وقيل : فى قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي

سَوْآتِكُمْ ﴾ يعنى العلم ﴿ وَرِيْشًا ﴾ يعنى اليقين ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ يعنى

الحياء (١) [الأعراف : ٢٦] .

(١) إحياء علوم الدين : ١٥/١ .

روى الشيخان عن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وعند الطبراني في الكبير زيادة « ويلهمه رشده » .  
وأخرج أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :  
« العلماء ورثة الأنبياء يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض » .

يقول الإمام الغزالى (١) : ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق الوراثة لتلك الرتبة وقال الإمام على كرم الله وجهه لكميل : يا كميل : العلم خير من المال . والعلم يحرسك وأنت تحرس المال . والعلم حاكم والمال محكوم عليه . والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإتفاق .

وقال أيضا : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد . وإذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلثة لا يسدها إلا خلف منه . ١. هـ .

وقال رضى الله عنه شعرا :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففرز بعلم تعش حيا به أبدا	الناس موتى وأهل العلم أحياء

لذا حث الإسلام على التعلم وطلب العلم . لان الإسلام دين العلم وهو قائم عليه فكان أول الامر : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ﴿ الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ وقال تعالى داعيا عباده لطلب العلم : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ [ التوبة : ١٢٢ ] .

وقال عز وجل : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [ النحل : ٤٣ ]  
وأخرج مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . أن النبى ﷺ قال : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة » .

(١) المصدر السابق : ١٦/١ .

وأخرج أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال أن النبي ﷺ قال: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع».

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار. أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه».

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه «طلب العلم أفضل من النافلة».

وقال الإمام على كرم الله وجهه: «نعم القرين الرضا. والعلم وراثه كريمة. والآداب حلل مجددة. والفكر مرآة صافية».

وقال أيضا: «الفقيه كل الفقيه: من لم يقنط الناس من رحمة الله. ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله».

وهكذا يحثنا الإسلام على طلب العلم والتعلم. لأن الدين لا يصح إلا بالعلم. والعبادة لا تقوم إلا بالعلم والأدب والسلوك لا ينضبط إلا بالعلم. والقلوب لا تخشع والنفوس لا تخضع إلا بالعلم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

وسيدنا على رضى الله عنه. طلب العلم مبكرا. آمن بالله تعالى وبرسوله منذ بداية الدعوة حرا مختارا. وكان ملازما لرسول الله ﷺ حتى لقي النبي عليه الصلاة والسلام ربه فأخذ العلم من نبعه الصافى من كتاب الله وسنة نبيه. وكان معلمه: هو رسول الله ﷺ فهو مربيه ومؤدبه ومعلمه وناصحه ومراعيه حتى أصبح على بن أبى طالب العالم العابد المجاهد رضى الله عنه.

ونحن - بعون الله تعالى ومدده - سوف ندخل على الإمام كرم الله وجهه فى محراب علمه. لنرى ونتعرف ونقتبس من فيض علمه ومن غزير معرفته. ما نتعرف به عليه ويكون لنا ثقافة ومعرفة نشحذ بها هممتنا. ونضئ بها مسيرتنا. ونتنفع بها وينتفع بها قومی لعلهم يرشدون.

## العناية بالقرآن الكريم

القرآن الكريم هو: ذلك الكتاب المنزل على النبي محمد ﷺ بلفظه ومعناه المتعبد بتلاوته المعجز في بيانه. كما عرفه علماء الأصول.

والقرآن هو: دستور الإسلام. ومرجع المسلم في شئون الدنيا والآخرة. فالعناية به حق من حقوق الفطرة السوية ومطلب من مطالب الإسلام الحنيف.

ولذا وجب على المسلمين العناية بالقرآن والاهتمام به حفظاً وتجويداً وتفسيراً ودراسة. لأنه النبع الصافي لكافة أحكام الإسلام، عقيدة وشريعة وأخلاقاً فلا بد من توجيه النشر لحفظ القرآن الكريم كله أو بعضه كل حسب قدرته. مثل ما كان يفعل أسلافنا في كافة عصور الإسلام. فهذا أحد الأسباب المؤثرة في بقاء القرآن محفوظاً في الصدور إلى جانب حفظه في السطور.

لذا يجب علينا العودة إلى نظام الكتاتيب وتنظيمها ووضعها تحت الإشراف المباشر والرعاية الكاملة للأزهر الشريف. مع الاهتمام به خلال سنوات الدراسة في كل مراحل التعليم بالمعاهد والكلليات الأزهرية المعنية. وعدم التهاون في هذا الأمر لأن القرآن الكريم – كما نعلم – هو المصدر الأول والأساسي للشرعية الإسلامية وهو الزاد الأول والأساس للمعلمين والأئمة والوعاظ.

وكذلك يجب علينا الاهتمام باللغة العربية الفصحى لأنها لغة القرآن ومفتاح التعرف على أسراره ومعانيه وأحكامه.

فغياب اللغة الفصحى يفضي بالأمة الإسلامية إلى الجهل بالكتاب العزيز. ثم يتدرج بنا هذا الجهل إلى معاداته. كما تقول الحكمة «من جهل شيئاً .. عاداه».

لذلك نادى في بداية هذا القرن بعض المثقفين واهتموا بنشر اللغة العامية وطالبوا بإفساح المجال لها لتحظى بالسيادة فتكون هي لغة التخاطب والكتابة.

والهدف المرجو من وراء هذا هو: أن ينبذ المسلمون القرآن ويتركوه وراء ظهورهم. ولكن للحق أهله ودعاته. فقد رأيناهم وقفوا في جد وعزم وحزم ضد هذه الدعوة المضللة وصدق الله العظيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولقد كان القرآن الكريم موضع اهتمام أصحاب النبي ﷺ ومحل عنايتهم ورعايتهم. وعلى وجه الخصوص الخلفاء الأربعة رضى الله تعالى عنهم فلقد شكل أبو بكر الصديق في خلافته لجنة برئاسة زيد بن ثابت رضى الله عنه بمشورة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه. لجمع القرآن من صدور الرجال وكتابته في مصحف واحد تم إيداعه عند أم المؤمنين. حفصة بنت عمر رضى الله عنها حتى كانت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه الذى كلف زيد بن ثابت بنسخ عدة نسخ من المصحف. ثم توزيعها كالآتى:

نسخة بالمدينة المنورة وأخرى بمكة وثالثة باليمن ورابعة بمصر وخامسة بالشام وسادسة بفارس وسابعة ببلاد العراق.

أما الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه. فلقد كان له اهتمام خاص بالقرآن الكريم يتجلى فى ثلاثة أمور أساسية هى:

إحداها: أنه كان يحفظ القرآن الكريم حفظا عظيما وممتازا حتى أنه كان يتأثر كثيرا باللفظ القرآنى فى خطبه وأحاديثه ووصاياه فى كتاب «نهج البلاغة» للشرىف الرضى ولسنا نشك فى أن سبب ذلك يرجع إلى حفظه للقرآن الكريم وتأمله وتدبر معانيه لذا كان كلامه وخطبه بعيدا عن التقعر والتعقيد والغرابة. وإنما كان مقتبسا من ألفاظ القرآن وجمله ومعانيه ونظمه ومنهجه مما يدل على مدى تأثره بالقرآن لفظا ومعنى.

وثانيها: الاهتمام بتجويد القرآن الكريم. كما يذكر أئمة القراء فى كتب القراءات أنهم جميعا يرجعون إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه كأبى عمرو بن العلاء وعاصم بن أبى النجود فهم يرجعون إلى أبى عبد الرحمن السلمى

القارئ. وأبو عبد الرحمن هذا كان تلميذا للإمام عليّ وعنه أخذ القرآن بصار هذا الفن: فن التجويد منتهيا إلى الإمام كرم الله وجهه.

وثالثها: بعد وفاة النبي ﷺ واختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه للخلافة. عكف الإمام علي رضي الله عنه على كتابة القرآن الكريم وجمعه في مصحف واحد. جمعه مرتبا سورة ترتيب نزول. واستغرق هذا الموضوع مئة ستة أشهر تفرغ فيها للقيام بهذا الأمر الخطير. وليس كما يدعى الشيعة أنه إنما اعتكف هذه المدة حتى لا يبايع أبا بكر لصديق بالخلافة. لأنه كان غير راض عن بيعته وعدم تسليم ميراث النبي ﷺ.

وهذا الكلام غير صحيح. أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها:

ان فاطمة بنت رسول الله ﷺ. سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركناه صدقة».

ولما سمعت منه الحديث رضيت عنه. والصحيح أن عليا وفاطمة بايعا أبا بكر رضي الله عنهم وماتت وهي راضية عنه رضي الله عنها وأرضاها. وليس الأمر كما يدعى الشيعة.

وهكذا: كان عليّ كرم الله وجهه رجلا قرانيا من الطراز الأول حيث بذل الجهد الأكبر في خدمة القرآن الكريم والاهتمام به وحسن رعايته. إيمانا وتصديقا. يقول رضي الله عنه «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت. وأين نزلت. وعلى من نزلت. إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا طلقا» - أي فصيحا. وقال: «سلوني. فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم. وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليلا نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل».

\* \* \*

## السنة النبوية الشريفة

معنى السنة وتعريفها :

السنة فى اللغة : الطريقة محمودة كانت أو مذمومة . ومنه قوله ﷺ : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » .

ومن حديث « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » .

وهى فى اصطلاح المحدثين : ما أثر عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها .

وهى بهذا ترادف الحديث عند بعضهم .

وفى اصطلاح الأصوليين : ما نقل عن النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير .

فمثال القول : ما تحدث به النبى ﷺ فى مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام كقوله عليه الصلاة والسلام « إنما الأعمال بالنيات » .

وقوله « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .

ومثال الفعل : ما نقله الصحابة من أفعال النبى ﷺ فى شئون العبادة

وغيرها كأداء الصلوات ومناسك الحج وآداب الصيام وقضائه بالشاهد واليمين .

ومثال التقرير : ما أقره الرسول ﷺ من أفعال صدرت من بعض أصحابه بسكوت منه مع دلالة الرضى . أو بإظهار استحسان وتأييد .

فمن الأول : إقراره عليه الصلاة والسلام لاجتهاد الصحابة فى أمر صلاة

العصر فى غزوة بنى قريظة حين قال لهم : « لا يصلين أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة » .

فقد فهم بعضهم هذا النهى على حقيقته . فأخراها إلى بعد المغرب . وفهمه

بعضهم على أن المقصود حث الصحابة على الإسراع فصلاتها فى وقتها . وبلغ النبى ﷺ ما فعل الفريقان . فآقرهما ولم ينكر عليهما .

ومن الثانى : ما روى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه أكل ضباً قدم إلى النبى ﷺ دون أن يأكله، فقال له بعض الصحابة : أو يحرم أكله يا رسول الله ؟ .

فقال : « لا . ولكنه ليس فى أرض قومي فأجدنى أعافه » .

وقد تطلق السنة عندهم على ما دل عليه دليل شرعى . سواء كان ذلك فى الكتاب العزيز أو عن النبى ﷺ . أو اجتهد فيه الصحابة كجمع المصحف وحمل الناس على القراءة بحرف واحد .

وتدوين الدواوين، ويقابل ذلك « البدعة » .

ومنه قوله ﷺ « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » وفى اصطلاح الفقهاء ما ثبت عن النبى ﷺ من غير افتراض ولا وجوب وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة .

وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة .

ومنه قولهم : طلاق السنة كذا . وطلاق البدعة كذا .

ومرد هذا الاختلاف فى الاصطلاح إلى اختلافهم فى الأغراض التى يعنى بها كل فئة من أهل العلم .

فعلماء الحديث . إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الإمام الهادى الذى أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة . فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق وشمائل وأخبار . وأقوال وأفعال . سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا وعلماء الأصول : إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ المشرع الذى يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة . فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التى تثبت الأحكام وتقررهما .

وعلماء الفقه : إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ الذى لا تخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعى .

وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوبا أو حرمة أو إبادة أو غير ذلك (١). أ. هـ.

وكل علماء الإسلام منذ عصر الصحابة قد تعاملوا مع السنة على أنها المصدر الثانى للتشريع كل فى مجال تخصصه «العقيدة - أصول الفقه - الفقه - التفسير - السيرة . الأخلاق وأدب السلوك» .

ولم نرى أى عالم أو إمام فى أى مجال من مجالات العلم المختلفة رد سنة رسول الله ﷺ . إلا ما كان ممن ليس عنده علم يعصمه من الزلل أو كان من أصحاب الأهواء والبدع كالخوارج والروافض . والمشبهة فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن . وتركوا السنن التى قد تضمنت بيان الكتاب ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] .

فتحيروا وضلوا كما قال الإمام الخطابى فى معالم السنن . وقال إمامنا الشافعى رضى الله عنه : «إذا وجدت سنة رسول الله ﷺ فاتبعوها» لأننا إن لم نتبعها فسوف نضل ونهلك . لأن أحكام السنة : إما موافقة لحكم القرآن ومساوية له . وإما مبينة وموضحة ومفسرة لمبهمه . وإما مخصصة لمجمله وعامه . أو منسئة لحكم لم ينص عليه فى القرآن الكريم كصلاتي العيدين والجنائز . وغيرها .

ففى ترك السنة الشريفة الخسران المبين والهلاك العظيم (٢) . وسيدنا الإمام على كرم الله وجهه كان يعنى بالسنة الشريفة لأنها المصدر الثانى للتشريعة .

وأخرج ابن سعد من طريق عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن على بن أبى طالب ( كرم الله وجهه ) أرسله إلى الخوارج . فقال :

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى : ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) كتابنا : الإمام الشافعى فقيها ومحدثا : ٩٠ ، ٩١ .

أذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن . فإنه ذو وجوه . ولكن خاصمهم بالسنة .

وأخرج من وجه آخر . أن ابن عباس قال له : يا أمير المؤمنين . فإنا أعلم بكتاب الله منهم وفي بيوتنا نزل . قال : صدقت . ولكن القرآن حمال ذو وجوه . تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنة . فإنهم لن يجدوا عنها محيصا . فخرج إليهم فخاصمهم . بالسنة . فلم تبق بأيديهم حجة <sup>(١)</sup> .

وهكذا يقرر الإمام على بن أبي طالب رضى الله عنه كغيره من الصحابة الكرام . أن السنة الشريفة يجب العمل بها شأنها شأن القرآن الكريم . فهى المصدر الثانى لشريعة الإسلام . وموحى بها بالمعنى واللفظ لرسول الله ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .  
وقال عز وجل : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ \* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .  
وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ .  
فالرسول ﷺ واجب الاتباع فى كل ما جاء به عن ربه عز وجل من قرآن أو سنة .

وهؤلاء الذين ينكرون السنة ويرفضون الأخذ بها ممن يسمون أنفسهم بالقرآنيين هم جهلة ويهدفون من وراء ذلك إلى التحلل من شرائع الإسلام .  
ففى أى آية فى كتاب الله تعالى وجدوا . أركان الصلاة وسنتها وشروط صحتها .

وفى أى قرآن قرأوا أحكام الصوم والزكاة والحج وفى سورة منه قرأوا أحكام المعاملات والأحوال الشخصية بتفصيلاتها .

أليست السنة هى التى بينت ذلك ووضحته؟ رحمة بالامة . وإبرازاً لدور

(١) الإتقان للسيوطى : ١٤٣/١ .

رسول الله ﷺ في تبليغ الدعوة كما أمر الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

روى سفيان بن عيينة بسنده: أن رسول الله ﷺ قال: «لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه. فيقول: لا أدري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه» وعند غيره بزيادة «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» (١).

فإذا لم يكن الإمام على رضى الله عنه متبعاً لرسول الله ﷺ قولاً وفعلاً وتقريراً وصفه فمن يتبعه إذن؟ وعلى. هو باب مدينة العلم.

وروى الطبري في الرياض النضرة (٥٩١) قال: وعن علي قال: طلبني النبي ﷺ فوجدني في حائط نائماً فضربنى برجله وقال: «قم. فوالله لأرضينك. أنت أخي، وأبو ولدي، تقاتل عن سنتي، من مات على عهدي فهو في كنز الجنة. ومن مات على عهدك فقد قضى نجه. ومن مات محبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت» [قال: خرجه أحمد في المناقب].

هذا: ويقول أهل العلم: ما جاء أحد بعد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه دافع عن سنة رسول الله ﷺ إلا الشافعي رضى الله عنه.

ولا عجب في هذا ولا غرابة. إن الشافعي رضى الله عنه من ورثة علم الإمام علي كرم الله وجهه من طريقتين: من مدرسة ابن عباس الفقهية بمكة على يد مسلم بن خالد الزنجي. وفي المدينة على يد مالك بن أنس عن ربيعة الرأي، وهاتان المدرستان ورثتا علم الإمام علي رضى الله عنه رضى الله تعالى عن أبي الحسن لقد كان مدافعاً عن سنة رسول الله ﷺ وسيتجلى لنا ذلك عندما نتحدث عن فقهه وقضائه رضى الله عنه.

وقد روت له كتب السنة عن رسول الله ﷺ خمسمائة وستة وثمانين حديثاً (٢).

(١) راجع كتابنا: الإمام الشافعي فقيهاً ومحدثاً. فإنه كثير الفائدة في هذا الموضوع.

(٢) الخلفاء الراشدون: ٤٩٤.

## علم الكلام

علم الكلام، ويسمى: علم التوحيد، وعلم العقيدة، وعلم أصول الدين.

وموضوعه هو: البحث في الإلهيات وفي النبوات وفي السمعيات.

وأجمع العلمناء من المتكلمين أنه أشرف العلوم، لأن شرف العلم من شرف موضوعه وموضوعه - كما ذكرنا - هو لبحث في أشرف المسائل كونها تتعلق بالله تعالى وبأنبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إن سيدنا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، كان كغيره من أصحاب النبي ﷺ. الذين رباهم النبي عليه الصلاة والسلام في مدرسته المحمدية تربية إسلامية رفيعة قائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وكان الإمام رضى الله عنه أكثرهم عناية وأوفرهم حظا. لقربته من رسول الله ﷺ ولحضنته ورعايته له. مربيا ومعلما لعلى الذى قدر له أن يتربى في بيت النبي ﷺ وأن ينشأ تحت رعايته فهو أستاذه ومعلمه الوحيد، ولم يتلمذ علىّ على أحد سواه صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحابه أجمعين.

فهؤلاء الأصحاب ومنهم الإمام علىّ قد تعلموا العقيدة الإيمانية من القرآن الكريم ومن سنة رسول الله ﷺ. لقد قرأوا النصوص المنزلة في الكتاب وسمعوا الأحاديث وتوقفوا عند النص وهم أعلم المسلمين بالإسلام وبلغت العرب. ولم يلعب الشيطان بعقولهم ولم تزين لهم أهواؤهم القول على الله تعالى بغير علم. ولم يسمحوا لأنفسهم ولا لغيرهم أن يُعمل عقله في أمور العقيدة.

وبعد عصر الصحابة رضى الله عنهم. تسلت الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات إلى العقل العربى الإسلامى. فكان نتاج هذا الأمر هو: ظهور الفرق والمدارس التى تبحث في مسائل العقيدة. «وستفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة» من هم يا رسول الله؟ قال: «هم من كانوا على مثل ما أنا عليه وأصحابى».

ظهرت: المعتزلة. والأشعرية والماتوريدية والمرجعة. واقدرية والجهمية. والشيعية وغيرهم. وكان لكل فرقة اتجاهها خاصة بها. ويضمهم جميعا. منهج الجدال والكلام العقلي لذلك رفضهم الأئمة الأربعة. وخاصة الإمام الشافعي رضى الله عنهم.

هذا ويزعم بعض الناس ممن كانوا يتسولون على موائد أصحاب السلطان والحكام أن علم الكلام أو علم التوحيد إنما نقل عن الإمام على كرم الله وجهه، فكان أول المتكلمين فيه وإليه ينتهى. وهذا محض افتراء وكذب على الإمام الذى تربى فى بيت النبوة. وشرب صافى نبعها. فهل يعقل عاقل، أن يشتغل الإمام على بمثل هذه المسائل وبطريقة المتكلمين وحسب منهجهم الجدلى؟

يقول شيخنا الباقورى (١) رحمه الله تعالى:

إن بعض الذين كتبوا عن الإمام - كرم الله وجهه - يزعمون أن علم الكلام أو علم التوحيد. إنما نقل عنه وإليه انتهى. ومنه بدأ.

ذلك أن المعتزلة. الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر إنما هم تلاميذ على - كرم الله وجهه - لأن كبيرهم: واصل بين عطاء تلميذ أبى هاشم ابن محمد بن الحنفية. وأبو هاشم هذا. هو: تلميذ أبيه محمد. وأبوه تلميذ الإمام على - كرم الله وجهه - فهو أصل المعتزلة.

وأما الأشعرية: فإنك تعلم أنهم ينتمون إلى: أبى الحسن: على بن أبى بشر الأشعرى وأبو بشر. تلميذ أبى على الجبائى. وأبو على: هو أحد مشايخ المعتزلة.

فالأشعرية ينتهون إلى أستاذ المعتزلة. وهو: على كرم الله وجهه.

ولعلك سائل بعد ذلك عن السبب الذى حمل أولئك الكاتبين على اعتبار الإمام أستاذا لأهل الاعتزال.

---

(١) على إمام الأئمة: ٣٥ - ٣٧.

فإليك إجمال ما يقال فى هذا المجال . من أن المعتزلة يذهبون إلى نفي صفات المعانى القديمة التى يثبتها الأشعرية . بقولهم : إن الله تعالى صفات كثيرة تبتدئ بالصفة الذاتية . وهى أنه تعالى واجب الوجود . ثم تجئ بعد ذلك فى المرتبة الثالثة : صفات المعانى . وهى : صفات وجودية قائمة بذاته تقدست أسماؤه وجل ثناؤه وصفات المعانى هذه : يثبتها الأشعرية لذات البارى – سبحانه وتعالى – فى الوقت الذى ينفيها عنه أهل الاعتزال (فرقة المعتزلة) .

وحجتهم فى ذلك : كلمة للإمام . رواها عنه : الشريف الرضى . وفيها يقول الإمام كرم الله وجهه : « أول الدين معرفة الله تعالى . وكمال معرفته : التصديق به . وكمال التصديق به : توحيدده وكمال توحيدده : الإخلاص له . وكمال الإخلاص له : نفي الصفات عنه . بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة . فمن وصف الله تعالى سبحانه : فقد قرنه . ومن قرنه : فقد ثناه . ومن ثناه : فقد جزأه ، ومن جزأه : فقد جهله . »

وبهذه الكلمة التى نسبها الشريف إلى الإمام . تجتمع للناظر قضيتان كلاميتان خطيرتان كلتا هما تحتاج إلى وقفه تنغيًا – فى حدود الإمكان – إحقاق الحق وإبطال الباطل وعلى الله قصد السبيل .

وأزلى القضيتين : نسبة الإمام إلى المعتزلة . على أنه رأسهم ومعلمهم . ثانيتهما : نسبته إلى القول بنفي صفات المعانى عن ذاته العلية كما هو مذهب أهل التعطيل فأما نسبته إلى المعتزلة على أنه رأسهم ومعلمهم . فذلك لغو من القول لا يسلك سبيله إلا ولى جاهل . أو عدو أحقق ، وإلا فإن عليا – ربيب محمد وخريج بيت النبوة – لا يقع فى وهم عاقل أن يكون من أولئك الذين انحرف بهم الهوى عن سواء السبيل . فاستحق بذلك فى زعم الزاعمين : أن يكون من أهل الاعتزال أو شيخا من شيوخهم ومعلما من معلمهم وأما نسبته إلى أهل التعطيل الذين ينفون صفات المعانى عن الذات العلية ، فإنها نسبة أشد إيغالا فى باب الجهالة ، وأبين عتوا فى معنى الضلالة .

ومهما حاول أصحاب هذا الزعم أن يحتجوا له بالكلمة التي رواها الشريف عن الإمام . فإنها حجة داحضة . لظهور أثر الصنعة فيها ظهورا يساير ما كان قد نشأ في دولة بنى العباس من ثقافة اليونان وطرائق تفكيرهم إبان حياة الشريف الرضى غفر الله له . وإلا فإن مسلما صحيح العقيدة لا ينفى عن الله ما وصف سبحانه به نفسه . وما وصفه به أعرف الخلق بالله وأنصحهم للأمة : محمد ﷺ رسول الله وفيض رحمته للعالمين .

هذا وليس يخفى على البصراء بشئون الاجتماع في عصر بنى العباس . أن من أهل العلم من كان يؤلف الكلام يطلب به رفعة الجاه ونعمة الثراء عند الخلفاء والولاة وأعيان الدولة .

ثم يقول : وليس يخفى على المتأمل البصير : أن الذين يكذبون على رسول الله ﷺ - ويختلقون عليه أحاديث لم يقلها . ويختلقون خطبا على السنة الخلفاء الراشدين . لا يصعب عليهم أن يختلقوا خطبة على لسان الإمام عليّ ينتصرون بها لمذاهبهم . ابتغاء الظفر برفعة الجاه والاستمتاع بنعمة الثراء . هـ .

وأقول - مستعينا بالله تعالى - : إن تربية الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في بيت النبوة . وتحت سمع وبصر النبي ﷺ . واستمرار علمه وثقافته الإسلامية من في رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . وإشارته له بأنه المدافع عن سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام (١) . لذا يقول العلماء : ما جاء أحد مدافعا عن سنة رسول الله ﷺ بعد : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلا الإمام الشافعي رضى الله عنه .

والرسول ﷺ يأمرنا باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده . ومن سنته قوله عليه الصلاة والسلام : «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» .

---

(١) انظر ما سبق في فقرة : السنة النبوية من هذا الكتاب والحديث رواه الطبري في الرياض النضرة : ٥٩١ .

وقوله: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك» .. والحديثان مشهوران .  
 فهل يتصور عاقل أن الراشدين أو أحدهم يخالفون قول النبي ﷺ فيما وصف به ربه عز وجل بما أوحى به إليه، فينفي على بن أبي طالب كرم الله وجهه عن الله صفاته؟ إنه قول زور وبهتان . وأعتقد أنه صدر من محب غال أو من عدو حاقد . أو من مبتدع أراد بذلك الانتصار لمذهبه وتاصيل القول بزعم المعتزلة بنفي الصفات والقول بالتعطيل فهذا القول الذى نسبه إليه الشريف الرضى . كذب وزور وبهتان ولا أتهم الشريف الرضى لأنه يكتب ما يسمع شأنه . شأن غيره ممن يجمعون أقوال الناس ورواياتهم . وإن كنت أعتب عليه . عدم النظر والتمحيص مما جمع من روايات قبل أن يصنفها فى كتابه .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠] .

إن الإمام علىّ برئ من هذا القول براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام . فلم يكن يقول بما قال به المعتزلة (١) . وإنما كان يقول بما جاء به النبي ﷺ من قرآن وسنة . روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أرحم الناس بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى أمر الله تعالى عمر . وأشهدهم حياء عثمان وأقضاهم على . وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل . وأفضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبى بن كعب . ولكل أمة أمين . وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح . وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر . أشبه عيسى عليه السلام فى ورعه) . فقال عمر رضى الله عنه : أتعرف ذلك له يا رسول الله؟ قال : «نعم . فأعرفوه له» .

(١) المعتزلة يقولون بنفى الصفات عن الذات العلية فيقولون : الله عالم بذاته قادر بذاته . مرید بذاته سمیع بذاته بصیر بذاته .. إلخ إنهم بهذا قد عطلوا الصفات . لهذا اعتبرهم السلف من المبتدعة فى قضية الصفات .

## الفقه والقضاء

الفقه لغة: هو الفهم العميق النافذ الذي يتعرف غايات الأقوال والأفعال ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾

[النساء: ٧٨]

وقوله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» [متفق عليه].  
وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وفى اصطلاح الفقهاء هو: العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية.

وعلى ذلك يكون موضوع علم الفقه يتكون من جزئين:

أحدهما: العلم بالأحكام الشرعية العملية. فالأحكام الاعتقادية كالواحدانية ورسالة الرسل وتبليغهم رسائل ربهم والعلم باليوم الآخر وما يكون فيه كل هذا لا يدخل في مضمون كلمة الفقه بالمعنى الاصطلاحي. وإنما هو موضوعات علم العقيدة.

والثاني: من موضوع علم الفقه: العلم بالأدلة التفصيلية لكل قضية من القضايا. فإذا ذكر مثلا. أن بيع المسلم لا بد فيه من تسليم رأس المال وقت العقد. أقام الدليل على ذلك من الكتاب أو من السنة أو من فتاوى الصحابة. وهكذا (١) هـ.

إن الفقه الإسلامي بدأ ظهوره منذ اللحظة الأولى لنزول القرآن الكريم بأحكام الشريعة من الشعائر المختلفة وأساليب العبادة المتعددة. وأمر النبي ﷺ بالتبيين للناس ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾.

(١) راجع كتابنا: الإمام الشافعي فقيها ومحدثا: ١٧٣.

فكان النبي ﷺ يبين للناس أحكام العبادة وكافة الشرائع وكيف يقومون بالتنفيذ حتى أكمل الله الدين وأتم النعمة ولحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى فاهتم الصحابة جميعاً بهذا الجانب . وكان مرجعهم وسندهم في هذا الأمر :

كتاب الله وسنة نبيه وإجماع الصحابة والأخذ بالقياس للأشباه والنظائر .

وكان الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه صاحب باع عريض وعلم غزير وثقافة واسعة في هذا الأمر . شهد له بذلك خيرة الصحابة والتابعون وأجله الأئمة والعلماء .

يقول الأستاذ الدكتور / محمد رواس قلعه جي في مقدمة كتابه الرائع « موسوعة فقه علي بن أبي طالب » (١)؛ ويتوجه فقه السلف . فقه الصحابة . ويتوج فقه الصحابة فقه المكثرين وأئمة الفتوى . منهم : عمر بن الخطاب ، وعلي ابن أبي طالب . وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود . وزيد ابن ثابت . وعائشة رضي الله عنهم جميعاً .

ويعتبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أكثر هؤلاء علماً بشهادة رسول الله ﷺ .

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى : أن رسول الله ﷺ قال لابنته فاطمة : « أما ترضين أن أزوجك أقدم أمتي سلماً [إسلاماً] وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً » .

وفي سنن الترمذي قول رسول الله ﷺ : « أنا دار الحكمة وعلي بابها » .

وقد أفتى علي رضي الله عنه في حياة رسول الله - ﷺ - وأقره الرسول علي ذلك . ثقة منه بمقدرته علي الفتيا .

ففي مصنف عبد الرزاق أن رجلاً من الأنصار أوطأ أحياناً - عش - نعامة

(١) طبعة ثانية / ٨-١٠ .

وهو محرم فكسر بيضته . فسأل عليا . فقال : « عليك جنين ناقة » أو قال : « ضراب ناقة » .

فخرج الأنصاري . فاتى رسول الله ﷺ فاخبره . فقال النبي ﷺ : « لقد سمعت ما قال علي . لكن هلم إلى الرخصة . صيام أو طعام مسكين » (١) .

ولذلك فقد عرف الصحابة قدر عليّ . فكانوا لا يقطعون أمرا ذا بال دون مشورته فقد استشاره أبو بكر . واستشاره عمر بن الخطاب وأكثر من مشورته . واستشاره عثمان بن عفان ، ففي كنز العمال : أن أبا بكر استشار عليا في أهل الردة . فقال له عليّ « إن الله جمع بين الصلاة والزكاة ولا أرى أن تفرق بينهما » فعند ذلك قال أبو بكر : « لو منعوني عقالا لقاتلتهم عليه كما قاتلهم رسول الله ﷺ » (٢) .

وفي مصنف عبد الرزاق : أن رجلا سأل عمر عن بيض النعام يصيبه المحرم . فقال عمر : أرايت عليا؟ اسأله . فإننا أمرنا أن نشاوره .

فقول عمر رضى الله عنه : « أمرنا » ينصرف إلى أن الأمر لهم هو رسول الله ﷺ كما هو مفهوم من كلام السلف رضوان الله عليهم .

ومن هنا كان كثير من الصحابة يلتمسون قول عليّ . فإذا ثبت لهم عنه قول لم يستجيزوا لأنفسهم مخالفته . فقد نقل ابن قدامة المقدسى فى كتابه « المغنى » عن حبر الأمة : عبد الله بن عباس أنه كان يقول : « إذا ثبت لنا عن علي قول لم نعهده إلى غيره » وما ذلك فإننا إذا ما قارنا بين ما نقل من الفقه عن علي رضى الله عنه . وما نقل منه عن عمر . أو عبد الله بن عمر . أو عبد الله بن عباس مثلا لوجدنا أن ما نقل عن علي هو الأقل مع أنه رضى الله عنه هو : الأعلم .

والسبب فى ذلك فيما أعتقد يعود إلى الأمور التالية :

( ١ ) إن علي بن أبى طالب بقى مستشارا للخلفاء الثلاثة السابقين له .

---

(١) المصنف لعبد الرزاق : ٤ / ٤٢٠ . (٢) كنز العمال برقم ١٦٨٤٥ طبع حلب .

يقدم إليهم مشورته وهى الفترة التى تم فيها تنظيم الدولة الإسلامية . ورسم خطها الواضح . ولذلك فإن أكثر اجتهاداته قد تبلورت فى الأنظمة والأحكام التى كانت تصدر عن الدولة . وبذلك كان على بن أبى طالب . الجندى المجهول الذى ساهم المساهمة الكبرى فى تنظيم الدولة الإسلامية ولما انتهى الأمر إليه كان الأمر قد اكتمل . ولم يعد بحاجة إلى أكثر من تطوير الأحكام والتنظيمات بما يتناسب وتطور الحياة .

( ب ) ولما ولى الخلافة لم تدم خلافته طويلا . وشغلته القلاقل الداخلية عن التفرغ لإعادة النظر فى التنظيم وتنقيحه .

فعن أيوب السختيانى قال : سمعت محمدا يقول لأبى معشر : إبنى أتهمكم فى كثير مما تذكرون عن على . لأنى قال لى عبيدة : بعث إلى على . وإلى شريح فقال : إبنى ابغض الاختلاف فاقضوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات أصحابى قال : فقتل على - كرم الله وجهه - قبل أن تكون جماعة .

( ج ) لقد كان على رضى الله عنه : عرضة لحب المحبين وبغض المبغضين كإى إنسان إلا أن الكثير من المحبين والمبغضين لعلى . لم يقفوا عند حد الاعتدال . فتجاوزوه إلى المغالاة . ولذلك كثر الدس عليه . والدس له . مما جعل العلماء يتحرون جدا النقل عنه بل دفع البعض إلى تحاشى النقل عنه إلا نادرا خوف الزلل . كل هذه الأسباب كانت عوامل هامة فى قلة المنقول من فقه على رضى الله عنه إذا قيس بفقه غيره من جبال العلم من الصحابة رضوان الله عليهم . أ . هـ .

ولما كان هذا القول موافقا لما أنا مقتنع به ومطمئن إليه . آثرت أن أنقله بنصه راجيا الله تعالى أن يجزى مؤلف هذه الموسوعة الفقهية العظيمة لفقهاء الصحابة وعلمائهم خير الجزاء وأن يثيبه عن خدمة العلم والإسلام الثواب الجزيل والفضل العميم إنه سميع مجيب ومما لا شك فيه أن الصحابة الكرام - وخاصة العلماء منهم - كانوا خيرة الناس إيماننا وأعظمهم إسلاما وأكثرهم علما وأوسعهم

فهما . فقد تلقوا العلم غضا بضا من فم النبي ﷺ . « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم » .

وقد قال الأصوليون من الفقهاء : إذا اتفق الصحابة على أمر كان اتفاقهم حجة نأخذ ما اتفقوا عليه . وإذا اختلفوا نأخذ بقول أعلمهم مثل ما كانوا هم يفعلون . بل إن بعض الأئمة وهو الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه كان يقدم رأى الصحابة على الحديث الضعيف .

وأعلمُ الصحابة هم كبارهم . وعلى رأسهم : على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وهم جميعا كانوا يعرفون له هذا الفضل . وقلة الوارد عنه لا يدل على قلة علمه . وإنما كان سبب ذلك هو الخوف ممن غالوا فيه أن ينقلوا إلينا أشياء هو منها برئ ويخلطونها بما قال . وقد رأينا بعض روايات ومرويات نهج البلاغة مزورة وملفقة ومدسوس فيها ما لم يقله الإمام . والشريف الرضى : قد جمعها دون بحثها ونقدها .

يقول ابن أبى الحديد - شيعى معتدل - شارح نهج البلاغة للشريف الرضى . عفا الله عنه : اعلم - رحمك الله - أن أصل الأكاذيب فى أحاديث الأفاضل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا فى مبدأ الأمر أحاديث مختلقة . حملهم على وضعها : عداوة خصومهم .

فلما رأت البكرية - أنصار أبى بكر - ما صنعت الشيعة . وضعت لصاحبها أحاديث فى مقابلة أحاديث الشيعة لصاحبهم على عليه السلام . وذلك نحو الحديث الذى يقول « لو كنت متخذًا خليلًا ، لاتخذت أبا بكر » (١) فقد

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه مسلم وأبو حاتم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لو كنت متخذًا خليلًا . لاتخذت أبا بكر خليلًا ، ولكن أخى وصاحبى . وقد اتخذ الله صاحبكم خليلًا » .

ورواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لو كنت متخذًا خليلًا . لاتخذت أبا بكر خليلًا . ولكن أخى وصاحبى » وفى رواية له أيضا : « لو كنت متخذًا من أمتى خليلًا لاتخذته خليلًا . ولكن أخوة الإسلام أفضل » [الرياض النضرة للطبرى ص ١٥١] فليس الحديث من وضع أنصار أبى بكر كما يدعى ابن أبى الحديد .

وضعت الشيعة فى مقابلة هذا الحديث حديث الإخاء الذى قال فيه رسول الله ﷺ لعلّى « أنت أخى فى الدنيا والآخرة » (١).

وعلى قدر ما ذكر الشيعة فى صاحبهم على من الفضائل، ذكر البكرية مطاعن كثيرة فى على وفى ولديه. فنسبوه تارة إلى ضعف العقل. وتارة إلى ضعف السياسة. وتارة إلى حب الدنيا، والحرص عليها. ولقد كان الفريقان فى غنية عما اكتسباه وإجترحاه إذ كان فى فضائل على الثابتة الصحيحة. وفضائل أبى بكر المحققة المعلومة ما يغنى عن تكلف العصبية لهما. فوق أن هذه العصبية أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل، ومن تعديد المحاسن إلى تعديد المساوىء والمقايح. والله المسئول أن يعصمنا من الميل إلى الهوى وحب العصبية. وأن يجربنا على ما عودنا من حب الحق أينما وجد وحيثما كان. سخط ذلك من سخطه. ورضيه من رضيه والله يحب المحسنين (٢) أ.هـ. ولا أدرى من أين أتانا ابن أبى الحديد باسم هذه الطائفة التى تسمى: البكرية. فنحن لم نقرأ فى تاريخ هذه الحقبة شيئاً عن هذه الطائفة التى نسجها وهم وخيال الشيعة.

رحم الله أبا الحسن فلقد كان كما وصفه الحسن البصرى رضى الله عنه « كان على ربانى هذه الأمة » وأطلق عليه العلماء « إمام الأئمة ».

أخرج النسائى عن أبى زكريا: يحيى بن آدم بن سليمان الأموى قال: حدثنا: شريك عن سماك بن حرب عن حنثش بن المعتمر عن على كرم الله وجهه. قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن، وأنا شاب فقلت: يا رسول الله

---

(١) الحديث لبس من وضع شيعة على رضى الله عنه. فقد أخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه. فجاء على تدمع عيناه. قال: يا رسول الله. آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد. قاله له رسول الله ﷺ « أنت أخى فى الدنيا والآخرة ». وخرجه البغوى أيضاً فى المصابيح الحسان [الرياض النضرة: ٥٩١] فليس الحديث كما يدعى ابن أبى الحديد من وضع الشيعة.

(٢) على إمام الأئمة: ١٤٢، ١٤٣ نقلا من شرح ابن أبى الحديد لنهج البلاغة.

تبعثنى وأنا شاب إلى قوم ذوى أسنان أفضى بينهم. وليس لى علم بالقضاء؟ فوضع يده ﷺ على صدرى ثم قال: «إن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك» ثم أوصانى فقال: «إذا اجلس إليك الخصمان فلا تقضى بينهما حتى تسمع من الآخر كَمَا سمعت من الأول فإنك إذا فعلت ذلك تبتدى لك وجه القضاء».

يقول الإمام رضى الله عنه: فلا والله ما أشكل على قضاء بعد ذلك.

وروى فى الحديث الصحيح قول النبى ﷺ: «أقضاكم على».

ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو

الحسن».

وقال أمرأ الناس «لا يفتين أحد فى المسجد وعلى حاضر».

هذا: ويزعم بعض الباحثين<sup>(١)</sup> أن فقه الأئمة الأربعة - أبو حنيفة. ومالك. والشافعى. وأحمد - يرجع إلى فقه الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه. وهذا تكلف منهم تنقصه الدقة لأن أئمة الفقه الإسلامى قد أخذوا عن جميع علماء الصحابة. ولم يخصصوا فقه الإمام وحده وهذا النقل عن علماء الصحابة ثابت فى كتب الفقه فى المذاهب الأربعة. وهذا لن ينقص من قدر الإمام كرم الله وجهه. وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر.

### ● نماذج من فقه الإمام:

١ - فعن المرأة التى ولدت لستة أشهر. روى عن يونس أبو الحسن: أن عمر أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر. فهم برجمها. فقال له عليّ: «إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ويقول جل قائلًا: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾. فإذا كانت مدة الرضاعة حولين كاملين وكان حملة وفساله ثلاثين

(١) العقاد والباقرى والدكتورة: سعاد ماهر والقول فى الاصل: لابن أبى الحديد -

شيعى معتدل .

شهرًا. كان الحمل فيها ستة أشهر. فخلى عمر سبيل المرأة. وثبت الحكم بذلك وعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ عنهم إلى يومنا هذا.

٢ - وعن الحامل الزانية: روى أنه أتى عمر بحامل قد زنت. فأمر بوجعها. فقال له على: هب أن لك سبيلا عليها. فأى سبيل لك على ما فى بطنها، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ فقال عمر: «لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن» ثم قال: فما أصنع بها؟ قال: احفظ عليها حتى تلد. فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله. فأقم عليها الحد.

٣ - وعن المسألة المنبرية. قيل: سئل على وهو على المنبر عن نصيب: بنتين وأبوين وزوجة فأجاب على الفور. صار ثمنها تسعا وهذه المسألة لو صحت - لكانت مبنية على العول. وهو إدخال النقص عند ضيق المال عن السهام المفروضة على جميع الورثة بنسبة سهامهم فهنا للزوجة: الثمن. وللأبوين: الثلث. وللبنتين: الثلثان. فضايق المال عن السهام لأن الثلث والثلثين. تم بهما المال، فمن أين يؤخذ الثمن؟ فمن نفى العول قال: إن النقص يدخل على البننتين. والفريضة من أربعة وعشرين. للزوجة ثمنها ثلاثة. وللأبوين ثلثها: ثمانية. والباقي ثلاثة عشر للبنتين نقص من سهمهما ثلاثة. ومن أثبت العول. قال: يدخل النقص على الجميع. فيزاد على الأربعة والعشرين. ثلاثة. فتصير: سبعة وعشرين. للزوجة منها: ثلاثة وللأبوين: ثمانية. وللبنتين: ستة عشر. والثلاثة هي تسع السبعة والعشرين. فهذا معنى قوله «صار ثمنها تسعا». أ. هـ [مشهد الإمام على فى النجف: ٤٢].

٤ - جاء ثلاثة نفر يختصمون فى ولد. وقعوا على امرأة فى طهر واحد. فقال لاثنين: طيبا نفس بهذا الولد. فرفضا. فقال على: أنتم شركاء متشاكسون، إنى مقرع بينكم. فمن قرع له. فله الولد. وعليه ثلثا الدية لصاحبيه. فأقرع بينهم. فقرع لأحدهم. فدفع إليه الولد.

فلما أخبر النبي ﷺ بقضاء علي ضحك حتى بدت نواجذه . وقال : « ما أعلم فيها إلا ما قال علي » .

٥ - ويحدث علي عن واقعة أخرى كادت تثير معركة بين جماعة من الناس لولا أنه فصل بينهم بقضائه الحكيم . فيقول : بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن . فانتهينا إلى قوم قد بنو زببة - حفرة مغطاة مصيدة للأسد فإذا مر فوقها وقع فيها - للأسد فبينما هم كذلك يتدافعون . إذ سقط رجل فتعلق بآخر . ثم تعنق آخر بآخر . حتى صاروا فيها أربعة فجرحهم الأسد . فانتدب له رجل بحربة فقتله . وماتوا من جراحتهم كلهم . فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر . فأخرجوا السلاح ليقتتلوا . فاتاهم علي علي تعبية ذلك فقال : أتريدون أن تقاتلوا ورسول الله ﷺ حي ؟ إنني أقضي بينكم قضاء . إن رضيتم فهو القضاء . وإلا احجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي ﷺ . فيكون هو الذي يقضى بينكم . فمن عدا بعد ذلك فلا حق له . اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر . ربع الدية ، وثلث الدية ، ونصف الدية . والدية كاملة فللأول الربع ، وللثاني ثلث الدية . وللثالث نصف الدية . وللرابع الدية (١) . فأبوا أن يرضوا فاتوا النبي ﷺ وهو عند مقام إبراهيم ، فقصوا عليه القصة . فقال : « أنا أحكم بينكم » فقال رجل من القوم : يا رسول الله : إن عليا قضى علينا . فقصوا عليه القصة فأجازه رسول الله ﷺ .

٦ - وجاءته امرأة تشكو إليه أخاها ورث ستمائة دينار . ولم يقسم لها من ميراثه غير دينار واحد . فأجابها بسرعة بديهته وقال : « لعله ترك زوجته وابنتين وأما واثني عشر أخا وأختا » فكان الأمر كما قال رضي الله عنه . أهـ [الخلفاء الراشدون] .

٧ - ولما أراد أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يخرج علي

---

(١) لأن الأول كان سببا في هلاك الثلاثة الذين هلكوا معه . فسقط من ديته ثلاثة أرباع وبقي له الربع وللثاني الثلث لأنه كان سبب هلاك اثنين . وللثالث النصف لأنه تسبب في هلاك واحد . والرابع لم يتسبب في هلاك أحد فله الدية كلها كاملة .

رأس الجيش فى فتح فارس . أشار عليه الإمام على بأن لا يخرج على رأس الجيش . فاستجاب عمر لمشورته لأنه من المفروض أن لا يتعرض رأس الدولة للأعداء فيجعلون همهم كله الإحاطة به ليقتلوه أو يأسروه . لأنه الهدف الأكبر للعدو .

والأمر بالنسبة لرئيس الدولة يختلف عنه بالنسبة لرسول الله ﷺ . لأن النبي ﷺ محفوظ بحفظ الله تعالى . قال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧]

قال على كرم الله وجهه لأمير المؤمنين عمر: «إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة . وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذى أعده وأمهده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيثما طلع . ونحن على موعود من الله . والله منجز وعده ، وناصر جنده . ومكان القيم بالأمر مكان النظم من الخرز يجمعه ويضمه . فإذا انقطع النظام تفرق الخرز وذهب . ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا - والعرب اليوم - وإن كانوا قليلا - فهم كثيرون بالإسلام . عزيزون بالاجتماع . فكن قطبا ، واستدر الرحا بالعرب . واصلهم دونك نار الحرب . فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها . حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك . إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا : هذا أصل العرب ، فإذا اقتطعتموه . استرحتم . فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك - فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك . وهو أقدر على تغيير ما كره . وأما ما ذكرت من عددهم . فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة . وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة .»

ولما أخذ عمر بمشورة على هذه أمر سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه على المسلمين فى بضع وثلاثين ألفا . وكان جيش الفرس مائة وعشرين ألفا بقيادة يزدجرد رستم وفى هذه المعركة نصر الله المسلمين على الفرس . وأسروا بنات كسرى الثلاث وجرى بهن إلى أمير المؤمنين عمر . فحماهن الإمام على رضى الله عنه

من السبأ ثم زوجهن بالاكفاء لهن من العرب واحدة للحسين بن علي . أنجبت له : علي زين العابدين . والثانية . لعبد الله بن عمر . فأنجبت له ونده سالم والثالثة لمحمد بن أبي بكر فأنجبت له القاسم .

فكان هؤلاء الاولاد الثلاثة . أبناء الخالات ، هم أعلم علماء زمانهم رضى الله عنهم ورحم الله عليا فقد كانت مشورته صائبة وكانت فراسته حقه .

٨ - وروى ابن القيم فى اعلام الموقعين . قال : والأثر المروى عن على رضى الله عنه هو : أن رجلا تزوج امرأة وأراد سفرا . فأخذه أهل امرأته . فجعلها الرجل طالقا إن لم يبعث بنفقتها إلى شهر . فجاء الأجل ولم يُبعث إليها شئ فلما قدم الرجل من سفره خاصموه إلى على . فقال كرم الله وجهه : إنكم اضطهدتموه حتى جعلها طالقا . ثم رد عليه زوجته .

٩ - وروى الثقات : أن أمير المؤمنين : عمر جئ إليه بامرأة حامل ليقيم عليها الحد وقد اتهمت عنده بالفجور . فأمر بها رضى الله عنه . أن ترحم . ولكن رحمة الله ساقطت إليها الإمام كرم الله وجهه فردها عن الحفرة . ثم قال لأمير المؤمنين عمر : هل أمرت بها أن ترحم ؟ قال : نعم . اعترفت عندى بالفجور . فقال الإمام كرم الله وجهه : لعلك انتهرتها أو أخفتها ؟ فقال عمر : قد كان ذلك .

فقال الإمام : إن رسول الله ﷺ يقول : « لا حد على معترف بعد بلاء » .

ومن قيد أو حبس أو هدد . فلا إقرار له .

ولم يجد عمر رضى الله عنه . ندحة عن إخلاء سبيلها ، فتركها ثم قال : « عجز النساء أن يلدن مثل على » ثم قال : « لولا على لهلك عمر » .

١٠ - ومن أفضيته كرم الله وجهه - ما يرويه العلامة : التسترى . من أن أمير المؤمنين عمر جئ إليه بخمسة نفر أخذوا فى قضية الزنى . فأمر رضى الله عنه أن يقام على كل واحد منهم الحد . فجاء الإمام على كرم الله وجهه . فقال : ليس هذا حكمهم يا أمير المؤمنين فقال له عمر : أقم أنت عليهم الحد يا أبا الحسن .

قام فقدم واحدا منهم فضرب عنقه . ثم قدم الثانى فرجمه . ثم قدم الثالث فضربه الحد ثم قدم الرابع فضربه نصف الحد . ثم قدم الخامس فعزره .

فتحير أمير المؤمنين عمر وتحير الناس معه . فقال له : يا أبا الحسن . خمسة نفر فى قضية واحدة . أقتت عليهم خمسة حدود ، وليس منها شئ يشبه الآخر .

فقال الإمام كرم الله وجهه : أما الأول : فكان ذميا ، خرج عن ذمته . فلم يكن له حكم إلا السيف . وأما الثانى : فرجل محصن فحدده الرجم . وأما الثالث : فغير محصن . فحدده الجلد وأما الرابع : فعبد ، فضريناه نصف الحد . وأما الخامس : فمجنون مغلوب على عقله فعزرناه .

١١ - روى القرطبى عن الشعبى . قال : بلغ عمر بن الخطاب أن امرأة من قريش تزوجها رجل من ثقيف فى عدتها . فاستقدمها عمر مع زوجها . وفرق بينهما قائله : « لا تتزوجها أبدا » ثم جعل أمير المؤمنين عمر . صداقها فى بيت المال . وقد فشا ذلك فى الناس .

فلما بلغ الإمام - كرم الله وجهه - جعل يقول : « یرحم الله أمير المؤمنين عمر » ما بال الصداق وبيت المال ؟ إنما جهل الزوجان . فعلى الإمام أن يردهما إلى السنة .

فقال له قائل : فما تقول أنت فيهما ؟ فقال : « لها الصداق بما استحلت منها .. ويفرق بينهما . ولا جلد عليهما .. وعليها أن تكمل عدتها من الأول . ثم تعتد من الثانى عدة كاملة ثلاثة أقرأء . ثم يخطبها الرجل إن شاء » .

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر . خطب الناس فقال : « أيها الناس . ردوا الجهالات إلى سنة رسول الله ﷺ . وليس لأحد أن يفتى فى المسجد وعلى حاضر » أ.هـ [بتصرف إمام الأئمة] .

١٢ - وذكر ابن القيم فى الطرق الحكمية . من قضايا ثبوت النسب . فقال :

ومن الحكم بالفراسة والأمارات . ما رواه محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال : خاصم غلام من الأنصار أمه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فجحده . فسأله البينة فلم تكن عنده ، وجاءت المرأة بنفر فشهدوا أنها لم تنزج . وأن الغلام كاذب عليها ، وقد قذفها فأمر عمر بضربه . فلقى على رضى الله عنه . فسأل عن أمرهم . فأخبر . فدعاهم ، ثم قعد فى مسجد النبى ﷺ ، وسأل المرأة فجحدت . فقال للغلام : أجحدها كما جحدتك فقال : يا ابن عم رسول الله ﷺ : إنها أمى . قال : اجحدها . وأنا أبوك والحسن والحسين أخواك . قال : قد جحدتها وأنكرتها . فقال على لأولياء المرأة : أمرى فى هذه المرة جائز؟ قالوا : وفينا أيضا . فقال على : أشهد من حضرنى أنى قد زوجت هذا الغلام من هذه المرأة الغربية منه . يا قنبر . ائتنى بطينة فيها دراهم . فاتاه بها . فعد أربعمائة وثمانين درهما ، فدفعها مهرا لها . وقال للغلام : خذ بيد امرأتك ولا تاتنا إلا وعليك أثر العرس .

فلما ولى . قالت المرأة : يا أبا الحسن : الله . الله . هو النار . هو والله ابنى .

قال : وكيف ذلك؟ قالت : إن أباه كان هجينا . وإن إخوتى زوجونى منه . فحملت بهذا الغلام ، وخرج الرجل غازيا فقتل . وبعثت بهذا إلى حى بنى فلان . فنشأ فيهم وأنفت أن يكون ابنى .

فقال على : أنا أبو الحسن . وألحقه بها . وثبت نسبه .

١٣ - ومن ذلك : أن عمر بن الخطاب سأل رجلا كيف أنت؟ فقال : ممن يحب الفتنة ويكره الحق . ويشهد على ما لم يره . فأمر به إلى السجن . فأمر على برده ، وقال : صدق قال : كيف صدقته؟ قال : يحب المال والولد ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] ويكره الموت . وهو حق ، ويشهد أن محمدا رسول الله ، ولم يره .

فأمر عمر بإطلاقه ، وقال : الله أعلم حيث يجعل رسالاته .

١٤ - على يفتضح محتالة : وقال جعفر بن محمد - الصادق - أتى عمر بن

الخطاب رضى الله عنه بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار . وكانت تهواه . فلما لم يساعدها احتالت عليه . فأخذت بيضة . فألقت صفرتها . وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيهما .

ثم جاءت إلى عمر صارخة فقالت : هذا الرجل غلبنى على نفسى وفضحنى فى أهلى . وهذا أثر فعالة فسأل عمر النساء : فقلن له : إن ببدنها وثوبها أثر المنى فهم بعقوبة الشاب . فجعل يستغيث ويقول : يا أمير المؤمنين . تثبت فى أمرى . فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها . فلقد راودتنى عن نفسى . فاعتصمت .

فقال عمر : يا أبا الحسن ما ترى فى أمرهما؟ فنظر على إلى ما على الثوب . ثم دعا بماء حار شديد الغليان . فصب على الثوب فجمد ذلك البياض . ثم أخذه واشتمه وذاقه . فعرف طعم البيض . وزجر المرأة . فاعترفت .

١٥ - وقضى على فى امرأة تزوجت . فلما كان ليلة زفافها . أدخلت صديقها الحجلة - بيت العروس - سرا . وجاء الزوج . فدخل الحجلة فوثب إليه الصديق فاقتتلا . فقتل الزوج . الصديق فقامت المرأة فقتلته . فقضى بدية الصديق على المرأة . ثم قتلها بالزوج .

وإنما قضى بدية الصديق عليها . لأنها هى التى عرضته لقتل الزوج له . فكانت هى المتسببة فى قتله وكانت أولى بالضمان من الزوج المباشر . لأن المباشر قتله قتلا مأوذنا فيه . دفعا عن حرمة .

فهذا من أحسن القضاء الذى لا يهتدى إليه كثير من الفقهاء . وهو الصواب . أ . هـ ابن القيم .

١٦ - ضمان ما أتلف إذا كان مالا متقوما عند المتلف له . كالثوب والطعام ونحوهما :

قال على : « من خرّق ثوبا لغيره أو أكل طعاما لغيره أو كسر عودا لغيره ضمن . » .

وروى زيد بن علي في مسنده أن مسلماً قتل خنزيراً لنصراني فضمنه علي قيمته وقال: «إنما أعطيناهم الذمة علي أن يتركوا يستحلون من دينهم ما كانوا يستحلون من قبل».

١٧ - ويجوز للمسلم أن يؤجر نفسه من كافر ليعمل عنده. وقد أجر علي نفسه من يهودى يستقى له كل دلو بتمرة. وأتى النبي ﷺ فأكل منه وفي رواية: أنه اشترط أن تكون هذه التمرة جلدة.

١٨ - وقال: «أبما رجل خرج إلى أرض فضاء فحضرت الصلاة. فليتخير أطيب البقاع وأنظفها فإن كل بقعة تحب أن يذكر فيها الله. فإن شاء أذن وأقام. وإن شاء أقام وصلى».

وقال: «لا تؤذن المرأة ولا تقيم».

وقال: «المؤذن أملك بالأذان» أى أنه أمير نفسه يؤذن متى شاء متى دخل الوقت.

١٩ - وقال: «ليس لمستكره طلاق».

٢٠ - وقال رضى الله عنه فى إقامة العدل بين الناس:

(ثلاث من كن فيه من الأئمة صلح: أن يكون إماماً اضطلع بأمانته. إذا عدل فى حكمه. ولم يحجب دون رعيته. وأقام كتاب الله فى القريب والبعيد).

وقال: (خمسة إلى الإمام: صلاة الجمعة، والعيدين، وأخذ الصدقات، والحدود، والقضاء، والقصاص).

٢١ - ذكر أبو عبيد بن سلام فى الأموال: (أن علياً لم يرزأ بيت مال المسلمين حتى فارق الدنيا، غير جبة محشوة. وخميصة دار بجر دية) - نسبة إلى: درا بجر د.

وروى أحمد في المسند عن عبد الله بن زهير قال: دخلت على عليّ كرم الله وجهه يوم الأضحى . فقرب إلينا حريرة . فقلت: أصلحك الله . لو قربت إلينا من هذا البط، فإن الله قد أكثر الخير . فقال: يا ابن زهير: إني سمعت رسول الله - عليه الصلاة والسلام - يقول: ( لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان . قصعة يأكلها هو وأهله . وقصعة يضعها بين يدي الناس ) .

٢٢ - اتفقت الرواية عن علي كرم الله وجهه أن شهادة المرأة لا تقبل في الحدود ولا في القصاص ولا في النكاح ولا في الطلاق .

قال علي: ( لا تجوز شهادة النساء . في الطلاق والنكاح والحدود والدماء ) [المصنف ٨ / ٣٢٩] وتقبل شهادة النساء فيما عدا ذلك .

٢٣ - وكان الإمام رضى الله عنه يقول فى سجوده:

اللهم لك سجدت . ولك أسلمت . وبك آمنت . وعليك توكلت . وأنت ربى . سجد لك سمعى وبصرى ولحمى ودمى وعظامى وعصبى وشعرى وبشرى . سبحان الله سبحان الله .

وفى رواية: سبحان ربى الأعلى ثلاثا . . قال رضى الله عنه: أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد وهو ساجد: رب إني ظلمت نفسي كثيرا فاغفر لى . ولا يقرأ فى سجوده شيئا من القرآن الكريم . قال علي كرم الله وجهه: « لا تقرأ وأنت راکع ولا أنت ساجد » .

٢٤ - وكان علي رضى الله عنه يجيز المسح على الجوربين . ويجعله كالمسح على الخفين فعن كعب بن عبد الله قال . رأيت علي بن أبى طالب رضى الله عنه بال فمسح على جوربيه ونعليه . [كنز العمال ٢٧٦١٦] .

٢٥ - ولا يجب الوضوء مما مسته النار سواء أكان لحم جزور أو غيرها . وقد كان علي لا يتوضأ مما مسته النار . وروى البيهقى: أن علياً طعم خبزاً ولحماً . فقيل له: ألا بتوضأ؟ فقال: إن الوضوء مما خرج وليس مما دخل .

وفى مصنف «ابن أبى شيبة»: أن عليا أكل لحم جزور ثم قام فصلى ولم يتوضأ<sup>(١)</sup>. أ. هـ. ونكتفى بهذا القدر من فتاوى الإمام وقضائه. وهو قدر مع قلته يبصرنا بما كان عليه الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه من العلم والفقّه. وبما كان يتمتع به من سعة الأفق والقدرة على الفهم الصحيح الواعى لأحكام الشريعة الإسلامية. رضى الله عنه وأرضاه.

\* \* \*

---

(١) الفقرات من ١٦ - ٢٥ نقلا من كتاب: موسوعة فقه على بن أبى طالب للدكتور / محمد رواس قلعة جى وهو كتاب ممتاز فى موضوعه وفى الجهد المبذول فيه من المؤلف جزاه الله تعالى عن هذه الموسوعة بأجزائها خير الجزاء.

## الإمام والتصوف

لقد بلغ من قدر الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورفعة شأنه . أن علماء المسلمين فى كل مجال من مجالات العلم يزعمون انتسابهم فى العلم إليه ، وهذا يبين لنا مدى احترام العلماء له . وطلبهم طلب الشرف بالانتساب فى العلم للإمام كرم الله وجهه .

فعلماء الكلام أو العقيدة من معتزلة وأشاعرة يزعمون أن أئمتهم قد نهلوا علمهم منه والفقهاء يزعمون أن الأئمة الأربعة قد استمدوا علمهم من علمه ومعارفه . فيقولون : إن الإمام مالك أخذ عن ربيعة الرأى . وأخذ ربيعة عن عكرمة وأخذ عكرمة عن ابن عباس وأخذ ابن عباس عن الإمام على رضى الله عنه .

وأخذ الشافعى عن مالك . وأخذ أحمد عن الشافعى . وأخذ أبو حنيفة عن جعفر الصادق . وأخذ جعفر عن آباءه عن الإمام كرم الله وجهه .

والشيعة بكل طوائفهم يزعمون أنهم أخذوا عن الإمام وأولاده رضى الله عنهم .

وكذلك المتصوفة جميعا ينهون نسبتهم العلمية إلى حبيب العجمى إلى الحسن البصرى إلى الإمام على رضى الله عنه .

إن التصوف الإسلامى منهج تربوى روحى لإخضاع النفس وتهذيبها . لتخلص فى العبادة لله عز وجل وتحرر من ريقه الحياة الدنيا ومتعها الزائفة وتدخل فى ديوان المؤمنين المتقين الذين يعبدون الله تعالى عبادة إيمانية صادقة تطهر بها قلوبهم وتصفو بها نفوسهم وتسمو بها أرواحهم حتى تبنى إرادة العبد فى إرادة ربه عز وجل . ويسلم الوجه لله تعالى فيترقى من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام حتى يصير وليا لله تعالى يتولى الله بالصدق والرضا والإخلاص فى الطاعة فيتولاه الله تعالى بالعناية وبالرعاية والمحبة حتى يكون من الذين يحبهم ويحبونه والتصوف علم مستمد من الكتاب والسنة وقائم على الصدق والمعرفة .

ووسيلة المحافظة على الفرض والسنة، وسياسة الادب وحسن الخلق. ومعلمه شيخ يتولى التربية تجب طاعته والولاء له. وثقافته: فقه فى الدين وعلم بالأحكام « من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق. ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق » كما قال الإمام مالك رضى الله عنه.

ولنا أن نتساءل: هل فى علم الإمام كرم الله وجهه وفى عبادته ونصائحهما ما يسع المتصوفه؟

يجيب على تساؤلنا هذا: الإمام على رضى الله عنه فىقول:

إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه: هو الإيمان به وبرسوله. ثم الجهاد فى سبيله فإنه ذروة الإسلام. وكذلك كلمة الإخلاص فإنها الفطرة. وإقام الصلاة فإنها لله. وإيتاء الزكاة فإنها الفريضة الواجبة وصوم رمضان فإنه جنة من العقاب وحج البيت واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويدحضان الذنب، وصلة الرحم فإنها مثرة فى المال ومنسأة فى الأجل وصدقة السرفإنها تكفر الخطيئة. وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فإنها تقى مصارع الهوان. أفيضوا فى ذكر الله فإنه أحسن الذكر. وارغبوا فيما وعد المتقين. فإن وعده أصدق الوعد. واقتدوا بهدى نبيكم فإنه أفضل الهدى. واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن، وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث. وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور. وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص. وإن العالم بغير علمه كالجاهل الحائر الذى لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم والحسرة له ألزم وهو عند الله أوم.

وقال أيضا: أيها الناس إنه من استنصح الله وفقه. ومن اتخذ قوله دليلا هداه للتى هى أقوم. فإن جار الله آمن. وعدوه خائف. وليس ينبغى لمن عرف عظمة ربه أن يتعظم فإن رفعة الذين يعلمون عظمة ربهم أن يتواضعوا له. وإن سلامة الذين يعلمون قدرته أن يستسلموا له. فلا تنفروا من الحق أيها الناس نفار الصحيح مع الأجرى أو نفار البارئ من ذوى السقم، ثم اعلموا أنكم لن تعرفوا الرشدا حتى تعرفوا الذى تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى

نقضه . ولن تتمسكوا به حتى تعرفوا الذى نبذه . فالتمسوا ذلك عند أهله فإنهم عيش العلم وموت الجهل . هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم . وصمتهم عن نطقهم . وظاهرهم عن باطنهم . لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه . فهو بينهم « شاهد صادق وصامت ناطق » .

لقد كان الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . مؤمنا صادقا وتقيا مخلصا وزاهدا راضيا وورعا راشدا . وكرما سخيا . فهو أول المؤمنين وأول المصلين . لقد رباه النبي ﷺ على عينه . واهتدى بهديه وعمل بسنته وورث علمه وحجته . وشرب من رحيق وده وطعم من زبدة مدده . فاحسن التوكل على ربه . وتفانى فى مجاهدة هواه ونفسه مرضاة لربه تعالى قال رضى الله عنه « البخل عار والجبين منقصة والفقير يخرس الفطن عن حجته والمقل غريب فى بلدته . والعجز آفة والصبر شجاعة والزهد ثروة والورع جنة » .

« نعم القرين الرضى . والعلم وراثه كريمة . والآداب جليل مجددة . والفكر مرآة صافية » .

« إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره . وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه » وقال كرم الله وجهه : « يا ابن آدم . إذا رأيت ربك سبحانه يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره » . « طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضى الله عنه » وقال : « أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها أبواب الإبل لكانت لذلك أهلا : لا يرجون أحد منكم إلا ربه . ولا يخاض إلا ذنبه . ولا يستحين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم . ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشئ أن يتعلمه وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ولا خير فى جسد بغير رأس ولا فى إيمان لا صبر معه » .

وقال : « من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس . ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه . ومن كان له من نفسه واعظ . كان عليه من الله حافظ » .

وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: (إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها. هي زينة الأبرار عند الله. الزهد في الدنيا. فجعلك لا ترزأ الدنيا منك شيئا. وحبب لك المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعا ويرضون بك إماما) قال الطبرى: أخرجه أبو الخير الحاكمى .

وأخرج الحافظ الثقفى فى الأربعين عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا على: كيف أنت إذا زهد الناس فى الآخرة. ورجبوا فى الدنيا. وأكلوا التراث أكلاماً وأحبوا المال حبا جما واتخذوا دين الله دغلا ومال الله دولا؟» قلت: أتركهم وما اختاروا. واختار الله ورسوله والدار الآخرة. وأصبر على مصيبات الدنيا وبلواها حتى ألحق بك إن شاء الله تعالى .  
قال: «صدقت. اللهم أفعل ذلك به» .

وعن ابن حيان التيمى عن أبيه قال: رأيت على بن أبى طالب على المنبر يقول: من يشتري منى سيفى هذا؟ فلو كان عندى ثمن إزار ما بعته. فقام إليه رجل فقال: أسلفك ثمن إزار وقال عبد الرزاق: وكانت بيده الدنيا كلها إلا ما كان من الشام.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: حدثنى رجل من ثقيف. أن عليا قال له: إذا كان عند الظهر فَرَحْ عَلِيَّ. قال: فرحت إليه. فلم أجد عنده حاجبا يحجبني دونه. ووجدته خاليا. وعنده قدح وكوز من ماء فدعى بطبية - جراب صغير عليه شعر - فقلت فى نفسى: لقد أمئشى حين يخرج إلى جوهر. ولا أدرى ما فيها فإن عليها خاتم. فكسر الخاتم فإذا فيها سويق. فأخذ منه قبضة فى القدح وصب عليه ماء فشرب وسقانى فلم أصبر. فقلت: يا أمير المؤمنين: أتصنع هذا بالعراق. وطعام العراق أكثر من ذلك. فقال: والله ما أختم عليه بخلابه. ولكنى أبتاع قدر ما يكفينى. فأخاف أن يفنى فيوضع فيه من غيره. وإنما حفظى لذلك. وأكره أن يدخل بطنى إلا طيبا. أ. هـ (الرياض النضرة: ٦٨٧، ٦٨٨).

وقد كان كرم الله وجهه شديد الحب لله ولرسوله ﷺ حتى بلغ من حبه

للنبي أنه كان شديد الحياء منه صلوات الله عليه . يقول على رضي الله عنه : كنت رجلاً مذاءً، فكنت أستحي أن أسأل رسول الله ﷺ لمكان ابنته مني . فأمرت المقداد بن الأسود فقال : ( يغسل ذكره ويتوضأ ) [ متفق عليه ] .

لقد كان علياً كرم الله وجهه صادقاً في عبوديته لله تعالى . ولم يكن يشغله شاغل عن ربه عز وجل . وكيف وهو شيخ المتقين وإمام الزاهدين . يدل على ذلك دعواته التي تجتري منها قوله في دعائه : « اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني . فإن عدت فعد علي بالمغفرة . اللهم إني أعوذ بك أن أفترق في غناك . أو أضل في هداك . أو أضام في سلطانك . أو أضطهد والأمر لك اللهم اجعل نفسي أول كريمة تنتزعها من كرائمي . وأول وديعة ترجعها من ودائع نعمك عندي اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك . أو نفتن عن دينك . أو تتتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك » .

اللهم صن وجهي باليسار . ولا تبذل جاهي بالإقتار . فأسترزق طالبي رزقك . واستعطف شرار خلقك . وأبتلى بحمد من أعطاني . وأفتن بدم من منعني . وأنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء والمنع . وأنت على كل شيء قدير . اللهم أنت أنس الأنسين لأولياك . وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك . تشاهدهم في سرائرهم . وتطلع عليهم في ضمائرهم . وتعلم مبلغ بصائرهم . فأسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم إليك ملهوفة . إن أوحشتهم الغربية آنسهم ذكرك . وإن صبت عليهم البلايا لجأوا إلى الاستجارة بك . علما بأن أزمة الأمور بيدك . ومصادرها عن قضائك اللهم إن فهت - الفهاة : العي - عن مسألتي أو عمهت - تحيرت - عن طلبتي . فدلني على مصالحتي . وخذ بقلبي إلى مراشدي . فليس ذلك بنكر من هداياتك ولا بدع من كفاياتك .

اللهم احملني على فضلك . ولا تحملني على عدلك . يا أرحم الراحمين (١) .

(١) على إمام الأئمة : ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

وأخرج الإمام أحمد في الزهد<sup>(١)</sup> عن مهاجرين عمر عن علي عليه السلام قال: إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى. فأما طول الأمل فينسى الآخرة وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ألا وأن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة. ولكل واحد منهما بنون. فكونوا من أبناء الآخرة. ولا تكونوا من أبناء الدنيا. فإن اليوم عمل ولا حساب. وغدا حساب ولا عمل. أ. هـ.

رحم الله تعالى أبا الحسن. وحق للصوفية أن يدعوا أنه إمامهم وواضع مبادئ طريقهم ومن لهم يقتدون به بعد رسول الله ﷺ إلا أصحابه الأعلام وعلي رأسهم سيدنا الإمام كرم الله وجهه. فلقد ملأ طباق الأرض فتوة وشجاعة وعلمًا وعبادة وزهدًا حتى قال بعض العلماء: لقد كان علم عليّ وزهده أقرب إلى ما عليه رسول الله ﷺ غير أنه لا يوحى إليه. وعلمه وزهده رضى الله عنه مكتسب من علم وزهد رحمة الله للعالمين وإمام الأنبياء والمرسلين ﷺ.

\* \* \*

---

(١) الزهد: ١٦٢، ١٦٣.

## الإمام ولغة العرب وآدابها

إن اللغة العربية هي : لغة القرآن الكريم ومفتاح تدبر آياته وفهمه . لذا حظيت اللغة باهتمام الإمام كرم الله وجهه . فلقد أمر أبا الأسود الدؤلى بوضع قواعد اللغة وتصنيفها . بعد ما كثر الأعاجم فى الإسلام . وخاف الإمام على لغة القرآن أن ينالها من الأعاجم ما يؤثر فيها من لغاتهم ولكناتها . وكانت هذه لفتة كريمة تدل على مدى حبه للإسلام والقرآن وحرصه على سلامة اللغة العربية .

فقد جاءه أعرابى فقال : يا أمير المؤمنين كيف تقرأ هذا الحرف : لا يأكله إلا الخاطون كُلُّ والله يخطو؟ فتبسم على وقال : ﴿ لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِطُونَ ﴾ [الحاقة : ٣٧].

قال : صدقت يا أمير المؤمنين . ما كان الله ليسلم عبده .

ثم التفت علىّ إلى أبى الأسود الدؤلى . فقال : إن الأعاجم قد دخلت فى الدين كافة فضع للناس شيئا يستدلون به على صلاح سنتهم . فرسم له الرفع والنصب والخفض فأمر على أبا الأسود بوضع شئ فى النحو لما سمع اللحن . فسارع أبو الأسود لذلك وبعد أن فرغ منه عرضه على الإمام . فقال على معجبا : ( ما أحسن هذا النحو الذى نحوت ) فمن ثم سمي : النحو نحواً<sup>(١)</sup> .

لقد كان اهتمام الإمام باللغة عظيما . وكانت معرفته باستخدام اللغة أكثر عظمة . فلقد كان رضى الله عنه فصيحاً بليغاً . يشهد بذلك ما جمعه الشريف الرضى رحمه الله تعالى . من صحيح ما نسب إلى الإمام من خطب وكتب ومواعظ وأوامر ورسائل .

يقول الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى شارح كتاب نهج البلاغة :

(١) الخلفاء الراشدون : ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

تصفحت بعض صفحاته . وتأملت جملا من عباراته من مواضع مختلفات ومواقع متفرقات فكان يخيل إلى في كل مقام أن حروبا شيت . وغارات سنت . وأن للبلاعة دولة . وللفصاحة صولة . كنت كلما انتقلت من موضع منه إلى موضع أحسن بتغير المشاهد وتحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية . في حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية . وتدنو من القلوب الصافية . توحى إليها رشادها وتقوم منها مرادها وتنفر بها عن مداحض المزال إلى جواد الفضل والكمال .

وطورا كانت تنكشف لى الجمل عن وجوه باسرة وأنياب كاشرة . وأرواح فى أشباح النمرور ومخالب النسور فى تحفز للوثاب . ثم انقضت للاختلاب . فخلبت القلوب عن هواها وأخذت الخواطر دون مرماها . واغتالت فاسد الأهواء وباطل الآراء .

وأحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا لا يشبه خلقا جسدانيا . فصل عن الموكب الإلهى واتصل بالروح الإنسانى فخلعه عن غاشيات الطبيعة . وسماهه إلى الملكوت الأعلى . ونما به إلى مشهد النور الأجلى . وسكن به إلى عمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس . . إلخ .

ويقول الشيخ محمد حسن نائل الموصفى فى مقدمة شرحه للكتاب المذكور : ذلك الكتاب الذى أقامه الله حجة واضحة على أن عليا رضى الله عنه قد كان أحسن مثال حى لنور القرآن وحكمته . وعلمه وهدايته . وإعجازه وفصاحته . اجتمع لعلى فى هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء وأفذاذ الفلاسفة وبوابغ الربانيين . من آيات الحكمة السامية وقواعد السياسة المستقيمة . ومن كل موعظة باهرة وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر . خاض على فى هذا الكتاب لجة العلم والسياسة والدين . فكان فى كل هذه المسائل نابغة مبرزاً . ولئن سألت عن مكان كتابه من الأدب بعد أن عرفت مكانه من العلم . فليس فى وسع الكاتب المسترسل والخطيب المصقع والشاعر المفلق . أن يبلغ الغاية من وصفه والنهاية من تقرظه . وحسبنا أن نقول إنه الملتقى الفذ الذى التقى فيه جمال

الحضارة وجزالة البداوة . والمنزل الفرد الذى اختارته الحقيقة لنفسها منزلا تطمئن فيه وتأوى إليه بعد أن زلت بها المنازل فى كل لغة . أ . هـ .

ويقول العقاد : وليس الإمام على . أول من كتب الرسائل وألقى العظات . وأطال الخطب على المنابر فى الأمة الإسلامية . ولكنه ولا ريب . أول من عالج هذه الفنون معالجة أديب وأول من أضفى عليها صبغة الإنشاء الذى يقتدى به فى الأساليب . لأن الذين سبقوه كانوا يصوغون كلامهم صياغة مبلغين . لا صياغة منشئين ويقصدون إلى أداء ما أرادوه ولا يقصدون إلى فن الأداء وصناعة التعبير . ولكن الإمام عليا تعلم الكتابة صغيرا .

ودرس الكلام البليغ من روايات الألسن وتدوين الأوراق . وانتظر بالبلاغة حتى خرجت من طور البداوة الأولى . إلى طور التفنن والتجويد . فاستقام له أسلوب مطبوع مصنوع هو فيما نرى أول أساليب الإنشاء الفنى فى اللغة العربية . وأول أسلوب ظهرت فيه آثار دراسة القرآن والاستفادة من قدوته وسياقه . وتأتى له بسليقته الأدبية أن يأخذ من فحولة البداوة . ومن تهذيب الحضارة . ومن أنماط التفكير الجديد الذى ابتدعته المعرفة الدينية والثقافة الإسلامية . أ . هـ .

والإمام على كرم الله وجهه . قرض الشعر أيضا وقاله فى مناسبات كثيرة . ولقد غالى بعض الناس واختلفوا فى أمر شعره . وهم بهذا معذورون . لخوفهم أن ينسب إليه ما ليس له كما هو الشأن فى بعض الأمور الأخرى .

يقول أبو عثمان المازنى . لم يقل على من الشعر إلا هذين البيتين ولم يصح عنه غيرهما . وهما :

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى      فلا وربك ما بُرؤا ولا ظفروا  
فإن هلكت فرهن ذمتى لهم      بذات ودقين لا يعفوها أثر

وقال الشيخ حسن العطار : أنه لم يصح عن الإمام على رضى الله عنه إلا بيت واحد . وهو :

سبقتكم إلى الإسلام طراً      صغيرا ما بلغت أوان حلمي

وأقول: إن شاعرية الشاعر وإجادته للشعر لا تحسب بكثرة شعره ولربما يقول الشاعر قصيدة واحدة أو قصيدتين. تظهر فيهما شاعريته واستعداده لتنظيمه.

وربما يكثر آخر من نظم الشعر ولا تدل الكثرة على شاعريته لركاكة شعره وعدم ترابطه يقول الأستاذ العقاد: وعندنا أنه رضى الله عنه كان ينظم الشعر ويحسن النظر فيه. والعقاد ناقد للشعراء عليم بهذا الفن وبصير بأهله.

وحسبنا من شعر على رضى الله عنه ما يلي:

محمد النبي أخى وصهرى	وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى	منوط لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ولدائى منها	فأيكم له سهم كسهمى
سبقتكم إلى الإسلام طراً	صغيراً ما بلغت أوان حلمى
وصليت الصلاة وكنت فرداً	فمن ذا يدعى يوماً كيومى

وقال أبياتا يصف بها قبيلة همدان فى وقعة صفين:

ولما رأيت الخيل ترجم بالقنا	فوارسها حمر النمرور روام
وأعرض نقع فى السماء كأنه	عجاجة وجن ملبس بقتام
ونادى ابن هند فى الكلاع وحمير	وكندة فى لحم وحى جذام
تيممت هذان الذين هم هم	إذا ناب زهر جنتى وسهامى
فجاوبنى من خيل همدان عصبه	فوارس من همدان غير لمام
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها	وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام
فلو كنت رضوانا على باب جنة	لقلت لهمدان: ادخلوا بسلام

وقال يحث الناس على الثقة بالفرج من عند الله تعالى وعدم اليأس من

روحه سبحانه:

إذا اشتملت على اليأس القلوب	وضاق بهمها الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت	وأرست فى أماكنها الخطوب
ولم ير لانكشاف الضر وجه	ولا أغنى بحيلته الأريب

أتاك على قنوط منك غموت      يجيء به القريب المستجيب  
وكل الحوادث إذا تناهت      فموصول بها الفرج القريب

وقال رضى الله عنه ينهى عن الاستسلام لأمور الدنيا والأنشغال الكامل  
بهمومها:

حقيق بالتواضع من يموت      ويكفى المرء من دنياه قوت  
فما للمرء يصبح ذا هموم      وحرص ليس تدركه نعوت  
صنيع مليكنا حسن جميل      وما أرزاقه عنا تفوت  
فيا هذا سترحل عن قليل      إلى قوم كلامهم السكوت

وقال ناصحا ومبيننا كيف يختار المرء صديقه:

فلا تصحب أخا الجهل      وإيـاك وإيـاه  
فكم من جاهل أردى      حليمـا حين آخاه  
يقـاس المرء بالمرء      إذا ما هو ما شاء  
وللشئ من الشئ      مقاييس وأشباه  
قياس النعل بالنعل      إذا ما هو حـاذاه  
وللقـلب على القـلب      دليل حين يلـقـاه

وأقول بما قالته الدكتورة سعاد ماهر رحمها الله تعالى: (لولا تلك المعوقات  
لكان «على» أمير الشعراء كما كان إمام الخطباء وسيد البلغاء) (١) وبعد هذه  
السياحة المفيدة والثرية فى رحاب علم شيخ العلماء وإمام الأئمة الإمام على بن  
أبى طالب كرم الله وجهه . لا يسعنى إلا أن أتوجه إلى الله العلى الكبير - وأنا  
أقف على باب محراب الإمام رضى الله عنه أن يجزيه عن أمة الإسلام وعن نبي  
الإسلام ﷺ وعن العترة الطاهرة - خير الجزاء وأحسن المثوبة .

(١) راجع أدبيات على وبلاغته وأدبه فى كتب: مشهد الإمام على فى النحف . د. سعاد  
ماهر. والخلفاء الراشدون عبد الستار الشيخ. وعلى إمام الأئمة: الشيخ أحمد حسن الباقورى  
والخلفاء الراشدون الشيخ عبد الوهاب النجار. ونهج البلاغة للشريف الرضى .

## إن من البيان لسحراً

إن في بطون الكتب نفائس من خطب ونصائح الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه في مجالات شتى من مجالات الحياة الدنيا وقضايا الإيمان والإسلام في العقيدة والعبادة والأخلاق بكلام بليغ مثل اللؤلؤ المنظوم والدر المنثور. ومواعظه تملك القلوب وتحرك الجوارح. وخطبه التي تأخذ بالألباب وتبهر العقول بمنطق فذرشيد. وحجج ودلائل قوية دامغة يقول عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: ( ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعى بكتاب كتب به إلى على بن أبي طالب. فإنه كتب إلى :

أما بعد : فإن المرء يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه . ويسره درك ما لم يكن ليفوته . فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك . وليكن أسفك على ما فاتك منها . وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً وما فاتك منها . فلا تأس عليه حزناً . وليكن همك فيما بعد الموت ) .

### فمن خطبه الفصيحة البليغة :

صعد المنبر ذات يوم . فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : ( عباد الله : الموت ليس منه فوت . إن أقمت له أخذكم . وإن فررت منه أدرركم . فالنجا النجا . والوفا . الوفا - أى السرعة - إن وراءكم طالب حثيث : القبر . فاحذروا ضغطته وظلمته ووحشته . ألا وإن القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ألا وإنه يتكلم فى كل يوم ثلاث مرات فيقول : أنا بيت الظلمة . أنا بيت الدود . أنا بيت الوحشة . ألا وإن ذلك يوم يشيب فيه الصغير . ويسكر فيه الكبير ﴿ وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ [ الحج : ٢ ] ألا وإن وراء ذلك كله ما هو أشد منه . نار حرها شديد وقعرها بعيد . وحليها ومقامعها حديد وماؤها صديد . وخازنها مالك ليس لله فيه

رحمة . ثم بكى وبكى المسلمون حوله . ثم قال : ألا وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . جعلنا الله وإياكم من المتقين . وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم .

ومن خطبه أيضا : قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : اعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من زهرة الحياة الدنيا على سبيل من قد مضى . ممن كان أصول منكم أعمارا . وأشد منكم بطشا . وأعمر ديارا وأبعد آثارا . فأصبحت أموالهم هامدة . وأجسادهم بالية . وديارهم خالية . وآثارهم عافية - أى محووة - فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة . الصخور والأحجار فى القبور التى قد بنى على الخراب فناؤها وشيد بالتراب بناؤها . فمحلها مقرب . وساكنها مغرب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين . لا يستأنسون بالعمران . ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان . على ما بينهم من قرب الجوار . ودنو الدار . وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكلة البلى . وأظلتهم الجنادل والثرى . فأصبحوا بعد الحياة أمواتا . وبعد غضارة العيش رفاتا . فجع بهم الأحياب . وسكنوا التراب . وظعنوا فليس لهم إياب . هيهات . هيهات ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] وكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى . والوحدة فى دار المشوى . وارتهنتم فى ذلك المضجع . وضمكم ذلك المستودع . فكيف بكم لو قد تناهت الأمور وبعثرت القبور وحصل ما فى الصدور . ووقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل . فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب . وهتكت عنكم الحجب والأستار . وظهرت منكم العيوب والأسرار . هنالك ﴿ لِيَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [غافر : ١٧] إن الله عز وجل يقول : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [النجم : ٣١] وقال : ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَا مَا هَذَا الْكِتَابُ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] جعلنا الله

وإياكم عاملين بكتابه . متبعين لأوليائه حتى يحلنا دار المقامة من فضله . إنه حميد مجيد .

وخطب الناس فقال : أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع . وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع . وإن المضمار اليوم وغدا السباق . ألا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل فمن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله . ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة . ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبها . ولم أر كالنار نام هاربها . ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل . ومن لم يستقم به الهدى جار به الضلال . ألا وإنكم قد أمرتم بالظن ودلتم على الزاد .

ألا أيها الناس : إنما الدنيا عرض حاضر . يأكل منه البار والفاجر وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيه ملك قادر . ألا وإن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم .

أيها الناس : أحسنوا فى أعماركم تحفظوا فى أعقابكم . فإن الله وعد جنته من أطاعه . وأوعد ناره من عصاه . إنها نار لا يهدأ زفيرها . ولا يفك أسيرها . ولا يجبر كسيرها . حرها شديد . وقعرها بعيد وماؤها صديد . وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

ومن مواظبه البليغة : قوله فى الاستعداد للآخرة والإقبال على عبادة الله وطاعته : ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة . وإن الآخرة قد أتت مقبلة . ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . ألا وإن الزاهدين فى الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا . ألا من اشتاق إلى الآخرة سلا عن الشهوات . ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن طلب الجنة سارع إلى الطاعات . ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب . ألا وإن لله عبادا كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين . وأهل النار فى النار معذبين ، شروهم مأمونة . وقلوبهم محزونة وأنفسهم عفيفة . وحوادثهم خفيفة . صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة . أما الليل فصافون أقدامهم . تجرى دموعهم على

خدودهم . يجأرون إلى الله فى فكاك رقابهم . وأما النهار فظماء حلماء بررة أتقياء  
كانهم القداح . ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى وما بالقلوب من مرض . وخلصوا  
ولقد خالط القوم أمر عظيم .

وقال فى الرضا بقضاء الله وقدره : من رضى بقضاء الله جرى عليه وكان له  
أجر . ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله .

وقال فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

الجهاد ثلاثة : جهاد بيد ، وجهاد بلسان ، وجهاد بقلب . فأول ما يغلب  
عليه من الجهاد . جهاد اليد ثم جهاد اللسان ، ثم جهاد القلب ، فإذا كان القلب  
لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا . نكس وجعل أعلاه أسفله .

ثم يبين للناس أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا ينقص رزقا ولا يسرع  
بأجل فقال : اعلموا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقطع ولا يقرب أجلا .  
إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من  
زيادة أو نقصان فى أهل أو مال أو نفس الحرث حرثان : المال والبنون حرث الدنيا .  
والعمل الصالح حرث الآخرة . وقد يجمعهما الله لأقوام ورهب من المعصية فقال :  
جزاء المعصية الوهن فى العبادة والضيق فى المعيشة والنقص فى اللذة . قيل : وما  
النقص فى اللذة؟ قال : لا ينال شهوة حلال إلا جاءه ما ينغصه إياها وقال يحث  
على العمل الصالح : أشد الأعمال ثلاثة : إعطاء الحق من نفسك . وذكر الله على  
كل حال . ومواساة الأخ فى المال .

وقال لابنه محمد بن الحنفية : يا بنى إنى أخاف عليك الفقر . فاستعد بالله  
منه . فإن الفقر منقصة للدين . مدهشة للعقل . داعية للمقت .

وقال أيضا : يأتى على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماحل – الذى يتقرب  
إلى الناس بالسعاية والوشاية – ولا يظرف فيه إلا الفاجر . ولا يضعف فيه إلا  
المنصف . يُعدون الصدقة فيه غرما . وصلة الرحم مناً والعبادة استطالة على الناس .

فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان - جمع خصى.

وسئل عن الخير. فقال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك. ولكن الخير أن يكثر علمك وأن يعظم حلمك. وأن تباهى الناس بعبادة ربك. فإن أحسنت حمدت الله. وإن أسأت استغفرت الله ولا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتوبة. ورجل يسارع في الخيرات وقال رضى الله عنه من الحكم:

\* أربع القليل منهن كثير: النار والعداوة والمرض والفقر.

\* أربع يمتن القلب: الذنب على الذنب. وملاحاة الأحقق - أى منازعته - وكثرة مثافنة النساء - أى مجالستهن وملازمتهن - والجلوس مع الموتى. قالوا: ومن الموتى يا أمير المؤمنين؟.. قال: كل عبد مترف.

\* أربعة تدعو إلى الجنة: كتمان المصيبة. وكتمان الصدقة. وبر الوالدين. والإكثار من قول (لا إله إلا الله).

\* أربعة من الشقاء: جار السوء. وولد السوء. وامرأة السوء. والمنزل الضيق.

\* اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا. وكثرة عدونا. وتشتت أهوائنا. فهذا قليل من كثير مما تعج به كتب التراث. والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

\* \* \*

## أمير المؤمنين

( ١ ) قضية الخلافة :

لقد أجمع جمهور العلماء على أنه لا بد من إمام يقيم الجمع وينظم الجماعات . وينفذ الحدود، ويجمع الذكوات من الأغنياء ليردها على الفقراء . ويحمي الثغور . ويفصل بين الناس فى الخصومات . بالقضاة الذين يعينهم . ويوحد الكلمة . وينفذ أحكام الشرع ويلم الشعث ويجمع المتفرق ، ويقيم المدينة الفاضلة التى حث الإسلام على إقامتها على هذا اجمع المسلمون . وعلى هذا استقام أمر الدين فى صدر تاريخه . ولقد اتفق الجمهور على أربعة شروط فى الإمام لكى تكون إمامته خلافة نبوية . ولا تكون ملكا عضوضا . وهذه الشروط هى : القرشية ، والبيعة ، والشورى ، والعدالة .

( أ ) القرشية : أن يكون الإمام قرشيا ، وذلك للأحاديث الواردة فى فضل قريش روى عن النبي ﷺ قال : « الأئمة فى قريش » . وقوله : « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان » .

وروى فى الصحيحين أن النبي ﷺ قال : « الناس تبع لقريش فى هذا الشأن ، مسلمهم تبع لمسلمهم . وكافرهم تبع لكافرهم » .  
وروى أيضا « الناس تبع لقريش فى الخير والشر » .

وروى البخارى عن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » فهذه الأحاديث تشير إلى فضل قريش . وحسبها فضلا وشرفا أن النبي ﷺ منهم كما أن هذه الأحاديث - وإن كانت تدعو إلى أن تكون الإمامة من قريش - لا تدل على طلب الوجوب . بل يصح أن تكون بيانا للأفضلية وليس لأصل صحة الخلافة .

فالإخلافة تكون صحيحة من قريش ومن غيرها ما أقاموا الدين، ولكن الأولى أن تكون الإمامة من قريش. فهي دلالة فضل وليست دلالة وجوب. ويدل على ذلك ما يلي: روى في الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع. وإن ولي عليكم عبد حبشي مجدع الأنف».

وفى صحيح البخارى روى أن رسول الله ﷺ قال: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» وفى صحيح مسلم عن أم الحصين أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن استعمل عليكم عبد أسود مجدع يقودكم بكتاب الله تعالى. فاسمعوا وأطيعوا» فإذا تحققت التقوى فى قريش قدموا على ما عداهم. وعلى هذا الأساس: انعقد الإجماع فى اختيار أبى بكر الصديق رضى الله عنه خليفة لرسول الله ﷺ.

(ب) البيعة: هى الشرط الثانى الذى أجمع عليه الجمهور. وتكون «البيعة» من أولى الحل والعقد والجنود وجماهير المسلمين. يعطون الخليفة عهداً على السمع والطاعة فى المنشط والمكروه ما لم تكن معصية. ويعطيهم العهد على أن يقيم الحدود والفرائض. ويسير على سنة العدل. وعلى مقتضى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وعلى هذا بايع الصحابة الكرام رسول الله ﷺ تحت الشجرة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَن يَكْفُرْ لِيَكْفُرْ عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

وعلى هذا الأساس بايع المسلمون أبى بكر رضى الله عنه فى سقيفة بنى ساعدة وفى المسجد النبوى الشريف. ولما عين أبو بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما. وافق المسلمون على هذا الترشيح وبايعوه. ولما اختار أهل الشورى: عثمان بن عفان رضى الله عنه بايعه المسلمون على هذا الاختيار. ولما قتل عثمان بايع المسلمون - ماعدا أهل الشام - على بن أبى طالب كرم الله وجهه واستمر أمر البيعة حتى العصر الأموى والخلفاء الأولين من بنى العباس.

ولقد كانت البيعة في عصر الصحابة رضی الله عنهم . تقوم على : الرأي الحر، والتزام الطاعة اختيارا وليس جبرا . ولكن في الدولة الأموية وفي أول الخلافة العباسية كان الاختيار جبرا .

(ج) الشورى: وهي الشرط الثالث . وهو: يجب أن يكون الاختيار بشورى المسلمين وذلك أن الحكيم في الشريعة الإسلامية في أصل وضعه . شورى . لقول الله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨] .

وقوله تعالى أمرا النبي ﷺ : ( وشاورهم في الأمر ) وقد كان النبي ﷺ يأخذ بالشورى في عامة أموره التي كانت تهم المسلمين ولم ينزل فيها وحى . وبناء عليه . فإن كان الحكم في الإسلام شوريا . فإنه يجب أن يكون الاختيار شوريا أيضا . ولذلك عيب على سيدنا معاوية بن أبي سفيان . تحويله الحكم الإسلامي . ليكون حكما وراثيا وذلك لأخذ البيعة جبرا وفقدت الشورى معناها . يقول الحسن البصرى رضی الله عنه في حكم معاوية رضی الله عنه : ( أربع خصال في معاوية . لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة : خروجه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتهزها بغير مشورة منهم . واستخلافه يزيد وهو سكير خمير يلبس الحرير ويضرب بالطنابير . وادعائه زيادا<sup>(١)</sup> . وقد قال ﷺ « الولد للفراس وللعاقر الحجر » وقتله حجر بن عدى - رضی الله عنه - فباله من حجر وأصحاب حجر ) وأهل الشورى في عصر الصحابة الكرام : هم أهل المدينة من المهاجرين والأنصار لشرفهم ولسبقهم إلى الإسلامهم وقربهم - الدائم - من رسول الله ﷺ وتلقيهم أحكام الدين وأموره منه بخلاف غيرهم من سكان المدن والقرى البعيدة .

(د) العدالة: وهو الشرط الرابع والأخير الذي يجب أن يتوفر في الخلافة النبوية فالإمام الأعظم يجب عليه أن يقيم العدل في رعيته . وأن يكون عدلا في ذاته . فلا يؤثر ذوى القرابة أو الصداقة . ولا يقدم أحدا لهوى . ولا يؤثر المحب

(١) زياد ابن أبيه، الحقه معاوية بابي سفيان رغم أنه مشكوك في أبيه .

ويبعد المبغض . وأن يعين القضاة وأمراء الأمصار ممن يصلح لها ويقوم العدل بين أهلها ويتقى الله تعالى في رعيته . ويقوم دين الله تعالى .

شدد النبي ﷺ على هذا الأمر فقال « من ولي من أمتى شيئا . فأمر أحدا محاباة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا » .  
وقال ﷺ « من استعمل رجلا على عصابة - جماعة - وفيهم من هو أرضى لله فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه داعيا « اللهم من ولي من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارق به . ومن شدد عليهم فاشدد عليه » .

فالعادل من الإمام مطلوب وجوبا وليس اختيارا قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥]

فالعادلة واجبة حتى مع الأعداء . يقول سبحانه ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨]

طلب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . من الإمام الحسن البصرى رحمه الله تعالى أن يصف له الإمام العادل ، فكتب إليه الحسن (١) يقول : « اعلم يا أمير المؤمنين أن الله قد جعل الإمام العدل قوام كل مائل . وقصد كل جائر . وصلاح كل فاسد . وقوة كل ضعيف . ونصفه كل مظلوم ومفزع كل ملهوف .

والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله . الرقيق الذى يرتاد لها أطيب المراعى ويذودها عن مراتع الهلكة . ويحميها من السباع ويكنها من

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية : ٨٧ ، ٨٨ .

أذى الحر والقر - البرد الشديد - والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالآب الحانى على ولده . يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا، يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيعة بولدها . حملته ووضعتة كرها . وربته طفلا تسكن بسكونه . ترضعه تارة وتقطعه أخرى وتفرح بعافيته وتهتم بشكايته ، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كوصى اليتامى وخازن المساكين . يربى صغيرهم ويمون كبيرهم . والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه . وتفسد بفساده . والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله . ويسمعهم . وينظر إلى الله ويربهم . وينقاد إلى الله ويقودهم . فلا تكن يا أمير المؤمنين كعبد ائتمنه سيده . واستحفظه ماله وعياله . فبدد المال . وشرذ العيال فأفقد أهله . وفرق ماله . واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزع بها عن الخبائث والفواحش . فكيف إذا أتاهم من يليها . وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده . فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم . واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده . وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه . فتزود له ولما بعده من الفرع الأكبر . واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه . يطول به ثوائك . ويفارقك أحباؤك . يسلموك فى قعره فريدا وحيدا . فنزود له بما يصحبك « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه » واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعث ما فى القبور وحصل ما فى الصدور . فالأسرار ظاهرة . والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . فالآن يا أمير المؤمنين وإنك فى مهل . وقبل حلول الأجل وانقطاع الأمل . لا تحكم يا أمير المؤمنين بحكم الجاهلين . ولا تسلك بهم فى سبيل الظالمين . ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين . فإنهم لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا دفة فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك . وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك . ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك . ويأكلون الطيبات فى دنياهم بذهاب طيباتك فى آخرتك . لا تنظر إلى قدرتك اليوم . ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور فى حبال الموت وموقف بين يدي الله فى مجمع الملائكة والنبيين والمرسلين « وعنت

الوجه للحى القيوم» وإنى يا أمير المؤمنين. وإن لم أبلغ بعظتى ما بلغه أولو النهى من قبلى. لم آل من شفقة ونصحا. فأنزل كتابى عليك كمدأوى حبيب بسقيه الأدوية الكريهة. لما يرجو له من العافية والصحة.. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» أ.هـ.

رحم الله الحسن البصرى فهذا كتاب جامع مانع. تهتز له القلوب. وينتفع به المتقون وهذا من علم التابعين. فما بالك بعلم السادة المتقين: أصحاب النبى ﷺ الكرام البررة رضى الله عنهم.

ولنا أن نتساءل: ما الحكم إذا خرج الحاكم عن هذه الشروط أو عن بعضها؟ يقول مالك والشافعى وأحمد فى عبارة واحدة واردة عنهم:

إن ولايته لا تعتبر خلافة نبوية. ولكنها تعتبر ملكا دنيويا. وطاعتهم واجبة ولا يجوز الخروج عليهم حتى لا يؤدى الخروج إلى فتنة يضيع فيها الحق ويغلب الشح المطاع ويتبع الهوى ونصح لهم. ولهم حق السمع والطاعة إذا أمروا إلا فى معصية الله فلا سمع ولا طاعة ورد فى الصحيح أن النبى ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره. فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

ويجب قتال البغاة معه والخارجين على نظام الأمة حتى لا تسود الفوضى ويضيع الحق نطق بهذا ما سبق ذكره من النصوص. وما بقى فهو كثير وليس هذا مجال استقصائه. والله أعلم<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع فى هذا الموضوع الخلافة والاحكام السلطانية للماوردى وتاريخ المذاهب الاسلامية لأبى زهرة وغيرهما كثير.

## (٢) رابع الراشدين :

(أ) فى صحبة الراشدين الثلاثة (أبى بكر وعمر وعثمان) :

إذا لم يكن على بن أبى طالب كرم الله وجهه يعرف لهؤلاء الثلاثة فضلهم وتقواهم وشرفهم ومنزلتهم . فمن يا ترى غيره يعرف لهم ذلك من الصحب الكرام ؟

إن الإمام رضى الله عنه كان وحده من الناس أكثر من غيره معرفة بأبى بكر . وعمر . وعثمان رضى الله عنهم وعن سائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

لقد كان يعيش معهم على الأخلاق التى رباهم عليها رسول الله ﷺ يحبهم ويحلمهم . ويعترف بفضلهم على رءوس الأشهاد فى حياة رسول الله ﷺ وبعد انتقاله للرفيق الأعلى . وهم كانوا يبادلونه حبا يجب وإجلالا بإجلال . لأنهم كانوا وغيرهم - يقدرونه حق قدره . فهو أسبقهم إسلاما وأكثرهم شجاعة وأعلاهم فتوة . لقد نام فى فراش رسول الله ﷺ فى ليلة الهجرة متحديا قریش وهو بعد لم يزل فى ريعان شبابه . وشاركهم فى حروبهم ومغازيهم فكان البطل المغوار وهو صهر رسول الله ﷺ زوج الزمراء وأبو الحسنين وزينب وأم كلثوم رضى الله عنهم . وهو حبيب رسول الله الذى يحبه الله ورسوله . وهو آخر الناس عهدا برسول الله ﷺ مثل ما كان أولهم معرفة بنبوته وهو صبى لم يبلغ الحلم .

كما أنه كان يعرف لهم حسن صحبتهم للنبي ﷺ ، فأبو بكر رضى الله عنه حبيب رسول الله وأول الرجال إسلاما ورفيقه فى الغار والحامى له فى مركز القيادة فى الغزوات والحروب . وهو صهره أبو سائسة الصديقة رضى الله عنها . وهو الذى كان يمد الرسول يده ويأخذ من ماله ما يشاء وعمر بن الخطاب رضى الله عنه . الصاحب الأمين الذى جعل الله الحق على قلبه ولسانه . الذى وافق ربه فى مواضع أنزل الله فيها آيات . ولم يتخلف عن مغازى رسول الله ﷺ وأبو حفصة زوج رسول الله ﷺ فى الدنيا وفى الجنة كم أخبره بذلك الوحي عليه السلام وعثمان

ابن عفان رضى الله عنه أشد الناس حياء . مجهز جيش العسرة والمهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة . إلى الله ورسوله . ذى النورين « يا عثمان لو كان عندنا مئة بنت لزوجناكهم الواحدة بعد الأخرى » لقد كان الإمام كرم الله وجهه يعرف لهم فضلهم ومناقبهم كما كان لهم رداء يصدقهم بما يقولون ويصدقهم بما يقول . يبذل لهم الرأى والمشورة . ويقف معهم صفا واحدا ، فى خندق واحد أمام الملمات والمواقف الصعبة . لا يسلمهم لمكروه . بل كان يفديهم بنفسه وولده رضى الله عنهم ولكن وهم الواهمين واختراع الأفاكين وكذب الحاقدين والمعاندين من القدماء والمحدثين علاوة على غلو المنتطعين . قد صور للناس العلاقة بينهم فى صورة باهتة ومشوهة . يلهث خلفها الأعداء والحقدة والجهلة والمتعصبون ويرون فيها بغيتهم . والمادة التى يتناولونها فى أحاديثهم وكتبهم .

فما عرف الثقة الثقات علياً إلا منصفا لأصحابه ومراعيا لحقوقهم ومحافظا على عهودهم وموآثيقهم . فما عرف التقيّة يوما . ولا تطرق إليه الشك لحظة بأفضليتهم . ولا خاف من إظهار وصية مزعومة . ادعاها بعض الدجالين والأفاكين . فما كان على رضى الله عنه يعرف الخوف إلى قلبه سبيلا فلو كانت له وصية لعرفها الصحابة ولطالب على بتنفيذها . وهو كان رجلا قويا فى الحق وجريئا فى الطلب . ولكن ماذا نقول لأصحاب الأهواء ممن افتروا الكذب على رسول الله ﷺ وعلى صحبه الكرام؟ يقول الإمام كرم الله وجهه : ( قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلى بالناس . وأنا حاضر غير غائب . وضحيح غير مريض ، ولو شاء أن يقدمنى لقدمنى فرضينا لديانا من رضيه الله ورسوله - عليه السلام - لدينا ) .

ولما بويح الصديق فى ( سقيفة بنى ساعدة ) صعد المنبر فنظر فى وجوه القوم . فلم ير الزبير بن العوام . فدعا بالزبير فجاء فبايعه . ثم نظر فى وجوه القوم . فلم ير عليا . فدعا يعلى . فجاء فقال أبو بكر : ( قلت ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين )؟

قال : ( لا تشرب يا خليفة رسول الله ﷺ ) فبايعه بالمسجد فى أول يوم أو

فى الیوم الثانى من وفاة النبى ﷺ . وبقى ملازما لآبى بكر . لم يفارقه فى وقت من الأوقات . ولم ينقطع فى واحدة من الصلوات (١) . أ. هـ . وأما موضوع السيدة فاطمة الزهراء مع سيدنا أبى بكر رضى الله عنهما فهو ميراث رسول الله ﷺ وليس المطالبة بتولية سيدنا على كرم الله وجهه .

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : (إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه . فقال لها أبو بكر : إن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ما تركناه صدقة » ) .

وأخرج الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه . أن فاطمة جاءت أبا بكر وعمر تسأل ميراثها من رسول الله ﷺ . فقالا : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « إنى لا أورث » قالت : « والله لا أكلمكما أبدا » فماتت ولا تكلمهما وأخرج ابن سعد فى الطبقات الكبرى عن عامر قال : جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت فاستأذن . فقال على : هذا أبو بكر على الباب . فإن شئت أن تأذنى له .

قالت : وذلك أحب إليك ؟ قال : نعم . فدخل عليها واعتذر إليها وكلمها . فرضيت عنه . أ. هـ . لقد صور الحاقدون على الصحابة والجاهلون هذا الموضوع على غير حقيقته ، فالأمر لا يعدو أن يكون مجرد سؤال من الزهراء لخليفة رسول الله ﷺ عن حقها فى الميراث فأخبرها الصديق بحكم رسول الله ﷺ . فعرفت لماذا منعت وغيرها من ميراث رسول الله ﷺ .

ولنا أن نتساءل : هل يتصور مخلوق أن سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنه يمنع ميراث رسول الله ﷺ عن ورثته دون أن يكون عنده مبرر شرعى من الكتاب أو السنة . ألا يعرف أبو بكر قدر آل بيت النبوة وفضلهم ؟ أهذا من العدل المطلوب منه أن يسوس الرعية به ؟ إن من يتصور أن الصديق رضى الله عنه يظلم

(١) الخلفاء الراشدون : ٥١٠ ، ٥١١ .

ورثة رسول الله ﷺ ويمنعهم حقهم . هو إنسان جاهل بأخلاق الصحابة الكرام ولا يعرف طبيعة العلاقة الإيمانية القائمة بينهم .

ويزعم الأفاكون ودعاة الفتنة أن سيدنا علي وسيدتنا الزهراء خاصما أبا بكر وماتت فاطمة رضى الله عنها وهى عليه غضبى . ولم يكلمه على إلا بعد وفاة الزهراء رضى الله عنها .

والحقيقة أن عليا بايع أبا بكر بعد الانتهاء من دفن الرسول ﷺ . ثم بعد ذلك انشغل فى جمع المصحف وكتابته مدة ستة أشهر أو أكثر .

وأما الزهراء رضى الله عنها فإنها لما أخبرها أبو بكر بقول الرسول ﷺ رضيت وباركته وماتت عنه راضية . إن من يقول غير ذلك فهو كاذب يشكك فى أصحاب رسول الله ﷺ . فهل يعقل أن أبا بكر يخبر الزهراء بحديث النبى صلوات الله وسلامه عليه وهى تكذبه؟ والزهراء خير من يعلم مكانة أبى بكر عند رسول الله ﷺ .

روى البخارى عن عقبة بن الحارث رضى الله عنه قال : خرجت مع أبى بكر من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال . وعلى يمشى إلى جنبه . فمر بالحسن بن على يلعب مع غلمان فاحتمله - أبو بكر - على رقبته . وهو يقول : (بأبى شبيهه بالنبى . ليس شبيها بعلى) قال : وعلى يضحك .

فهذه الرواية تكذب مزاعم الأفاكين من دعاة الفتنة ممن يحقدون على الصحابة الكرام ولما خطب الصديق خطبته بعد تولى الخلافة فقال : ( ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة ولا سألتها فى سر ولا علانية ) فقبل المهاجرون مقالته .

وقال على والزبير ( ما غضبنا إلا لانا أخرنا عن المشورة . وإننا نرى أبا بكر أحق الناس بها . إنه لصاحب الغار ، وإننا لنعرف شرفه وخبره ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلى بالناس وهو حى ) .

بل إن الإمام علياً رضي الله عنه لما قدم البصرة - وهو أمير المؤمنين - في أمر طلحة وأصحابه قام ابن الكواء وقيس ابن عباد. فقالا له: يا أمير المؤمنين. أخبرنا عن مسيرك هذا. أوصية أوصاك بها رسول الله ﷺ. أم عهداً عهدته عندك. أم رأياً رأيته حين تفرقت الأمة واختلفت كلمتها؟

فقال: (أما أن يكون عندي عهد من رسول الله ﷺ في ذلك. فلا. والله لعن كنت أول من صدق. لا أكون أول من كذب عليه. ولو كان عندي عهد من النبي ﷺ في ذلك. ما تركت أخابني تيم بن مرة - أبا بكر - وعمر بن الخطاب على منبره. ولقاتلتها بيدي ولو لم أجد إلا بردتي هذه. ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلاً. ولم يمت فجاءة مكث في مرضه أياماً وليالي. يأتيه المؤذن. فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني. ولقد أرادت امرأة من نسائه - عائشة - صرفه عن أبي بكر. فأبى وغضب وقال: «إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس».

فلما قبض الله نبيه ﷺ. نظرنا في أمورنا. فاخترنا لدينانا من رضيه ﷺ لديننا. وكانت الصلاة أعظم شعار في الإسلام وقوام الدين. فبايعنا أبا بكر فكان أهلاً لذلك. لم يختلف عليه منا إثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض. ولم نقطع البراءة فاديت إلى أبي بكر حقه، وعرفت له طاعته، وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي.

فلما قبض ولاها عمر بن الخطاب. فأخذ بسنة صاحبه وما تفرق من أمره. فبايعنا عمر. لم يختلف عليه منا إثنان. ولم يشهد بعضنا على بعض. ولم نقطع البراءة. فاديت إلى عمر حقه وعرفت له طاعته. وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني. وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي.

فلما قبض ذكرت في نفس قرابتي وسابقتي وفضلتي. وأنا أظن أنه لن يعدل بي، ولكن خشى أن لا يعمل الخليفة بعده ذنباً إلا لحقه في قبره، فأخرج منها نفسه وولده - ولو كانت محابة منه لآثر ولده - وبرئ منها إلى رهط من قريش

سنة . أنا أحدهم . فلما اجتمع الرهط تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي ، وأنا أظن أن لا يعدلوا بي فأخذ عبد الرحمن - بن عوف - موثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا ثم ضرب بيده على يد عثمان فبايعه . فنظرت في أمري . فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى . وإذا ميثاقى قد أخذ لغيرى . فبايعنا عثمان . وأدبت إلى عثمان حقه . وعرفت له طاعته وغزوت معه في حيوشه . فكنت أخذ إذا أعطانى ، وأغزو إذا أغزانى ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطى .

فلما أصيب عثمان . نظرت في أمري . فإذا الخليفتان اللذان أخذها بعهد رسول الله ﷺ إليهما في الصلاة قد مضيا ، وهذا الذى أخذ له ميثاقنا قد أصيب فبايعنى أهل هذين المصرين (١) . أ. ه .

لقد بايع علىّ رضى الله عنه أبا بكر خليفة لرسول الله ﷺ عندما استقبل الأيام الأولى من خلافته . وكان يصلى خلفه ويحضر للمشورة ، وشهد معه حروب الردة وقاتل مانعى الزكاة . فقد جعل أبو بكر رضى الله عنه حراسا على مداخل المدينة يبيتون بالجيوش حولها . وكان من أمراء الحرس على بن أبى طالب والزبير بن العوام وغيرهما وعندما رأى المسلمون عزم الخليفة على أن يقاتل بنفسه . أخذ علىّ بزمام راحلته وقال له : ( إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ ؟ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد « شَمَّ سيفك . ولا تفجعنا بنفسك » فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدا ) فرجع أبو بكر وأمضى الجيش .

وكان أبو بكر يسأله ويستفتيه ويقول له : ( أفئتنا يا أبا الحسن ) ولما أراد أبو بكر غزو الروم دعا كبار الصحابة ومنهم الإمام على كرم الله وجهه واستمع لرأيهم ثم توجه إلى على فقال له : ماذا ترى يا أبا الحسن ؟

فقال : أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم ، نصرت عليهم إن شاء الله .

فقال : بشرك الله بخير . ومن أين علمت ذلك ؟

(١) الخلفاء الراشدون : ٥١١ - ٥١٣ .

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يزال هذا الدين ظاهرا على من ناواه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون » .

فقال : سبحان الله . ما أحسن هذا الحديث ، لقد سررتني به سر ك الله . ولما ولى على كرم الله وجهه الخلفاه جاءه رجل فقال له : يا أمير المؤمنين . ما بال المهاجرين والأنصار قدموا ابا بكر ، وأنت أو فى منه منقبة ، وأقدم منه سلما - أى إسلاما - وأسبق سابقه ؟ . . قال : إن كُنتَ قرشيا فاحسبك من عائذة - قبيلة من قريش - ؟

قال : نعم . قال : لولا أن المؤمن عائذ الله لقتلتك . ولئن بقيت ليأتينك منى روعة حصراء . ويحك . إن ابا بكر سبقنى إلى أربع : سبقنى إلى الإيمان . وتقديم الإمامة . وتقديم الهجرة وإلى الغار ، وإفشاء الإسلام ، ويحك إن الله ذم الناس كلهم ومدح ابا بكر فقال : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

وبلغه أن عبد الله بن سبا قال كلاما يفضله فيه على ابنى بكر وعمر - خبثا وكيدا - فهم على بقتله . فقيل له : اتقتل رجلا إنما أجلك وفضلك ؟ فقال رضى الله عنه : ( لا جرم . لا يساكننى فى بلد أنا فيها )

ولما مات أبو بكر رضى الله عنه . قال الإمام كرم الله وجهه : ( رحمتك الله ابا بكر كنت والله أول القوم إسلاما وأخلصهم إيمانا وأشدهم يقينا ، صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس . وواسيته حين بخلوا . وقمت معه حين قعدوا . كنت والله للإسلام حصنا وللكافرين ناكبا . لم تهن حجّتك . ولم تضعف بصيرتك . ولم تجبن نفسك ) .

وبايح المهاجرون والأنصار عمر بن الخطاب رضى الله عنه أميرا للمؤمنين كوصية ابنى بكر رضى الله عنه وكان على رضى الله عنه فى جملة البالغين وفى أولهم ، وكان على كرم الله وجهه مستشاره ومفتيه فى سنوات حكمه . ولما قرر الصحابة تحديد راتب لعمر رضى الله عنه استشارهم فى ذلك . يقول سهل بن حنيف : ( مكث عمر رضى الله عنه زمانا طويلا لا يأكل من المال شيئا . حتى

دخلت عليه في ذلك خصاصة. وأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمر. فما يصلح لي منه؟

فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه: كل وأطعم. وقال ذلك سعيد بن زيد رضى الله عنه وقال لعلى رضى الله عنه: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء. فأخذ بذلك عمر واستخلفه عمر على المدينة لما أراد الخروج لغزو الفرس. كما ولاه قضاءها وكان عمر رضى الله يقول: (على أفضانا).

روى أن امرأة مغيبة - أى غاب عنها زوجها - كان يُدخل عليها. فأنكر عمر ذلك. فأرسل إليها، فقبل لها: أجيبى عمر. فقالت: يا ويلها. مالها ولعمر. فبينما هى فى الطريق فزعت فضربها الطلق. فدخلت دارا، فألقت ولدها فصاح الصبي صيحتين ثم مات.

فاستشار عمر أصحاب النبي ﷺ، فأشار عليه بعضهم أن ليس عليك شئ، وإنما أنت والٍ ومؤدب. وصمت على رضى الله عنه.

فأقبل على على فقال: ما تقول؟ قال: إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم. وإن كانوا قالوا فى هواك، فلم ينصحوا لك، أرى أن ديتة عليك. فإنك أنت أفرعتها وألقت ولدها بسببك.

فأمر - أى عمر - عليا رضى الله عنه أن يقسم عقله - ديتة - على قریش. يعنى ياخذ عقله من قریش. لأنه خطأ. وطلب عمر من على الموعظة. فقال له: عظنى يا أبا الحسن. قال: (لا تجعل يقينك شكاً ولا علمك جهلاً. ولا ظنك حقاً. واعلم أنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فامضيت. وقسمت فسويت، ولبست فأبليت).

قال: صدقت يا أبا الحسن.

وقال له: (يا أمير المؤمنين: إن سرك أن تلحق بصاحبك. فاقصر الأمل. وكل دون الشبع. وقصر الإزار. وارقع القميص، واخصف النعل. تلحق بهما).

وروى عن سويد بن غفلة قال: مررت بقوم يذكرون أبا بكر وعمر - رضى

الله عنهما - وينتقصونهما . فاتيت عليا - رضی الله عنه - فذكرت ذلك له . فقال :

« لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل . أخوا رسول الله ﷺ ووزيراہ »  
ثم صعد المنبر فخطب فى الناس فقال :

ما بال أقوام يذكرون سيدى قريش وأبو المسلمين بما أنا عنه متنزّه وما يقولون برئ وعلى ما يقولون معاقب! والذى فلق الحبة . وبرأ النسمة . وإنه لا يحبهما إلا مؤمن تقى ولا يبغضهما إلا فاجر ردى: صحبا رسول الله ﷺ بالصدق والوفاء بأمران وينهيان ويعاقبان . فما يجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله ﷺ ولا يرى رسول الله ﷺ كرايهما رأيا . ولا يحب حبهما حبا .

مضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راض والناس راضون . ثم ولى أبو بكر الصلاة . فلما قبض الله نبيه ﷺ وواه المسلمون ذلك . وفوضوا إليه الزكاة . لأنهما مقرونتان - وكنت أول من يسمى له من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره - أى للخلافة - يود أن بعضنا كفاه . فكان - والله - خير من بقى . أرافه رافة وأرحمه رحمة . وأكيسه ورعا . وأقدمه إسلاما . شبيهه رسول الله ﷺ بميكائيل رافة ورحمة . وبإبراهيم عفوا ووقارا . فسار سيرة رسول الله ﷺ حتى قبض رحمة الله عليه .

ثم ولى الأمر من بعده . عمر بن الخطاب واستؤمر فى ذلك الناس . فمنهم من رضى ومنهم من كره . فكنت ممن رضى . فوالله ما فارق عمر الدنيا حتى رضى من كان له كارها . فأقام الأمر على منهاج النبى ﷺ وصاحبه . يتبع آثارهما كما يتبع الفصيل أثر أمه . وكان - والله - خير من بقى . رفيقا رحيفا وناصر المظلوم على الظالم . ثم ضرب الله بالحق على لسانه حتى رأينا ملكا ينطق على لسانه . وأعز الله بإسلامه الإسلام . وجعل هجرته للدين قواما . وقذف فى قلوب المؤمنين الحب له . وفى قلوب المنافقين الرهبة له شبيهه رسول الله ﷺ بجبريل فظا غليظا على الأعداء . وينوح حنقا ومغتاظا على الكافرين .

فمن لكم بمثلهما؟ لا يُبلغ مبلغهما إلا بالحب لهما. واتباع آثارهما. فمن أحبهما فقد أحببني. ومن أبغضهما فقد أبغضني. وأنا منه برئ. ولو كنت تقدمت - أي نهيت - في أمرهما لعاقبت أشد العقوبة. فمن أتيت به بعد مقامي هذا فعليه ما على المفتري.

ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها. أبو بكر وعمر. ثم الله أعلم بالخير أين هو. أقول قولي هذا، ويغفر الله لي ولكم.

وقال له فتى من بني هاشم: سمعتك تخطب يا أمير المؤمنين في الجمعة تقول: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين. فمن هم؟  
فاغرورقت عينا على وقال: (أبو بكر وعمر - رضی الله عنهما - إماما الهدى وشیخا الإسلام والمهتدي بهما بعد رسول الله ﷺ من اتبعهما هدى إلى صراط مستقيم. ومن اقتدى بهما يرشد، ومن تمسك بهما فهو من حزب الله. وحزب الله هم المفلحون)

ولما قتل عمر بن الخطاب رضی الله عنه وجعل الأمر شورى بين ستة نفر من الصحابة هم عثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص رضی الله عنهم. انتهى بهم الأمر إلى اختيار عثمان بن عفان رضی الله عنه ليكون ثالث الراشدين. فكان علي دائما في جواره وصاحب مشورته ومناصر له طيلة مدة خلافته حتى خرج عليه الثوار وجاءوا من مصر والكوفة والبصرة. وجاء المصريون إلى علي كرم الله وجهه: قبح فعلهم وقرعهم قاءلا: (لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروة وذی خشب - جيشا العراقيين - ملعونون على لسان محمد ﷺ. فارجعوا لاصبحكم الله).

ولما هاجت المدينة وماجت وأحاط الثوار بدار عثمان رضی الله عنه وشدوا عليه الحصار حتى نفذ عنده الماء. فذهب إليه علي ومعه الماء. ولقي جهدا وعنتا شديدين ممن يحاصرون دار الخليفة. فزجرهم وقال لهم: (والله إن فارس والروم لا يفعلون كفعلكم هذا بهذا الرجل، والله إنهم لياسرون فيطعمون ويسقون).

فأبوا أن يقبلوا من عليّ كلامه، حتى رمى بعمامته وسط الدار .

وحاول عليّ رضي الله عنه نصرته فاعتم بعمامة رسول الله ﷺ وتقلد سيفه . وجاء إلى دار عثمان . وأمامه ابن الحسن وعبد الله بن عمرو ونفر من المهاجرين والأنصار ودخلوا على عثمان فقال عليّ : ( والله لا أرى القوم إلا قاتليك . فمرنا فلنقاتل ) .

فأبى عثمان عليهم ولما كرر عليه عليّ ورفض الخليفة . قال عليّ : ( اللهم إنك تعلم أنا بذلنا المجهود ) ثم أتى المسجد . وحضرت الصلاة، فقالوا له : يا أبا الحسن تقدم فصل بالناس فقال : ( لا أصلى بكم والإمام محصور ولكن أصلى وحدي ) وصلى وحده وانصرف إلى منزله فلحقه ابنه وقال : والله يا أبت قد اقتحموا عليه الدار قال : ( إنا لله وإنا إليه راجعون هم والله قاتلوه . قالوا : أين هو يا أبا الحسن؟ قال : في الجنة - والله - زلفى قالوا : وأين هم يا أبا الحسن؟ قال : في النار - والله - ثلاثا ) .

لقد قال علي كرم الله وجهه لولديه : أذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه بمكروه .

وبعث الزبير ولده . وبعث طلحة ولده على كره منه . وبعث عدة من أصحاب رسول الله ﷺ أبناءهم ليمنعوا الناس أن يدخلوا على عثمان . وسألوه إخراج مروان ورمى الناس عثمان بالسهم حتى خضب الحسن بن علي بالدماء على بابه، وخشى محمد ابن أبي بكر أن تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين . فأشار على رجلين معه أن يتسورا معه الدار فيقتلونه دون علم أحد .

وبعد مقتل عثمان رضي الله عنه . دخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدا عثمان قتيلا فأكبوا عليه يبكون وبلغ عليا وطلحة والزبير وسعدا . ومن كان بالمدينة . فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان . فوجدوه مقتولا . فاسترجعوا . وقال عليّ لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟

ورفع يده ولطم الحسين وضرب الحسن . وشم محمد بن طلحة . ولعن عبد الله ابن الزبير، ثم خرج على وهو غضبان . وتبرأ إلى الله من دمه (١) .

(ب) خلافته :

قتل الأوباش والتمردون ذا النورين : عثمان بن عفان رضى الله عنه . أشد الناس حياء مجهز جيش العسرة، صاحب رسول الله ﷺ وختنه على ابنتيه السيدتين رقية وأم كلثوم رضى الله عنهما . مهاجر الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة فرارا بدينه ثالث الراشدين . المقتول ظلما وعدوانا لسبب أو لأسباب هو غير مسئول عنها، فلقد وضع ثقته فيمن لا يستحق الثقة فخانوه بظلمهم للرعية فالبوا عليه الناس . فكان قدر الله تعالى . ورحل عثمان رضى الله عنه عن الدنيا مظلوما . وباء قاتلوه بالخسران المبين والذي نؤكد عليه ونؤمن به أن الصحابة جميعا بريئون من دمه ولم يقصروا في الدفاع عنه ولكن الأحداث بالمدينة كانت تتوالى سريعا وفوق قدرتهم حتى وقع أمر الله وكان أمر الله قدرا مقدورا، وانتشرت الفوضى بالمدينة المنورة . ولم يرتدع الظلمة بوجودهم بجوار المصطفى ﷺ .

وهزت هذه الأحداث كبار الصحابة رضى الله عنهم وخافوا على الأمة من الضياع فتكون نهبا للنهابين، ومرتعا خصبا للحاقدين والأفاكين والكاذبين والمخادعين وهرع الناس في لهفة إلى : على بن أبي طالب كرم الله وجهه ويطلبون تولى إمرة المؤمنين وتردد على رضى الله عنه في قبولها لما وقع من هذه الأحداث الرهيبة على يد القتلة المجرمين . الذين قتلوا الخليفة الراشد : عثمان بن عفان بوحشية مفرغة وهم أولاء بالمدينة متمكنون . وأيديهم ملطخة بدم الشهيد الزكية فكيف بعلى أو غيره أن يتولى هذا الأمر؟

---

(١) راجع : الإصابة لابن حجر . وحلية الأولياء لأبي نعيم والخلفاء الراشدون وتاريخ الطبري ومشارك الأنوار للمؤلف .

وتوالت وفود الصحابة على الإمام كرم الله وجهه قائلين: نبايعك فمد يدك .  
فأنت أحق بها فقال لهم على : « ليس ذاك إليكم إنما ذاك إلى أهل بدر . فمن  
رضى به أهل بدر فهو خليفة » .

روى محمد ابن الحنفية رضى الله عنه قال : ( كنت مع أبى حين قتل عثمان  
- رضى الله عنه - فقام فدخل منزلة . فاتاه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : إن هذا  
الرجل قد قتل . ولا بد للناس من إمام . ولا نجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك . لا  
أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله ﷺ فقال : لا تفعلوا فإن أكون وزيراً خيراً من  
أن أكون أميراً . فقالوا : لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال : ففى المسجد  
فإن بيعتى لا تكون خفياً . ولا تكون إلا عن رضا المسلمين . قال ابن عباس : فلقد  
كرهت أن يأتى المسجد مخافة أن يشغبَ عليه . وأبى هو إلا المسجد . فلما  
دخل . دخل معه المهاجرون والأنصار فبايعوه . ثم بايعه الناس ) (١) .

وكان طلحة بن عبيد الله أول من بايع فقال قائل : ( أول من بدأ بالبيعة يد  
شلاء لا يتم هذا الأمر ) فكيف يقول هذا وهذه يد مباركة شلت فى الدفاع عن  
رسول الله ﷺ فى أحد ؟ إن هذا القول جهل من قائله .

وبايع الزبير بن العوام بعد طلحة رضى الله عنهما . ثم تتابع الناس فى  
مبايعته حتى تمت له البيعة العامة من المهاجرين والأنصار . وكل من حضر من  
أهل المدينة ومن سائر الأمصار ثم بايعه أهل الأمصار وأذعنوا له إلا ما كان من  
معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فى أهل الشام .

روى الطبرى فى تاريخه (٢) عن سيف بن عمر التميمى عن أشياخه قالوا :  
بقيت المدينة بعد قتل عثمان خمسة أيام وأميرها الغافقى بن حرب يلتمسون من  
يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه . يأتى المصريون علياً . فيختبئ منهم ويلوذ  
بحيطان المدينة ( أى يختبئ فى بساتينها ) فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن  
مقاتلتهم مرة بعد مرة ، ويطلب الكوفيون : الزبير فلا يجدونه . فأرسلوا إليه حيث

(١) الخلفاء الراشرون : ٥٣٣ . (٢) تاريخ الطبرى : ١٥٥ / ٥ .

هو رسلا فباعدهم وتبرأ من مقالتهم . ويطلب البصريون طلحة . فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقالهم . فبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا :

إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع . فأقدم نبايعك ، فبعث إليهم إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لى فيها . ثم إنهم أتوا ابن عمر عبد الله . فقالوا : أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر فقال : إن لهذا الأمر انتقاما . والله لا أتعرض له فالتمسوا غيرى . ١٠٥ هـ .

وروى الطبرى : أن حبيب بن ذؤيب قال : إن طلحة والزبير بايعا مكرهين (١) .

ويقول أبو بكر بن العربى فى العواصم من القواصم ( ١٤٣ ) : قلنا : حاشا لله أن يكرها لقد بايع طلحة والزبير حرين مختارين ولم يكرهما أحد على ذلك . ومن قال كانا مكرهين فهو غير موفق كما أنه بذلك يستعدى الناس على أصحاب رسول الله ﷺ . ومن قال بذلك . العقاد فى عبقرية على ( ٨٤ ، ٨٥ ) .

ولقد جاءت على كرم الله وجهه الخلافة على قدر وبإيعه الناس بإرادة حرة . ولم تأت من وصية مزعومة كما يدعى بعض الناس . فلو كانت هناك وصية من رسول الله ﷺ لعرفها الصحابة ولعرفها على . ولو كان موصي له ولم ينفذ الوصية كان آثما . وأثم كل من حال بينه وبينها لمخالفتهم وصية رسول الله ﷺ ولقد كانت خلافة على كرم الله وجهه على منهاج النبوة ومسيرة الثلاثة الذين سبقوه بالخلافة . روى فى الصحيح عن سفينة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة . ثم ملكا بعد ذلك ) وفى رواية أبى بكر أن النبى ﷺ قال : ( خلافة نبوة ثلاثون عاما ثم يؤتى الله ملكه ما يشاء ) .

وأما موقف أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها من مبايعة على رضى الله عنه . فقد خاض الناس فيه وماجوا وتكلموا بكلام الشيعة الذين يكرهون

(١) رواه الطبرى عن أبى المليلح الهذلى : ١٥٣ / ٥ .

عائشة كراهية عمياء ويتهمونها باتهامات باطلة. لأن السيدة: عائشة رضی الله عنها كانت تعرف قدر على رضي الله عنه وتعرف سابقته ومكانته عند رسول الله ﷺ، وكان على كرم الله وجهه يعرف لعائشة فضلها ومنزلتها عند رسول الله ﷺ، وهى أم المؤمنين ولكن من المؤسف نجد الأستاذ العقاد فى عبقرية الإمام على يقول كلاما يجافى به الحقيقة ويتحامل على السيدة عائشة رضی الله عنها وينسب إليها ما هى بريئة منه كبراءتها فى حادثة الإفك. ويبنى كلامه على سببين أنتجتتهما عبقريته. فظلم فى قوله السيدة أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها.

كما أنه قال فى طلحة والزبير كلاما لا يسلم بقبوله أى مسلم يعرف للصحابة فضلهم وقدرهم إنه يردد مقالات شيعية غير موفقة (١).

لقد تحمل على كرم الله وجهه أعباء الخلافة. وسار بها مسيرة أسلافه بهمة عالية وتخطى بها كل مفاتن الدنيا ومصاعبها التى لم تستطع أن تفتن الرجل العظيم عن دوره العظيم.

يقول رضی الله عنه (٢): والله لأن أبيت على حسك السعدان (٣) مسهدا. أو أجر فى الأغلال مصفدا. أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد. أو غاصبا لشئ من الحطام. وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول فى الثرى حلولها والله لقد رأيت عقيلأ أخى وقد أملت حتى استماحنى من بُرُكْم صاعا. ورأيت صبيانه شعث الشعور غير الألوان من فقرهم. كأنما سودت وجوههم بالعِظْلَم - شئ تصبغ به الثياب - وعاودنى مؤكدا وكرر على القول مرددا. فأصغيت إليه سمعى. فظن أنى أبيعته دينى. وأتبع قياده مفارقا طريقتى. فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها. فضج ضجيج ذى دنف من ألها. وكاد أن يحترق من ميسمها. فقلت له: ثكلتك

(١) راجع فى ذلك كتابه: عبقرية الإمام على الصفحات: ٦٢ - ٦٦.

(٢) على إمام الأئمة: ٢٦٠. (٣) الحسك هو نبات الشوك.

الثواكل يا عقيل . أثنى من حديده أحماها إنسانها للعبه . وتجرنى إلى نار سجرها  
جبارها لغضبه؟

أثنى - يا عقيل - من الأذى ولا أثنى من لظى؟

وأعجب من ذلك طارق طرقتنا بملفوفة فى وعائها ومعجونة شنتتها كأنما  
عجنت بريق حية أوقيتها فقلت : أصله أم زكاة أم صدقة؟ فذلك محرم علينا أهل  
البيت فقال الطارق : لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية . فقلت : هبلك الهبول . أعن  
دين الله أتيتنى لتخدعنى؟ أمختبط أنت أم ذوجنة أم تهجر؟ والله لو أعطيت  
الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله فى نملة أسلبها جلب شعيرة .  
ما فعلته وإن دنياكم عندى لاهون من ورقة فى فم جرادة تقضهما . ما لعلى  
ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى؟

(نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل . وبه نستعين) أ . هـ . وهكذا كان  
الإمام كرم الله وجهه فى خلافته يسلك مسلك سابقه من الراشدين عاملاً بمنهج  
النبوذة وأحكام الرسالة يقول : ( خير الناس النمط الأوسط . يلحق بهم التالى  
ويرجع إليهم الغالى ) .

ويدعو ربه عز وجل وهو يشكو إليه غيبة رسوله ﷺ لأنه لو كان موجوداً  
حياً بينهم ما حدث من الخلاف ما يقض المضاجع بالليل ويزعج السلامة والسلام  
بالنهار وليس بعد تلك الشدائد إلا أن يتدارك الله أهل الحق برحمته . فيفتح بين  
القوم بالحق وهو سبحانه وتعالى خير الفاتحين . فيقول (١) :

( اللهم إليك أفضت القلوب ، وامتدت الأعناق . وشخصت الأبصار .  
وثقلت الأقدام وأنضبت الأبدان ، اللهم وقد صرح مكنون الشنآن . وجاشت  
مراجل الأضغان . اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت أهوائنا .  
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ) .

وكانت أول خطبة له بعد تمام البيعة قال فيها (٢) : إن الله عز وجل أنزل كتاباً

(١) على إمام الأئمة : ٢٦٦ . (٢) الخلفاء الراشدون : ٥٣٦ ، ٥٣٧ .

هاد يا مهديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر. الفرائض أدوها إلى الله سبحانه. يؤدكم إلى الجنة إن الله حرم حُرماً غير مجهولة. وفضل حرمة المسلم على الحُرْم كلها. وشد بالإخلاص والتوحيد المسلمين والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق. لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم - الموت - فإن الناس أمامكم - أي ماتوا - وإنما من خلفكم الساعة تحذوكم. تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم. اتقوا الله عباده في عباده وبلاده: إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم. أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعوه. واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض) لقد كان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في خلافته كما وصفه أحدهم:

(لقد زنت الخلافة وما زانتك. وهي كانت أحوج إليك. منك إليها)

لقد أخذها بحزم وعزم وهو يرى أن واجبه العطاء لا الأخذ. يسهر ليله ولا ينام مفكراً في أمور رعيته. وفي النهار يكد ويجد ولا يستريح ويجلس للحكم والقضاء بين رعيته رضى الله عنه .

ولاته: أول إمارته بعث عمالاً على الأمصار غير جميع عمال عثمان. فبعث على البصرة: عثمان بن حنيف الأنصارى، بدل: عبد الله بن عامر. وعلى الكوفة عمار بن شهاب بدل: أبي موسى الأشعري، وعلى اليمن: عبيد الله بن عباس بدل: يعلى بن منبه. وعلى مصر: قيس بن سعد بن عبادة. بدل: عبد الله ابن سعد وعلى الشام سهيل بن حنيف: بدل معاوية بن أبي سفيان.

وأمر كلا بالتوجه إلى عمله. فأما عثمان بن حنيف فتوجه إلى البصرة. ولم يرد عنها أحد ولم يعارضه ابن عامر. وأما عمار بن شهاب. فقابلته وهو قريب من الكوفة طليحة بن خويلد الأسدي. فقال له: ارجع فإن القوم لا يريدون بأمرهم بدلاً فرجع إلى علي وأما عبيد الله بن عباس فلما قارب اليمن خرج منها يعلى بن منبه وأخذ كثيراً من الأموال وذهب إلى مكة فدخل عبيد الله اليمن غير

معارض وأما قيس بن سعد . فلما وصل مصر افترق أهلها عليه، ففرقة دخلت في الجماعة وفرقة أخرى اعتزلت في خريتا - بلد - وقالوا: لا نكون مع عليّ إلا إن قتل قتلة عثمان . وفرقة قالوا: نحن مع عليّ إلا إن قاد من إخواننا فكتب قيس إلى عليّ بذلك . وأما سهل بن حنيف . فلما وصل إلى تبوك قابلته خيل عليها رجال من أهل الشام فردوه، وامتنع معاوية من بيعة عليّ واحتج عليّ خلافته لأنه ظن فيه الهوادة في نصرة عثمان على قاتليه . ومعاوية يرى لنفسه حقا عظيما في القصاص من قتلة عثمان لأنه وليه، والله تعالى يقول ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ [الإسراء: ٢٣] ولم يرى في الامتناع عن البيعة خروجاً على الإمام . لأنه رأى أن بيعة عليّ لم تنعقد حيث لم تكون بإجماع ذوى الحل والعقد .

فارسل إليه رجلا بطومار ليس فيه شيء من الكتابة وعنوانه من معاوية إلى عليّ بن أبي طالب وأمره إذا قدم أن يرفعه ليعلم الناس أنه مخالف . ففعل الرجل ما أمر به . فلما علم أهل المدينة بذلك أحبوا أن يعلموا رأى عليّ في هذه المشكلة أيقاقل معاوية أم يحذر ذلك . فدسوا إليه زياد بن حنظلة . وكان منقطعا إليه فقال له عليّ: يا زياد تيسر قال: لأى شيء . قال: لغزو الشام فقال: زياد الأناة والرفق أمثل . وأنشد:

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة      يضرس بانبياب ويوطأ بمنسم  
وقال على :

متى تجمع القلب الذكى وصارما      وأننا حمياً تجتنبك المظالم  
فخرج زياد فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : السيف .

وقد عد عليّ خلاف معاوية بغيا وخروجاً عن طاعته . لأنه رأى أن بيعته انعقدت بمن بايع، فلزمت من لم يبايع وأرسل إلى أهل الأمصار يستنفرهم لقتال معاوية (١) أ. هـ . فهؤلاء هم ولاة عليّ رضى الله عنه الذين ولاهم على الأمصار

(١) إتمام الوفاء للخضرى: ١٧١، ١٧٢ .

خلفا لولاية سلفه عثمان بن عفان رضى الله عنه، وقد أسرع على في عزل ولاية عثمان - وكان يجب عليه أن ينتظر قليلا حتى تستقر الأمور.

ولما عين ولاته . قال لهم : ( انصفوا الناس من انفسكم . واصبروا لحوائجهم . فإنهم خزان الرعية . ولا تحسموا أحدا عن حاجته . ولا تحبسوه عن طلبته . ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف . ولا دابة يعتملون عليها . ولا عيدا . ولا تضر بن أحدا سوطا لمكان درهم) .

وكتب لبعضهم يقول له : ( اما بعد : فلا تطوئن حجابك على رعبتك فإن احتجاب الولاية عن الرعية شعبة من الضيق . وقلة علم من الأمور)

ولم يكن أمير المؤمنين على رضى الله عنه : يستأثر من الفئ بشئ ولا يخص حميما ولا قريبا (١) ولا يخص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه : ﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ \* بَقِيَتْ لِلَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [هود: ٨٥ ، ٨٦] .

إذ أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما فى يدك من أعمالنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك . ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول : اللهم إنك تعلم أنى لم أمرهم بظلم خلقك ولا يترك حقلك) .

وكان من سياسته فى تحصيل الخراج قوله : ( امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ولا تخذج - تنقص - التحية لهم . ثم تقول : عباد الله . أرسلنى إليكم ولى الله وخليفته . لآخذ منكم حق الله فى أموالكم . فهل لله فى أموالكم حق فتؤدونه إلى وليه؟ فإن قال قائل : لا . فلا تراجع . وإن أنعم لك بنعم فانطلق معه من غير أن تخيفه وتوعده . أو تعسفه أو ترهقه فخذ

---

(١) مر بنا فيما سبق موقفه من أخيه عقيل رضى الله عنهما .

ما أعطاك من ذهب أو فضة فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له . فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه . ولا عنيف به ) .

ونهى ولاته وحذرهم من بطانة السوء . فكان مما أوصى به محمد بن أبي بكر: ( لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر . ولا جبانا يضعفك عن الأمور . ولا حريصا يزين لك الشره بالجور . فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا . ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الأئمة . وإخوان الظلمة . وأنت واجد فيهم خير الخلف ممن له آراؤهم ونفادهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ) .

وكان يتابع ولاته ويراقبهم وينأى بهم عن الشبهات ويحاسبهم ويؤدبهم . فلقد كتب إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة، فقال : ( أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلا من فتيه أهل البصرة دعاك إلى مأدبة . فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان . وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفواً وغنيهم مدعواً فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم . فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فقل منه ) (١) الأليت قومي يعلمون .

### الجيش :

كان أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يصدر أوامره وتكليفاته لجيشه يدعوه إلى التحلى بمكارم الأخلاق وحميد الصفات، والتوجه إلى الله تعالى في ضراعة وخشوع عند الشدائد والملمات . وحسن التوكل على الله سبحانه في كل الأمور فنراه في ميدان الجهاد يقف ضارعا خاشعا ويقول :

( اللهم إليك أقضت القلوب، وامتدت الأعناق . وشخصت الأبصار . وثقلت الأقدام وأفضيت الأبدان . اللهم وقد صرح مكنون الشنان . وجاشت

(١) بتصرف . الخلفاء الراشدون : ٥٣٧، ٥٣٨ .

مراحل الاضغان اللهم إنا نشكركم إليك غيبة نبينا ﷺ - وكثرة عدونا . وتشتت أهوائنا . ربنا افتح بيننا وبين قومنا الحق . وأنت خير الفاتحين) .

ثم يتجه إلى جيشه بالوصية مستعلنة صريحة فيقول :

( لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم ، فإنكم بحمد الله على حجة ، وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم . فإذا كانت الهزيمة عليهم بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا . ولا تصيبوا معورا . ولا تجهزوا على جريح . ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم . وسببن أمراؤكم . فإنهن ضعيفات القوى والأنفس . ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات . ولقد كان الرجل يتناول المرأة في الجاهلية بالحجر أو الهراوة فيُعير بها في نفسه ويعير بها عقبه - أولاده - من بعده ) .

لقد كان الإمام كرم الله وجهه حريصا على الائتثار بأمر الله تعالى والمضى على سنة رسول الله ﷺ الذي كان يوصى جنوده ألا يقتلوا شيئا فانيا . ولا طفلا ولا امرأة ولا يعقروا بغيرا ولا يحرقوا نخلا ولا يقطعوا زرعاً وأن يتركوا الرهبان والأخبار الذين تفرغوا للعبادة في الصوامع والبيع فلا يهيجوهم بل يتركوهم وما تفرغوا له .

فعلى هذا سار الخلفاء الراشدون الثلاثة وتبعهم على رضى الله عنه بالاقتداء بهم في المنهج . لذا فإن نصائحه لجيشه لم تخرج عن هذا الإطار الذى أمر به النبى ﷺ وبما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى كتب إلى أمراء الجيوش يقول : بسم الله وعلى بركة الله وبمعمونة الله . فامضوا بتأييد الله ونصره أوصيكم بتقوى الله ولزوم الحق والصبر . فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله . ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . ولا تجبنوا عند اللقاء . ولا تسرفوا عند الظهور على الأعداء . وإياكم والمثلة . ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا . وتوقوا أن تطغوا هؤلاء عند التقاء الزحفين وفى شن الغارات ولا تغلوا عند الغنائم ، ونزهوا الجهاد عن غرض الدنيا . وأبشروا بالربح فى البيع الذى بابعتم به وذلك هو الفوز العظيم . لا عجب ولا غرابة فلقد رباهم النبى ﷺ على خشبة الله عز وجل

والتمسك بالقيم الأخلاقية الرفيعة والمثل العليا فهنيئاً لكم أصحاب المصطفى ﷺ وآله وصحبه وسلم.

عدله :

إن صفة العدل شرط من شروط الخلافة الإسلامية وهي صفة لازمة لكل مسلم. وخاصة الحاكم وعماله. لأن العدل هو الرئة التي تنفس بها الأمة ومؤسساتها - أفراد وجماعات - والإسلام دين تقوم شريعته على العدل والوسطية لأنه دين الرحمة.

كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه خير مثال للحاكم العادل والقاضي العادل قال له جعدة بين هبيرة: يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان: أنت أحب إلي أحدهما من أهله وماله. والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك. فتقضى لهذا على هذا؟ فلهزه - ضربه بكفه في صدره - على وقال: إن هذا شيء لو كان لي فعلت. ولكن إنما ذا شيء الله.

وروى يزيد بن عدي قال: ( رأيت علياً - رضي الله عنه - خارجاً من همدان. فرأى فئتين يقتتلان. ففرق بينهما، ثم مضى فسمع صوتاً: يا غوثاً بالله. فخرج يحضر - أي يسرع - نحوه حتى سمعت خفق نعله. وهو يقول: أتاك الغوث فإذا رجل يلزم رجلاً. فقال: يا أمير المؤمنين. بعث هذا ثوباً بتسعة دراهم وشرطت عليه ألا يعطيني مغموزاً ولا مقطوعاً ولا مقطوعاً - وكان شرطهم يومئذ - فأتيته بهذه الدراهم ليبدلها لي فأبى. فلزمته. فلطمني فقال: أبدله فقال بينتك على اللطمة فاتاه بالبينة. فأقعدته. ثم قال: دونك فاقتص، فقال: إني قد عفوت يا أمير المؤمنين قال: إنما أردت أن احتاط في حقك، ثم ضرب الرجل تسع دررات وقال: هذا حق السلطان )

وروى الإمام الشعبي رحمه الله فيقول: ( خرج علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى السوق. فإذا هو بنصراني يبيع درعاً، فعرف علي - رضي الله عنه - الدرع فقال: هذه درعي، بيني وبينك قاضي المسلمين - وكان قاضي المسلمين: شريحاً كان على استقضاه - فلما رأى شريح. أمير المؤمنين. قام من مجلس قضائه وأجلس علياً في مجلسه وجلس شريح قدامه إلى جنب النصراني. فقال

على أما - يا شريح - لو كان خصمى مسلما لقعدت معه ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تصافحوهم . ولا تبدءوهم بالسلام . ولا تعودوا مرضاهم . ولا تصلوا عليهم . وألجئوهم إلى مضايق الطريق . وصغروهم كما صغَّر الله » .

اقض بينى وبينه يا شريح . فقال شريح : ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال على هذه درعى وقعت منى منذ زمان فقال شريح : ما تقول يا نصرانى؟ فقال : ما أكذب أمير المؤمنين . والدرع درعى . فقال شريح : ما أرى أن تخرج من يده فهل من بينة؟ فقال على : صدق شريح . مالى بينة . فقال النصرانى : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء . أمير المؤمنين يجرى إلى قاضيه . وقاضيه يقضى عليه هى - والله - يا أمير المؤمنين درعك . اتبعتك وقد زالت عن جملك الأورق فأخذتها . فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول . فقال على : أما إذ أسلمت فهى لك - وحمله على فرس ) .

وهكذا كان أمير المؤمنين على كرم الله وجهه مثالا للحاكم العادل والقاضى العادل فلقد تدرّب على هذا منذ نعومة أظفاره وقد استقبل الإسلام حرا مختارا وتعلم من النبى ﷺ أحكام الله وسنة رسوله ﷺ .

### سياسته المالية :

كان أمير المؤمنين يحافظ على المال العام . وكان يعمل فيه بما حكم الله تعالى وبما سنه رسول الله ﷺ فى شرعه القويم .

( جاءه ابن النباح فقال : يا أمير المؤمنين امتلا بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء ، فقال : الله أكبر ، فقام متوكئا على عامر بن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين . فقال :

هذا جناى وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه

يا ابن النباح على بأشياخ الكوفة . قال : فنودى فى الناس . فأعطى جميع ما فى بيت مال المسلمين وهو يقول : ياصفراء ويا بيضاء . غرى غيرى ها . وها . حتى ما بقى منه دينار ولا درهم . ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين . وكان ورعه

وزهده بمنعانه من أن يأخذ شيئا من بيت المال وذلك علاوة على شرفه فهو ممن تحرم عليهم الصدقات رضى الله عنهم .

قال أبو مطرف : ( رأيت عليا رضى الله عنه - مؤتزرا بإزار . مرتديا برداء ومعه الدرّة كأنه أعرابي يدور حتى بلغ سوق الكرابيس - أثواب القطن - فقال : يا شيخ أحسن بيعى فى قميص بثلاثة دراهم . فلما عرفه لم يشتر منه شيئا فأتى غلاما حدثا . فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم . ثم جاء أبو الغلام . فاخبره فأخذ أبوه درهما . ثم جاء به فقال : هذا الدرهم يا أمير المؤمنين . قال : ما شأن هذا الدرهم ؟ قال : كان قميصنا ثمن درهمين . قال : باعنى رضايا وأخذ رضاه ) ورفض رضى الله عنه أخذ الدرهم .

وقر عرض سيفه للبيع ليشتري بثمنه ثوبا يستر به جسده . فيقول له أحد المسلمين أنا أسلفك ثمن الثوب ولا تبع سيفك يا أمير المؤمنين وكان زاهدا فى دنياه ويقول لها ( يا دنيا غرى غبرى ) .

وقال عبد الله بن رزين : دخلنا على عليّ يوم الأضحى فقرب إلينا خزيرة - قطع صغيرة من اللحم - فقلنا : أصلحك الله . لو قدمت إلينا هذا البط والأوز فإن الله قد أكثر الخير ، فقال يا ابن رزين : إننى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان : قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يطعمها بين الناس » .

وقال له رجل : ( يا أمير المؤمنين . إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيبا من هذا المال . وأنت ترعد من هذا البرد ؟ فقال : إنى - والله - ما أرزأكم - أنقصكم - من مالكم شيئا وما هى إلا قطيفتى التى أخرجتها من بيتى ) .

وخطب الناس فقال : ( يا أيها الناس : والله الذى لا إله إلا هو ما رزأت من مالكم قليلا ولا كثيرا إلا هذه - وأخرج قاروره من كم قميصه فيها طيب - فقال : أهداها إلى دهقان ) .

لك الله يا أمير المؤمنين ما زهدت فى الدنيا زهد الهاربين أو العاجزين ولكن

كان زهدك زهد المؤمنين المتقين الذين يخشون الله تعالى ولم تبهرهم الدنيا بزخارفها وإنما يتعامل مع الدنيا على قدرها يقول رضى الله عنه :

(الدنيا دار صدق لمن صدقها . ودار نجاة لمن فهم عنها . ودار غنى وزاد لمن تزود منها مهبط وحى الله . ومسجد أنبيائه ومتجر أوليائه . ربحوا فيها الرحمة . واكتسبوا فيها الجنة) .

ثم هو يقول مبينا سياسته ومنهجه :

(أقنع من نفسى بان يقال أمير المؤمنين، ثم لا أشارك المؤمنين فى مكاره الزمان؟ والله لو شئت لكان لى من صفو هذا العسل ولباب هذا البر ومناعم هذه الثياب . ولكن هيهات أن يغلبنى الهوى، فأبيت مبطانا . وحولى بطون غرثى - أى جائعة -) .

وسأل رجل الحسن البصرى عن الإمام على . فقال له : يا أبا سعيد : ما تقول فى على بن أبى طالب؟ فاحمرت وجنتا الحسن . وقال : (رحم الله عليا . إن عليا كان سهما لله صائبا فى أعدائه وكان فى محلة العلم أشرفها وأقربها إلى رسول الله ﷺ وكان رهبانى هذه الأمة لم يكن لمال الله بالسروقة . ولا فى أمر الله بالنؤومة . أعطى القرآن عزائمه وعمله وعلمه . فكان منه فى رياض موثقة . وأعلام بينة . ذلك على بن أبى طالب يالكع) .

رحمك الله يا أبا الحسن . وجزاك عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وأجمل المثوبة يقدر ما قدمت وما أعطيت والله يضاعف لمن يشاء فلقد كنت نموذجاً فريداً للحاكم العادل الزاهد التقى الورع . مثل ما كنت المؤمن القوى والمجاهد الصابر والعالم الفذ والمفتى العظيم والشجاع الجريء فلم تأخذك فى الله لومة لائم حتى صرت إلى ما صرت إليه فى رضوان الله ونعيمه .

الإمام والرعية :

إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم على درجة عالية من الأهمية . فالحاكم محتاج إلى ثقة الرعية ومعابنتهم ومحبتهم له . والرعية محتاجة إلى عدل الحاكم

ورحمته وكل من الحاكم والمحكوم محتاج إلى محبة الآخر له . وتقديم النصيحة له .

ولابد للحاكم - دائما - أن يقدم الإرشاد والتوجيه لرعيته . وأن يعرفهم بحقائق الأمور وخاصة في الأمور الصعبة . فكلما كانت الرؤيا واضحة أمام الرعية . كان الولاء كاملا والولاء للحاكم وللأمة يجعل الفرد دائما متفانيا في خدمة مجتمعه مؤثرا مصلحة الأمة على مصلحته الشخصية .

وكان الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه يعرف هذه الحقيقة . لذلك فإنه لم تشغله مسؤولياته العظيمة عن الاهتمام بأمور الرعية . وتفقد أحوالهم وتنفيس الكرب عنهم . فكان يمشى فى الأسواق ويجوب الشوارع وجده . يرشد الضال . ويهدى الحائر ويعين الضعيف ويمر بالباعة وأصحاب الحوانيت وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [القصص: ٨٣] ويقول : ( نزلت هذه الآية فى أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة على سائر الناس ) .

وكان يوجه رعيته ويرشدهم إلى ضرورة المحافظة على أمور حياتهم الدنيوية والآخرية . فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . ويحذر من الغش والخداع ويحث على الرحمة بالآخرين ومد يد العون للمحتاجين .

يقول أبو مطر : ( خرجت من المسجد . فإذا رجل ينادى خلفى : ارفع إزارك فإنه أتقى لربك ، وأتقى لثوبك وخذ من رأسك - أى خذ من شعر رأسك - إن كنت مسلما فإذا هو : على ومعه الدرّة فانتهى إلى سوق الإبل فقال : بيعوا ولا تحلفوا فإن اليمين تنفق السلعة . وتمحق البركة . ثم أتى صاحب التمر فإذا خادم تبكى . فقال : ما شأنك؟ قالت : باعنى هذا ثمرا بدرهم فأبى مولاي أن يقبله . فقال : خذه واعطها درهما . فإنه ليس لها أمر . فكانه أبى فقلت : أتدرى من هذا؟ قال : لا قلت : على أمير المؤمنين فصب ثمره وأعطاهما درهما . وقال : أحب أن ترضى عنى يا أمير المؤمنين . قال : ما أرضانى عنك إذا وفيتهم . ثم مر مجتازا

بأصحاب التمر فقال: أطعموا المسكين يَرْبُ - يزيد - كسبكم . ثم مر مجتازا أصحاب السمك فقال: لا يباع فى سوقنا طاف - أى السمك الميت فى الماء ويطفو على سطحه - )

ووقف الإمام يوما يخطب الناس مبينا لهم ضرورة الاهتمام بأمر الدار الآخرة . فقال: ( عباد الله: لا تغرنكم الحياة الدنيا . فإنها دار بالباء محفوفة . وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة . وكل ما فيها إلى زوال . وهى ما بين أهلها ذول وسجال لن يسلم من شرهائزها لها . بينا أهلها فى رخاء وسرور . إذا هم منها فى بلاء وغرور العيش فيها مدموم . والرخاء فيها لا يدوم . وإنما أهلها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها . وتقصمهم بحمامها - أى تكسرهم بموتها .

عباد الله: إنكم وما أنتم من هذه الدنيا عن سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا وأعمر منكم ديارا . وأبعد آثارا فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول ثقلها وأجسادهم بالية ، وديارهم خالية وآثارهم عافية واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة فى القبور الملاطية - مونة البناء من الطين - الملحذة التى قد بنى على الخراب فناؤها . وشيد بالتراب بناؤها . فحملها مقرب . وساكنها مغترب . بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله - الصدر - البلى وأكلتهم الجنادل والثرى فأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد غضارة العيش رفاتا فجمع بينهم الأحياب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم إياب . هيهات . هيهات ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُعْتَوْنَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فكان قد صرتم إلى ما صاروا عليه من الوحدة والبلى فى دار الموتى وارتهنتم فى ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد تناهت الأمور . وبعثرت القبور وحصل ما فى الصدور . وأوقتمم للتحصيل بين يدي ملك جليل . فطارت القلوب لإشفاقها من

سالف الذنوب . وهتكت عنكم الحجب والأستار فظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت . ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩] .

جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه . متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله . إنه حميد مجيد .

وروى ابن أعبَدَ قال : قال على رضى الله عنه ( يا ابن أعبد . هل تدري ما حق الطعام ؟ قلت : وما حقه ؟ قال : تقول . بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا . ثم قال : أتدري ما شكره إذا فرغت ؟ قلت : وما شكره ؟ قال : تقول : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا ) (١) . هـ .

وفى خطبته الأولى بعد تمام البيعة له أكد على ضرورة الالتزام بالأوامر الإلهية والبعد عن المحرمات مما نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ فقال : ( إن الله عز وجل أنزل كتابا هاديا . بين فيه الخير والشر . فخذوا بالخير ودعوا الشر . الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنة . إن الله حرم حُرْمًا غير مجهولة . وفضل حرمة المسلم على الحُرْم كلها . وشد بالإخلاص والتوحيد المسلمين . والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب بادروا أمر العامة . وخاصة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم . وإنما من خلفكم الساعة تحذوكم . تخففوا تلحقوا فيأتما ينتظر الناس أخراهم . اتقوا الله عباده فى عباده وبلاده . إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم . أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه . وإذا رأيتم الخير فخذوا به . وإذا رأيتم الشر فدعوه ﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ

(١) أقوال الإمام على نقلا عن كتاب الخلفاء الراشدين عن الشيخ .

قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿ [ الأنفال : ٢٦ ] فلما فرغ من خطبته هذه وأراد الانصراف إلى بيته . قالت السبئية ( أتباع عبد الله بن سبا اليهودى ) :

خُذْهَا إِلَيْكَ وَاحْذَرْنَ أَبَا حَسَنِ      إِنَّا نُمِرُّ الْأُمُرَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ  
صَوْلَةَ أَقْوَامٍ كَأَسْدَادِ السَّفِينِ      بِمَشْرِفِيَّاتِ كَغُدْرَانِ اللَّبَنِ  
وَنَطْعَنِ الْمَلِكِ بَلِينِ كَالشَّطْنِ      حَتَّى يَمْرُنَ عَلَيَّ غَيْرَ عَنَنِ

أسداد السفن : السفن الضخمة

والمشرفيات : نوع من السيوف يجلب من المشارف

الشطن : الحبل الطويل .      عنن : ظهر وعرض .

فرد عليهم الإمام كرم الله وجهه بحزمه وعزمه ولوح لهم ببأس . فقال لهم :

إِنِّي عَجَزْتُ عَجْزَةً لَا أَعْتَذِرُ      سَوْفَ أَكَيْسٍ بَعْدَهَا وَاسْتَمِرُّ  
أَرْفَعُ مِنْ ذِيْلِي مَا كُنْتُ أَجْرُ      وَأَجْمَعُ الْأُمُرَ الشَّتِيَّتِ الْمُنْتَشِرُ  
إِنْ لَمْ يَشَاغِبْنِي الْعَجُولُ الْمُنْتَصِرُ      أَوْ يَتْرُكُونِي وَالسَّلَاحُ يَبْتَدِرُ (١) أ. هـ

وهكذا كان الإمام على رضی الله عنه يوجه الأمة ويرشدهم إلى ضرورة التمسك بما يعود عليهم بالنفع في الدنيا وفي الآخرة . فهو ناصح أمين وصادق . وحكم غير غاش لرعيته . لقد أحسن القدوة بمن سبقه من الثلاثة الراشدين وسار على منهجهم رضی الله عنهم .

\* \* \*

( ١ ) الضدر السابق : ٥٥٢ والكيس الفطن .

## (٣) الإمام والفتنة

(أ) بداية الفتن:

لقد أطلت الفتنة برأسها منذ عقد البيعة للإمام على رضى الله عنه .  
وأخذت الأحداث تتوالى . والمدينة المنورة مלאها البدو وأوباش الأمصار الذين  
انتهكوا حرمتها فلم يرعو الأدب بجوار المصطفى ﷺ وسفكوا الدم الحرام فى  
البلد الحرام فى الشهر الحرام . فقتلوا أمير المؤمنين : عثمان بن عفان رضى الله عنه  
ذا النورين وصاحب المآثر العظيمة .

لقد هجمت الفتن بكاهلها على الدولة المسلمة والخليفة الراشد على بن  
أبى طالب رضى الله عنه . الذي لم يرقى النوم راحة منذ توليه فلم يغمض له جفن  
ولم يسترح له جسد منذ توليه إلى أن فاضت روحه الزكية إلى بارئها . وهذا  
قدره . وكان أمر الله قدرا مقدورا . وترجع أهم أسباب الفتنة - فى نظرى - إلى ما  
يلى :

أولا : قميص عثمان :

روى المؤرخون : أن النعمان بن بشير رضى الله عنه قد خرج من المدينة  
المنورة إلى بلاد الشام . ومعه قميص عثمان رضى الله عنه مضرّج بدمه . وأصاب  
نائلة بنت الفرافصة التى أصيبت حين دافعت عن زوجها عثمان بيدها فقطعت مع  
بعض الكف . وخصلة شعر من لحية عثمان . اقتلعها منه محمد بن أبى بكر .  
فورد بهذه الأشياء على معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه بالشام بتكليف من  
امراة عثمان رضى الله عنه فوضعه معاوية على المنبر بالمسجد ليراه الناس وعلق  
الأصابع فى كُمّ القميص وندب الناس للأخذ بثأر عثمان ممن قتلوه . فتباكى الناس  
حول المنبر وجعل القميص يرفع تارة ويضع تارة والناس يتباكون حوله سنة  
كاملة . وكل منهم يطلب من صاحبه ضرورة الأخذ بالشار . وآلى الرجال من أهل  
الشام ألا يأتوا النساء ولا يمسهن ماء الغسل من الجنابة إلا ما كان من الاحتلام ولا

ينامون على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان . وسوف يتحملون النتيجة مهما كانت ولو كان فيها إزهاق أرواحهم ويروى الثقة من المؤرخين أن معاوية وجماعة من الصحابة معه كانوا يبرءون عليا من دم عثمان . فكانوا يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان ممن قتله من هؤلاء، الخوارج والبغاة . الذين خرجوا على نظام الدولة المسلمة وقتلوا الخليفة وهم يروجون لانتهاكات باطلة وأقوال مزيفة حول عمال عثمان . وكما هو مدون في كتب التاريخ كان عمال عثمان إخوة من الصحابة المجاهدين الصابرين كأبي موسى ومعاوية وغيرهما

### ثانيا : موقف طلحة والزبير :

وما إن تمت البيعة للإمام على كرم الله وجهه . ولم يلتقط الناس أنفاسهم فإذا بالسيدين الجليلين : طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ومعهما كبار الصحابة رضى الله عنهم . يدخلون على أمير المؤمنين ويطلبون منه : الأخذ بدم عثمان بن عفان رضى الله عنه . وضرورة إقامة الحدود والإسراع فى معاقبة القتلة والتنكيل بهم وبمن عاونوهم لكى تستريح منهم الأمة وحتى لا يستفحل أمرهم ويتعظم شرهم . فيقدمون بأعمال أخرى تراق فيها الدماء .

إن أمير المؤمنين كان يعرف هذه الحقيقة ولم يكن يجهلها . إلا أنه كان يرى الوضع الحالى بالمدينة المنورة لا يسمح بمواجهة هؤلاء الثوار وطلب من الصحابة الإمهال حتى ينصرف هؤلاء الثوار إلى بلادهم وتهدأ الأمور وتستقر أمور الدولة يقول لإخوانه ( يا إخوتاه . إنى لست أجهل ما تعلمون . ولكنى كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبد انكم . وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلا لكم يسومونكم ما شاءوا فهل ترون موضعا لقدرة على شئ مما تريدون؟ قالوا : لا . قال : فلا والله لا أرى إلا رأيا ترونه إن شاء الله إن هذا الأمر أمر جاهلية وأن لهؤلاء القوم مادة . وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدا . إن الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور : فرقة ترى ما

ترون . وفرقة ترى مالا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا . حتى يهدأ الناس . وتقع القلوب مواقعها . وتؤخذ الحقوق . فاهدأ واعنى . وانظروا ماذا ياتيكم ثم عودوا) .

واضح ان الصحابة متفقون على ضرورة تطبيق أحكام الشريعة وإقامة الحدود . ولكن كان الخلاف بينهم حول التوقيت .

فقد كان أمير المؤمنين يرى الإرجاء والإمهال حتى تستقر الأمور . والآخرون يريدون الإسراع فى القصاص . ولكن كان أمير المؤمنين مصيبا فى رأيه ما رآه من كثرة عدد الثائرين من القتلة ومن أيدهم من جفاة الأعراب والرعاع من الناس وقد ضاق الإمام بهؤلاء الثائرين ذرعا ولذا أمر مناديا ينادى فيهم :

(برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه . يا معشر الأعراب الحقوا بميهاكم) ولكن طلحة والزبير رضى الله عنهما طلبا من أمير المؤمنين أن يأذن لهما أن يأتيا البصرة والكوفة . لإحضار قوة كبيرة من الجند للاستعانة بهم فى ضرب هؤلاء لتعود الحياة إلى حالة الهدوء والاستقرار . ولكن أمير المؤمنين رفض السماح لهما بذلك فاستأذناه فى الذهاب إلى مكة لاداء العمرة . فأذن لهما . فخرجا إلى مكة .

### ثالثا : طائفة السبئية :

وهم أتباع عبد الله بن سبا اليهودى وهم إليه ينسبون . وإليه ينقادون ويفكره الخبيث يتمسكون . وهم محركو الفتنة وقوادها . وهم الذين أشعلوا نارها . وأحرقوا الناس بلهبها ولظاها يدسون الدسائس ويروجون الأكاذيب والشائعات ويلفقون التهم والأكاذيب ضد الصحابة وينشرونها بين الأوباش وجفاة الأعراب وللأسف نجد الكثير من كتب التاريخ والسير مملوءة بهذه الروايات الملفقة والمكذوبة . وينخدع بها الكثير ويظنونها حقائق . فيتهمون الصحابة رضى الله عنهم ويقولون فيهم الأقاويل مما يتنافى تماما وأخلاق الصحابة الكرام الذين أثنى الله عليهم فى القرآن الكريم وعلى لسان النبي ﷺ .

نرى من هذه الروايات الكثير فى مروج الذهب للمسعودى وتاريخ الطبرى

ونقل عنهما وعن غيرهما صاحب إتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء والخلفاء الراشدون للنجار ورجال حول الرسول وخلفاء حول الرسول وعبقريّة الإمام على وغيرها من كتب المحدثين . وأما كتب الشيعة فحدث عنها ولا حرج مملوءة بالخرافات والأكاذيب والأحاديث الموضوعية فى التجنى على كبار الصحابة وسبهم ولعنهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ولا يعجب المرء لأن التاريخ الإسلامى - بكل أسف - بدأ تدوينه متأخرا بعد سقوط دولة بنى أمية وقيام الدولة العباسية وأكثر المؤرخين بجمع روايات وسماعات ولا يقوم بتحقيقها ومراجعتها فالصحابه رضى الله عنهم أعلى وأسمى وأرفع مما يقوله هؤلاء وأولئك فيهم فبعض المؤرخين إما متشيع أو حاقد أو جاهل بأحوال الصحابة أو سليم النية أو مغالى يتطرف يمينا أو يسارا . جزى الله أصحاب النبى ﷺ عن الأمة خير الجزاء .

#### رابعا : تغيير الولاية :

إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان رجلا بعيد النظر واسع الفكرة إلا أن الظروف المحيطة به كانت أقوى مما يظن كما يبدو لى . لقد ظن الإمام كرم الله وجهه أن الإسراع فى تغيير عمال عثمان رضى الله عنه وتعيين بدلا منهم ربما يكون هذا الفعل دعوة منه لتهدئة الثائرين . ولأخذ البيعة له من الأمصار . ولكن هذا التصرف جاء فى غير وقت أوانه . ولقد نصحه بعض الصحابة لكى ينتظر فى هذا الأمر حتى تهدأ الأمور قال له المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ناصحا : (إنى أرى أن تقر عمالك على البلاد فإذا تتك طاعتهم استبدلت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت ) . وأكد عبد الله بن عباس رضى الله عنهما النصيحة فأشار على الإمام أن يقر نوابه على الأقاليم إلى أن يتمكن وتصبح الأمور كلها بيده . وأن يقر معاوية - خصوصا - على الشام .

فرفض الإمام رضى الله عنه وجهة النظر هذه . وولى على الأمصار نوابا آخرين ذكرناهم فيما سلف .

فانتشرت الفتنة وتفاقم الأمر ورد بعض عمال على ولم يتمكنوا من استلام مهامهم وبعث على إلى معاوية بن أبي سفيان كتباً كثيرة . فلم يرد عليها جواباً ومضى ثلاثة أشهر من مقتل عثمان رضى الله عنه . ثم بعث معاوية كتاباً مع رجل فدخل به على أمير المؤمنين فقال له : ما وراءك ؟

قال : جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود . كلهم موتور ، تركت سبعين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان . وهو على منبر دمشق . فقال على اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ) ثم خرج رسول معاوية من عند الإمام . فهم به أولئك الخوارج البغاة قتلة عثمان ليقتلوه . ولكنه أفلت منهم بعد جهد .

فقرر أمير المؤمنين قتال أهل الشام لرفضهم البيعة وكتب إلى عماله على مصر والكوفة والبصرة . لكي يستحثوا الناس ويستنفروهم لقتال أهل الشام . وخطب الناس فحثهم على ذلك .

ولكن ابنه الإمام الحسن رضى الله عنه كان له رأى آخر . قال : ( يا أبت دع هذا . فإن فيه سفك دماء المسلمين ووقوع الاختلاف بينهم ) .

يقول كثير من الباحثين : ليت علياً استجاب لرجاء ابنه الحسن عندنا أشار عليه بعدم الخروج من المدينة وعندما أشار عليه أن لا يخرج للقتال فى صفين . ولكن علياً لم يقبل منه ذلك ، وصمم على قتال أهل الشام ورتب الجيش ودفع باللواء إلى ابنه : محمد ابن الحنفية . واستخلف على المدينة . قثم بن العباس رضى الله عنهما وكان بذلك جاهزاً للخروج إلى الشام حتى جاءه ما شغله عن ذلك كله .

**خامساً : قتلة عثمان بن عفان رضى الله عنه .**

إن قتلة أمير المؤمنين : عثمان بن عفان رضى الله عنه . ومن وافقهم أتوا من مصر والبصرة والكوفة وأجلاف العرب ممن ينتشرون فى البوادر ومن خلفهم السبئيين هم المسئولون الأول عن قيام الفتنة وتطورها . فوقع الناس فى حيرة

وأريققت دماء كثيرة لمذنبين وأبرياء . واتهم الكثير من الشرفاء وروجت حولهم الشائعات وانتشرت الأكاذيب وزيفت الحقائق وجيشت الجيوش ودارت المعارك بين المسلمين وسقط عشرات الألوف .

### سادسا : خروج السيدة عائشة إلى البصرة :

إن أزواج النبي ﷺ قد خرجن إلى الحج . وخرج معن الكثير من المسلمين ولحق بهن طلحة والزبير - بعد استئذانهما أمير المؤمنين : على رضى الله عنه - لأداء شعائر العمرة . وكان موسم الحج قد انتهى . ولم تعد نساء النبي ﷺ إلى المدينة ولكنهن أقمن فى مكة لما وصلهن خبر مقتل أمير المؤمنين : عثمان رضى الله عنه فأقمن بمكة حتى تستقر الأمور وتهدا الأحوال .

ووصل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهما إلى مكة ومعهما خلق كثير فاجتمع بمكة - بعد الحج - خلائق من الصحابة وأمهات المؤمنين .

وقامت السيدة عائشة رضى الله عنها - لما لها من مكانة رفيعة فى نفوس المسلمين - تحث الناس على القيام بطلب دم عثمان والقصاص من قتلته . واشتوروا فيما بينهم ماذا يفعلون ؟ وبعد محاورات ومداومات استقر رأيهم على المسير إلى البصرة . بهدف جمع قوة ضاربة من أهلها الشرفاء لتتعاون هذه القوة مع سلطة الخلافة وجيشها لتفريق الثوار والقضاء على تسلطهم على المدينة . وليتمكنوا من قتلة عثمان .

ولم يكن عند المجتمعين من نساء النبي ﷺ ومن الصحابة الكرام أدنى شك فى براءة الإمام على كرم الله وجهه من دم الإمام الشهيد عثمان بن عفان رضى الله عنه وعلى وجه الخصوص السيدة عائشة وطلحة والزبير رضى الله عنهم .

ولم يكن الأمر كما ادعى بعض الكتاب المحدثين من أمثال : الشيخ عبد الوهاب النجار . والخضرى والعقاد وطه حسين وخالد محمد خالد وغيرهم بأن خروج السيدة عائشة وطلحة والزبير كان لتصفية حساب من السيدة عائشة مع

الإمام على لموقفه فى حادثة الإفك . وطلحة والزبير بسبب طلب الولاية وأرادوا بهذا الخروج خلع الإمام على . وهو ما ينفيه القاضى أبو بكر ابن العربى فى كتابه : العواصم من القواصم والحافظ ابن حجر فى كتابه فتح البارى (١) . فقد نقل عن كتاب ( أخبار البصرة ) لعمر بن شبة قول المهلب :

(إن أحدا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليا فى الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة) .

لقد سارت السيدة عائشة رضى الله عنها وطلحة والزبير إلى البصرة ومعهم ألف مقاتل مجهزين بأسلحتهم وعتادهم وتلاحق بهم آخرون حتى وصلوا البصرة فى ثلاثة آلاف مقاتل وقد كان من الأفضل لهم وللأمة أن يسيروا بجيشهم هذا إلى المدينة المنورة ليشدوا من أزر الخليفة ويعاونوه فى تفريق هؤلاء الثائرين عن المدينة . لكى يتمكن الخليفة من قتل عثمان والقصاص منهم . وهذه مسئوليته وحده بحكم وظيفته كأمير للمؤمنين . وليس من حق أى أحد أن يتطوع للقيام بهذه المهمة دون التخطيط مع الخليفة واستئذانه . فهو وحده الذى يقدر انظروف ويقرر المواقف ضد هذه العناصر الخارجة على نظام الدولة .

ولو أنهم ذهبوا إلى المدينة لمعاونة أمير المؤمنين لتغيير الحال إلى الأحسن والأفضل ولما وقعت هذه الأحداث الجسام فى معركة الجمل وصفين .

وأنا لا أعتب عليهم ولا أحاسبهم - لأنه من القبح أن يحاسب الابن أمه . أو يعتب على صحابة رسول الله ﷺ - وإنما أعذرهم ولا أشك فى حسن نيتهم . لأنهم كانوا جميعا مجتهدين وما أرادوا بذلك إلا الخير وجمع الكلمة وتوحيد الصف وإقامة شريعة الله عز وجل . فجاءت النتائج عكس ما كانوا يأملون والمجتهد مثاب من الله تعالى . أصاب أم أخطأ كما روى فى صحيح الحديث .

ولهم سابقتهم إلى الإسلام وهم المجاهدون الصابرون . صحبوا النبى ﷺ

(١) فتح البارى : ١٣ / ٤١ ، ٤٢ السلفية .

وبذلوا كل ما يملكون نشرًا للإسلام ودفاعاً عن النبي ﷺ فهم يعرفون قدر الإمام على ومنزلته من رسول الله ﷺ وهو يعرف لهم أقدارهم ومنازلهم رضى الله عنهم ... وبعد :

فهذه كلها كانت السبب فى الفتنة وبداية الصراع الذى لم يكن فى حساب أحد من الناس والذى انتهى بمصرع رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه .

### (ب) وقعة الجمل :

تحركت السيدة : عائشة رضى الله عنها ومعها طلحة والزبير رضى الله عنهما ومعهم ألف مقاتل مدججين بالسلاح وانضم إليهم آخرون فصاروا ثلاثة آلاف . وأم المؤمنين تحمل فى هودج لها على جمل اسمه (عسكر) خرجوا من مكة المكرمة يريدون البصرة ومروا فى مسيرهم ليلا بماء يقال له (الحوأب) فنبحتهم كلاب عنده .

فلما سمعت ذلك أم المؤمنين قالت : ما اسم هذا المكان؟ قالوا : الحوأب فضربت بإحدى يديها على الأخرى . وقالت : (إنا لله وإنا إليه راجعون . ما أظننى إلا راجعة . قالوا : ولم؟ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه : ليت شعرى أيتكن التى تنبحها كلاب الحوأب . ثم ضربت عضد بغيرها فأناخته . وقالت : ردونى . ردونى . أنا والله صاحبة ماء الحوأب) (١) .

فقال لها الزبير رضى الله عنه : ترجعين؟ عسى الله أن يصلح بك وبين الناس . فقبلت ذلك من جوارى رسول الله ﷺ . رجاء أن تشفع لها منزلتها عند الناس فى اجتماعهم للأخذ بدم عثمان الشهيد . فاستمرت فى مسيرها إلى البصرة وتابع الناس معها طريقهم . من أجل الإصلاح وإقامة حدود الله عز وجل .

ونقل خبر هذه المسيرة إلى أمير المؤمنين فخرج فى تبعيته التى كان قد أعدها للخروج بها إلى الشام وهو يرجو أن يدركهم . ليحول بينهم وبين الخروج لما يعرفه أمير المؤمنين مما سوف يترتب على ذهاب السيدة : عائشة ومن معها إلى البصرة . وخاف الإمام أن تصاب أم المؤمنين بسوء أوتهان . فهذا هو الذى دفع

الإمام لكى يخرج بفواته مسرعا ليلحق بهم ويمنعهم . فلما وصل إلى الريدة - مكان - فبلغه أنهم قد مروا به وفاتوه فواصل الإمام سيره نحو البصرة .

واقترب جيش السيدة عائشة من البصرة . فكتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رءوس الناس أنها قدمت . فبعث إليها أمير البصرة : عثمان بن حنيف رسولين : الصحابي عمرو بن حصين والتابعي : أبا الأسود الدؤلى ليعلما ما جاءت به .

فلما قدما وسألاها ذكرت لهما أنها جاءت للطلب يدم عثمان . لأنه قتل مظلوما في شهر حرام وبلد حرام . وتلت قوله تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجُوأِهِمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء : ١١٤] وقالت : انهنض في الإصلاح من أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى فهذا شأننا إلى معروف نامركم به . ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره .

ولما علم أهل البصرة بقدوم السيدة عائشة ومعها طلحة والزبير . انقسموا ثلاث فرق : فرقة حبذت خروج السيدة عائشة ومن معها وباركته وانضمت إلى من جاء معها لمعاونتها على الإصلاح والثأر من قتلة عثمان رضى الله عنه . وفرقة بقيت على ولائها لوالى البصرة عثمان بن حنيف . الذى لم يرحب بقدومها والفرقة الثالثة : اعتزلت الفريقين ورأت فى ذلك سلامتها .

وعزم عثمان بن حنيف أن يمنع جيش عائشة من دخول البصرة . حتى يقدم أمير المؤمنين على رضى الله عنه . فخرج بالجيش . وتقابل مع جيش السيدة بالمريد - مكان بالبصرة - وكان جيشها فى يمين المريد . وجيش ابن حنيف فى يسرته . فتكلم طلحة فندب إلى الأخذ بثأر عثمان والطلب بدمه . وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته . فقال من فى الميمنة : صدقًا وبرًا . وقالوا الحق . وأمر به . وقال من فى يسرته : فجرا وغدرا وقالوا الباطل . وأمر به . فتحاثنى الناس بالتراب . وتراموا بالحجارة .

ولما تكلمت السيدة عائشة فحثت الناس للأخذ بشار عثمان . وقتل قتلته .  
افترق جيش ابن حنيف فرقتين : فرقة ثبتت معه . والأخرى انضمت لجيش عائشة  
وأقبل حُكيم بن جبلة - وكان على خيل ابن حنيف وممن باشر قتل عثمان بن  
عفان - فأنشب القتال وجعل أصحاب أم المؤمنين يكفون أيديهم ويمتنعون من  
القتال وجعل حُكيم يفتحهم عليهم . فاقتتلوا على فم السكة . وأمرت عائشة  
أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى ( مقبرة بنى مازن ) وحجز الليل بينهم . فلما  
كان اليوم الثاني قصدوا للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا . إلى أن زال النهار . وقتل  
خلق كثير من أصحاب ابن حنيف وكثرت الجراح فى الفريقين فلما عضتهم  
الحرب تداعوا للصلح .

ودخل بعض الناس على عثمان بن حنيف قصره . فأخرجوه إلى طلحة  
والزبير أسيرا ولم يبق فى وجهه شعرة إلا نتفوها . فاستعظما ذلك . وبعثا إلى  
عائشة فأعلمها الخبر . فأمرت أن يخلى سبيله .

فحمى لذلك جماعة من قوم قتلة عثمان بن عفان وأنصارهم . فركبوا فى  
جيش قريب من ثلاثمائة . ومقدمهم حكيم بن جبلة . فبارزوا وقتلوا . فتصدى  
لهم جيش عائشة فانهكهم قتلا . وقتل حكيم ، وضعف شان جيشه . وتغلب  
جيش عائشة على البصرة ونادى منادى طلحة والزبير فى القبائل أن من كان  
فيكم ممن غزا المدينة أحد فلياتنا به فجئى بهم . فقتلوا . فما أفلت منهم إلا  
حرقوص بن زهير السعدى فإن بنى سعد قومه منعه (١) . ١٠ هـ .

وأصبحت بذلك البصرة تحت يد السيدة عائشة ومن معها من الجيش .  
وكتبوا بذلك إلى أهل الشام وطلبوا منهم النهوض للمعاونة فى الثار من قتلة  
عثمان رضى الله عنه وبعثوا بمثل ذلك إلى أهل الكوفة واليمامة والمدينة ، وغيرها .  
لقد بعثت السيدة عائشة رضى الله عنها بكتاب إلى أهل الكوفة منه : (إنا  
قدمنا البصرة . فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده . فأجابنا الصالحون إلى

(١) الخلفاء الراشدون : ٥٥٩ ، ٥٦٠ .

ذلك . واستقبلنا من لا خير فيه بالسلاح – أي قتلة عثمان – وقالوا: لنتبعنكم عثمان . ليزيدوا الحدود تعطيلا فعاندوا فشهدوا علينا بالكفر وقالوا لنا المنكر فقرأنا عليهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران: ٢٣] فاذعن لى بعضهم، واختلفوا بينهم فتركناهم وذلك فلم يمنع ذلك من كان على رأيه الأول أن يضع السلاح فى أصحابى وعزم عليهم عثمان ابن حنيف<sup>(١)</sup> إلا قاتلونى حتى منعى الله عز وجل بالصلحين . فرد كيدهم فى نحورهم فمكثنا ستا وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حدوده – وهو حقن الدماء أن تهراق دون من قد حل دمه – فابوا . واحتجوا بأشياء . فاصطلحنا عليها فحافوا . وخانوا . وغدروا . فجمع الله – عز وجل – لعثمان ثارهم . فأقادهم . فلم يفلت منهم إلا رجل فالزموا الرضا إلا عن قتلة عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقه . ولا تخاصموا الخائنين ولا تمنعوهم ولا ترضوا بذؤى حدود الله فتكونوا من الظالمين<sup>(٢)</sup> .

### على وجيشه فى البصرة:

أما أمير المؤمنين: على بن أبى طالب فإنه لما بلغه وهو بالمدينة بمسير عائشة وقد عبى جيشه إلى الشام دعا وجوه أهل المدينة . وقال لهم (إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أولا فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم) .

فانتدب معه ناس وثقل آخرون . فخرج من المدينة . وهو يرجو أن يلحق الزبير وطلحة قبل أن يصلا البصرة . واستخلف على المدينة: سهل بن حنيف فلما وصل الربيعة أتاه خبر سبقهم . وفى الربيعة لقبه عبد الله بن سلام . وطلب منه ألا يخرج فابى . وكذلك تمنى الحسن بن على بن أبى طالب على أبيه ألا يخرج فابى أيضا ورأى الناس تصميمه وعزمه على المسير إلى البصرة . فقام إليه أبن لرفاعة ابن

(١) عثمان بن حنيف والى البصرة . من الصحابة الكرام .

(٢) المصدر السابق: ٥٦٠ ، ٥٦١ .

رافع فقال: ( يا أمير المؤمنين . أى شئ تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال : أما الذى نريد وننوى فالإصلاح . إن قبلوا منا وأجابونا إليه .

قال : فإن لم يجيبوا إليه؟ قال : ندعهم بعذرهم . ونعطيهم الحق ونصبر .

قال : فإن لم يرضوا؟ قال : ندعهم ما تركونا . قال : فإن لم يتركونا؟

قال : امتنعنا منهم . قال : فنعم إذا )

وبعث أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة يستنصرهم . وأرسل محمد بن أبى

بكر ومحمد بن جعفر ومعهما كتابا . هذه صورته :

( إنى اخترتكم على الامصار وفرعت إليكم لما حدث فكونوا لدين الله

أنصارا وأعوانا وانهضوا إلينا . فالإصلاح نريد ، لتعود هذه الأمة إخوانا . ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق . ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه ) .

وكان رأى أبو موسى الأشعري أمير الكوفة قعود الناس عن هذه الفتن . فلما

سأله أهل الكوفة عن الخروج إلى على والقتال معه . قال : ( إنما هما أمران القعود فى سبيل الآخرة والخروج فى سبيل الدنيا ) .

فلم يخرج مع ابن أبى بكر وابن جعفر أحد . فاغلظا لأبى موسى . فقال

لهما : والله إن بيعة عثمان لفى عنقى وعنق صاحبكما . فإن لم يكن بد من القتال فلا نقاتل أحدا حتى تفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا .

فرجعا إلى على بالخبر . فلقيه بذى قار فأرسل بدلتهما مالك بن الحارث

الأشتر وعبد الله بن عباس فلما قدما الكوفة . كلما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من أهلها . فقام وخطب الناس . وبعد أن حمد الله وأثنى عليه . قال :

( أيها الناس إن أصحاب النبى ﷺ الذين صحبوه أعلم بالله ورسوله ممن لم

يصحبه . وإن لكم علينا لحقا . وأنا مؤد إليكم نصيحة . كان الرأى أن لا تستخفوا بسلطان الله وأن لا تجترئوا على الله وأن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة

فتردوهم إليها حتى يجتمعوا فهم أعلم بمن تصلح له الإمامة وهذه فتنة صماء القائم فيها خير من اليقظان . واليقظان خير من القاعد والقاعد خير من القائم

والقائم خير من الراكب، والراكب خير من الساعى فكونوا جرثومة من جراثيم العرب فاعمدوا السيوف وانصلوا الاسنة وقطعوه الأوتار. وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلي هذه الفتنة).

فرجع ابن عباس والأشتر إلى علي بالخبر. فأرسل الحسن بن علي وعمار بن ياسر فأقبلا حتى دخلا المسجد. فقال الحسن لأبى موسى لم تثبط الناس عنا فوالله ما أردنا إلا الإصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء. قال: صدقت بأبى أنت وأمى. ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم. والقائم خير من الماشى. والماشى خير من الراكب).

(وقد جعلنا الله إخوانا. وقد حرم علينا دماءنا وأموالنا)

فكثر الجدل بين الناس فمن محرض على الخروج مع أمير المؤمنين. ومن تثبط عنه<sup>(١)</sup>.

وبعد المحاورات والمداومات استجاب الناس للنفير وساروا مع الحسن بن علي وعمار بن ياسر جيش من أهل الكوفة قوامه زهاء تسعة آلاف رجل وكان من رؤساء من انضاف إلى علي القعقاع بن عمرو. وسعد بن مالك، وزيد بن صوحان. وعدى بن حاتم. وحجر بن عدى فجاءوا عليا وقد زلزلوا الأرض بصياحهم وملاؤه بسيوفهم المشرعة، فقام أمير المؤمنين فيهم خطيبا فقال: (يا أهل الكوفة: أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم. وفضضتم جمعهم حتى صارت إليكم مواريشهم فأغنيتم حوزتكم. وأعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة. فإن يرجعوا فذاك ما نريده. وإن يلجوا داو يناهم بالرفق. وبإيئناهم حتى يبدؤونا بظلم. ولن ندع أمرا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه من الفساد إن شاء الله. ولا قوة إلا بالله)<sup>(٢)</sup>.

(١) إتمام الوفاء: ١٧٥، ١٧٦.

(٢) الخلفاء الراشدون: ٥٦٣.

وكان أمير المؤمنين قد التقى بعامله على البصرة: عثمان بن حنيف رضى الله عنه مهشما. وليس فى وجهه شعرة فقال: يا أمير المؤمنين: بعثتنى إلى البصرة وأنا ذو لحية. وقد جئتك أمرد فقال له أمير المؤمنين: (أصببت خيرا وأجرا).

وأراد أمير المؤمنين أن يتعرف على حقيقة موقف طلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام رضى الله عنهما فندب لهذه المهمة الصحابى العبقرى والقائد المظفر: القعقاع بن عمرو رضى الله عنه. وقال له: (الق هذين الرجلين - طلحة والزبير - فادعهما إلى الألفة والجماعة. وعظم عليهما الفرقة).

فخرج القعقاع حتى قدم البصرة. فبدأ بأمر المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها فسلم عليها وقال: (أى أمه. ما أشخصك. وما أقدمك هذه البلده؟ قالت: (أى بنى إصلاح بين الناس. قال: فابعثنى إلى طلحة والزبير حتى تسمعنى كلامهما فبعثت إليهما فجاءا).

فقال: إنى سألت أم المؤمنين. ما أشخصها. وما أقدمها هذه البلاد؟

فقالت: إصلاح بين الناس. فما تقولان أنتما أمتابعان أم مخالفان؟ قالوا: متابعان قال: فأخبرانى. ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحن. ولئن أنكروناه لا نصلح قالوا: قتلة عثمان رضى الله عنه. فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن. وإن عمل به كان إحياء للقرآن.

قال: قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة. وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة رجل. فغضب لهم ستة آلاف. واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم. وطلبتم ذلك الذى أفلت - يعنى حرقوص بن زهير - فمنعه ستة آلاف وهم على وجل - أى على خوف وحذر - فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون. وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم. فأديلوا عليكم فالذى حذرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون. وأنتم أحميتم مضر وربيعه من هذه البلاد. فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء. كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير.

قالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا؟

قال: أقول: هذا الأمر دواؤه التسكين. وإذا سكن اختلجوا - تفرقوا - فإن بايعتمونا فعلامة خير. وتباشير رحمة. ودرك بثأر هذا الرجل. وعافية وسلامة لهذه الأمة. وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه. كانت علامة شر. وذهاب هذا الثأر. وبعث الله في هذه الأمة هزاهزها - البلايا والحروب - فآثروا العافية ترزقوها. وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون. ولا تعرضونا للبلاء. ولا تعرّضوا له فيصّر عنا وإياكم. وإيم الله. إني لأقول هذا وأدعوكم له. وإني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها. ونزل بها ما نزل. فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يُقدّر وليس كالأمر. ولا كقتل الرجل. الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل.

فقالوا: نعم. إذا قد أحسنت وأصبت المقالة. فارجع: فإن قدم عليّ وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر.

فرجع إلى عليّ فأخبره. فأعجبه ذلك. وأشرف القوم على الصلح. كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه (١) لقد وقع كلام القعقاع بن عمرو موقعا حسنا من نفس أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير رضي الله عنهما. وكذلك أعجب أمير المؤمنين عليّ من مقالة القعقاع بن عمرو وسر بنجاح مهمته وتوصله للصلح وحفظ دماء المسلمين واتفاق الكلمة وتوجد الصف للوقوف أمام قتلة عثمان والتنكيل بهم. وخطب فيمن معه فكان مما قال: (ثم حدث هذا الحدث الذي جره على الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا. حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة. وأرادوا رد الأشياء على أدبارها والله بالغ أمره ومصيب ما أراد. ألا وإني راحل غدا فارتحلوا ألا ولا يرتحن غدا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس. وليُغْنِ السفهاء عنى أنفسهم).

(١) في هذا النص الذي رواه الطبري في تاريخه الرد القوي على افتراءات بعض المؤلفين والباحثين والمؤرخين لهذه الأحداث.

وارتحل أمير المؤمنين بمن معه . وخطوا رحالهم قريبا من البصرة فنزل جيشه  
بمكان يسمى ( الزاوية ) وجيش عائشة نزل بمكان يسمى ( الفرضة ) وتدانوا حتى  
تراءوا عند قصر عبید الله بن زياد (١) في يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة  
سنة ست وثلاثين للهجرة .

من أين جاء الشر؟

لما كان أمر الصلح - بين علي ومعسكر السيدة عائشة - لايسوء أحدا من  
الامة سوى المجلبين علي عثمان لأن حياتهم لا تكون إلا بدوام الشقاق بين علي  
وخصومه : أشفقوا علي أنفسهم أن يكون هذا الصلح علي أعناقهم فاجتمع  
منهم رهط ممن سار إلى عثمان . ورضى بسير من سار وخلصوا نجيا . منهم : علباء  
ابن الهيثم وعدى بن حاتم . وسالم بن ثعلبة العبسى . وسريح بن أوقى . والأشتر .  
وابن السوداء ( غبذ الله بن سبأ ) وخالد بن ملجم وغيرهم . فتشاوروا فيما  
يصنعون . وكان فيما قال بعضهم لبعض : إذا اجتمع الناس غدا واصطلحوا فليس  
الصلح إلا علينا وأشار بعضهم ( وهو الأشتر ) بقتل : علي وطلحة حتى تكون  
هذه بتلك فيغفر الناس لهم ما أحدثوا بعثمان . فسفه الآخرون رايه . وكل أبدى  
رأيا فقال لهم ابن السوداء : إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم . وإذا التقى  
الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر . فإذا من أنتم معه لا يجد بدا من أن  
يتمنع . ويشغل الله عليا وطلحة والزبير عما تكرهون .

لما وصل علي بعد ذلك إلى البصرة وقد بيت السبئية أمرهم وهو لا يعلم ولا  
بقية عسكره بما يسرون . أرسل إلى القوم : ( إن كنتم علي ما فارقتم الققعقاع  
عليه . فكفوا وأقرونا ننزل وننظر في هذا الأمر ) . فنزلوا والقوم لا يشكون في  
الصلح . ومشت السفراء بين الفريقين وبات الناس ينتظرون العافية من هذا الحادث  
الجليل . فقام السبئية في الغلس ووضعوا السلاح في أهل البصرة وهم غازون . فلما

---

(١) عين فيما بعد واليا علي البصرة في عهد يزيد بن معاوية فقتل جيشه الإمام الحسين بن  
علي رضي الله عنه في كربلاء .

كانت الهيعة . سأل طلحة والزبير عن الخبر . فقالوا : طرقتنا أهل الكوفة ليلا . فقالوا : قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمه وأنه لن يطاوعنا وسأل عليّ عن الخبر . وكان السبئية قد أرسدوا رجلا قريبا منه يخبره بما يريدون فقال له : ما فجننا إلا و قوم منهم بيتونا . فرددناهم من حيث جاءوا فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس . فقال عليّ : قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمه وأنهما لن يطاوعانا .

ولم يجد الفريقان بدا من القتال . إذا لم يكن ثمة مجال لاستجلاء الواقع ولا تراسل الرؤساء . وتبين الحقيقة يفضى إلى تدارك الأمر (١) ١.هـ .

والحمد لله لم يكن من بين المتآمرين من قتلة عثمان صحابي واحد . وهم قريب من ألفى رجل . وقامت الحرب وتبارز الفرسان وجالت الشجعان . فنشبت الحرب وتواقف الفريقان وقد اجتمع مع أمير المؤمنين عشرون ألفا والتف حول السيدة : عائشة نحو من ثلاثين ألفا .

وقام أنصار عبد الله بن سبا اليهودى الحاقد بالقتل خلصة وطرفى انزاع لم يطلعا على مؤامرة السبئيين . وظن أمير المؤمنين ومن معه . أن طلحة والزبير قد غدروا بهم . وظن طلحة والزبير وعائشة أن عليا قد غدر بهم . وكل من انفرقين أتقى لله وأرفع من أن يفعل ذلك فى الجاهلية فكيف بعد أن بلغوا على المنازل من أخلاق القرآن وأدب الرسول ﷺ .

ولما قامت المعركة جاء كعب بن سور - قاضى البصرة - إلى السيدة عائشة رضى الله عنها فقال : يا أم المؤمنين أدركى الناس لعل الله أن يصلح بك بين الناس . فجلست فى هودجها فوق بعيرها . وستروا الهودج بالدروع . وجاءت فوقفت بحيث تنظر للناس عند حركاتهم .

وحميت المعركة واشتد أوارها . ومع كل رأس يميل أو ساق تقطع . أو

---

(١) الخلفاء الراشدون النجار (٤٠٩) .

معصم تبتّر. كان قلب الإمام علىّ. يتفطر وينزف دما. لما يرى من تقاتل أصحاب الدين الواحد.

إن وزر ذلك كله يبوء به قتلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه. المتآمرون الذين أقاموا القتال بتلك المكيدة اليهودية. حتى ظن كل فريق. أن الفريق الآخر قد غدر به. ولم يكن هناك أى مجال لإزالة اللبس وكشف المؤامرة. والعجب كل العجب أن العقاد (١) رحمه الله يمدح أتباع ابن سبأ فيقول: وكان معه - أى علىّ - جماعة السبئية. وهم أخلص الناس له. وأغيرهم عليه. ولكنهم لقرط غيرتهم ولددهم فى عداوتهم. لم يقتنعوا بما دون القضاء على خصومه. ولم يقبلوا التوسط فى الصلح دون الغلبة التى لا هودة فيها قد هموا القوم. وأوقدوا جذوة الحرب. قبل أن يفرغ علىّ من حديث المهادنة والتقريب بينه وبين أصدقائه الذين خرجوا عليه... إلخ.

وبارز عمار بن ياسر الزبير بن العوام فكان عمار ينخزه بالرمح. والزيبر كاف عنه لأنه سمع النبى ﷺ يقول لعمار (تقتلك الفئة الباغية).

وقد رأى الزبير رضى الله عنه أن قتاله ليس بصواب. وأن ما رآه فى المعركة بين أبناء الدين الواحد لأمر محزن. فترك المعركة ورجع. فنزل واديا يقال له (وادى السباع) وتبعه رجل يسمى عمرو بن جرموز. فوجده نائما. فقتله غيلة. قبح الله فعله. وأما طلحة فجاءه فى المعركة سهم لا يعرف صاحبه فقتله رضى الله عنه.

ولما وقفت أم المؤمنين وهى فى هودجها تنظر الناس. هالها ما ترى. فناولت كعب بن شور مصحفا وقالت: (ادعهم إليه) فلما تقدم كعب بالمصحف يدعو إليه استقبلته مقدمة جيش الكوفيين وكان عبد الله بن سبأ وأعوانه بين يدى الجيش يقتلون من قدروا على قتله من أهل البصرة أعوان جماعة السيدة عائشة

(١) عبقرية الإمام على: ٩٥.

رضى الله عنها. فلما رأوا كعب بن شؤر رافعا المصحف رشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد فأردوه قتيلا.

ووصلت النبال على هودج أم المؤمنين رضى الله عنها. فجعلت تنادى (الله. الله. يا بنى اذكروا يوم الحساب) ورفعت يديها تدعو على قتلة عثمان. فضج الناس معها بالدعاء حتى بلغت الضجة إلى أمير المؤمنين. فقال: ما هذا؟ قالوا: أم المؤمنين تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم فقال (اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم) [ذكره الحافظ ابن عساكر ٧ / ٨٥].

وجعل أولئك النفر من السبئيين يرشقون هودج أم المؤمنين بالنبال. وجعلت أم المؤمنين تحرض الناس على منعهم وكفهم. فطردوهم. وجعلت الحرب تتماوج فمرة لأتباع السيدة عائشة ومرة للمعسكر الثانى وقتل خلق كثير وجم غفير.

واستبسل أتباع السيدة عائشة حول هودجها خوفا من أن ينالها سوء حتى قتل على خطام الجمل أربعون رجلا وقيل سبعون رجلا<sup>(١)</sup>. وجاء محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر وحملا الهودج فنحياه عن القتلى وخرج بها أخوها محمد حتى أدخلها البصرة - وقد عقر جملها بأمر من على محاولا بذلك وقف القتال. وقد كان ما توقع أمير المؤمنين. ونادى منادى أمير المؤمنين فى الناس:

(إنه لا يتبع مدبر. ولا يذفف على جريح ولا يدخلوا الدور) ولما حمل محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر هودج أم المؤمنين بأمر من الإمام على كرم الله وجهه. وأمرهما أن يضربا عليها قبة بعيدا عن مكان القتلى.

سألها محمد: هل وصل إليك شئ من الجراح؟ فقالت: لا. وسلم عليها عمار فقال: كيف أنت يا أمه؟ فقالت: لست لك بأم. قال: بلى. وإن كرهت.

وجاء إليها أمير المؤمنين على كرم الله وجهه مسلما: فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير قال: يغفر الله لنا ولكم. فقالت: غفر الله لنا ولكم.

(١) كلهم قرشيون مكيون.

واقام الإمام علىّ فى عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة . ونادى فى الناس أن يدفنوا موتاهم بعد أن صلى على الموتى جميعا وترحم على من يعرفه منهم ومن لا يعرفه . فكلهم مسلمون .

وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف . خمسة آلاف من هؤلاء وخمسة آلاف من هؤلاء . وقتل قبل وصول الإمام فى المعركة التى دارت بين معسكر السيدة عائشة وقوات عثمان بن حنيف . ألف قتيل . رحم الله الصادقين من القتلى ورضى عن الصحابة الكرام منهم ونسال الله تعالى أن يعفو عن مسيئتهم ويغفر لنا ولهم إنه سميع مجيب .

وكانت الواقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ هـ . قال فيه الإمام علىّ رضى الله عنه ( والله لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة ) ومثل هذا القول قالت أم المؤمنين رضى الله عنها .

وأمر أمير المؤمنين أن يجمع كل ما فى أرض المعركة ويحمل إلى مسجد البصرة . ونادى فى الناس كل من عرف شيئا أخذه - أى عرف حاجته - وأما الباقى فهو ملك للدولة . لأن هذه ليست غنائم . فطعن السبئية فى رأى علىّ وقالوا : كيف تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم فبلغ ذلك عليا رضى الله عنه فقبحهم وذمهم وأنكر عليهم ما قالوه . قائلا : أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين فى سهمه . . ؟

وحملت أم المؤمنين من قبتها إلى دار : عبد الله الخزاعى بالبصرة على صافية بنت الحارث وبابع أهل البصرة أمير المؤمنين على بالخلافة . وولى عليها : عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما . وجعل على الخراج وبيت المال : زياد بن أبى سفيان .

وذهب أمير المؤمنين إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعى ودخل على أم المؤمنين . فسلم عليها وقعد وسالها عن حالها . وفى يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين للهجرة كان يوم رحيلها فجاءها علىّ حتى وقف لها وحضر الناس . فخرجت على الناس وقالت :

( يا بنى . نعتب بعضنا على بعض استبطاء وزيادة . فلا يعتدن أحد منكم بشئ بلغه من ذلك . إنه ما كان بينى وبين على فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه عندى - على معتبى - لمن الاخير ) .

وقال على : ( يا أيها الناس صدقت وبرت ما كان بينى وبينها إلا ذلك . وإنها لروجة نبيكم ﷺ فى الدنيا والآخرة ) ثم شيعها على أميالا وسرح بنيه معها يوما رضى الله عنهم جميعا وهكذا أسدل الستار على هذا الفصل المأساوى الرهيب الذى تنفطر له القلوب يتحمل وزره هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه وقتله . وتمردوا على سلطان الدولة . ونشروا الرعب والفرع على أرض الحجاز وخاصة المدينة المنورة التى انتهكوا حرمتها وحرمة الشهر الحرام ( ذى الحجة ٣٤ هـ ) ولم يتأدبوا فى جوار رسول الله ﷺ وأشعلوا النيران بالمدينة حتى امتدت إلى البصرة العراقية فاكتوى الناس بناراها ولفحهم لهيبها وسقط الرجال من الطائفتين كل حسب نيته - نرجو الله أن يعفو عنهم - وتركوا الأحياء فى حسرة ولوعة مما حدث - والكل لا يدرى ماذا حدث ولم حدث - من القتل والتشرد .

والحد لله رب العالمين قد برأت ساحة الصحابة وأم المؤمنين كما مر بنا فى الفقرات السابقة فهذا أمير المؤمنين نراه وهو يتفقد القتلى يرى أخاه وصاحبه : طلحة بن عبيد الله مجندلا . فيمسح التراب عن وجهه وعينه تدمعان وهو يقول : ( رحمة الله عليك أبا محمد . يعز على أن أراك مجندلا تحت نجوم السماء ) ثم قال : ( إلى الله أشكو فجرى وتجبرى . والله لوددت أنى كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ) [ ابن عساكر ٧ / ٨٦ ، ٨٧ عن الشعبي ] .

ولما ذهب إليه عمرو بن جرموز يخبره بأنه قتل الزبير بن العوام ليكون له بذلك عنده حظوة . فقال له أمير المؤمنين : ( سمعت رسول الله ﷺ يقول « بشر قاتل ابن صفية (١) بالنار » ) .

( ١ ) السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وعمة الإمام على كرم الله وجهه وهى : أم الصحابى الجليل الزبير بن العوام زوج السيدة أسماء أخت السيدة عائشة رضى الله عنهما .

ثم قال لهذا الرجل الشقى قاتل الزبير الذى دخل عليه ومعه سيف الزبير  
(إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ).

كما أنه قال (إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله عز  
وجل فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَيَّ سُرُورًا مُتَقَابِلِينَ﴾  
[الحجر: ٤٧] قال ذلك لعمران بن طلحة يواسيه كما أنه أمر بتعزيز رجلين وقعا  
فى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ببعض الكلام فضربا مائة. مائة فسحقا  
لهؤلاء الذين وقعوا فى أصحاب رسول الله ﷺ وأم المؤمنين ويدعون أنها كانت  
تكره عليا وما كانت تريد مبايعته. ويلهثون وراء روايات مكذوبة عن الشيعة  
ومن على شاكلتهم ممن لا يعرفون للصحابة قدرهم.

فهذه أم المؤمنين لما سئلت: (أى الناس أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت:  
فاطمة فقيل لها من الرجال؟ قالت: زوجها إن كان ما علمت صواما قوما).

كما أنها هى التى روت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فضلهم  
ومناقبهم وجاء الأحنف بن قيس - بعد مقتل عثمان - يسألها قائلاً: (أنشدك  
بالله من تأمرينى أن أبايع؟ قالت: عليا. فقال الأحنف: أتأمرينى بذلك وترضينه  
لى؟ قالت: نعم. فبايعه).

إن هذا الذى وقع كان الصحابة لا يريدونه. لأنهم كانوا يريدون الإصلاح  
وإقامة حدود الله عز وجل وأن تستقر أمور الدولة. ولكنهم شاءوا وشاء الله تعالى:  
وكان أمر الله قدرا ومقدورا.

### (ج) على ومعاوية رضى الله عنهما

كان معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما أميرا على بلاد الشام. زمن  
خلافة عمر بن الخطاب وزمن خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهما.

ولما بويع الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بالخلافة بعد مقتل أمير  
المؤمنين عثمان رضى الله عنه قام بتبديل الأمراء بالأمصار. وبعث (سهل بن  
حنيف) أميرا على الشام بدل معاوية رضى الله عنه فردته جماعة من الناس من

تبوك . وعزم أهل الشام على الثار لدم عثمان رضى الله عنه ولما فرغ أمير المؤمنين من وقعة الجمل سار من البصرة إلى الكوفة فدخلها لثنتي عشر ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين للهجرة . ونزل ( الرحبة ) وصلى فى الجامع الأعظم ركعتين . ثم خطب الناس فحثهم على الخير . ونهاهم عن الشر . وامتدح أهل الكوفة التى جعلها مقر خلافته وأراد أن يبعث إلى معاوية رضى الله عنه يدعوه إلى بيعته . فقال له جرير بن عبد الله البجلي : ( أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين . فإن بينى وبينه ودا . فأخذ لك منه البيعة ) .

قال الشيخ محمد الخضرى رحمه الله : فارسل - على - جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية بالشام يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس . ويعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته . فامتنع معاوية حتى تقتل قتلة عثمان حيث كانوا . ثم يختار المسلمون لأنفسهم إماما . لأنه رأى أن بيعة على لم تنعقد لافتراق الصحابة - أهل الحل والعقد - فى الآفاق . ولا تتم البيعة إلا باتفاقهم ولا تلزم بعقد من تولاها من غيرهم . أو من القليل منهم . فجعل رضى الله عنه القصاص من قتلة عثمان أول واجب على المسلمين . والذى يطالب به وليه . ثم اختيار الإمام أمر ثان .

ولم يكن معاوية يتهم عليا رضى الله عنهما بالمالأة على عثمان . حاشا لله . بل كان يظن فيه الهوادة عن نصرة عثمان من قاتليه . كما ذكر العلامة ابن خلدون فى مقدمة تاريخه .

أما على رضى الله عنه . فكان يرى أن بيعته قد تمت ولزمت من تأخر عنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبى ﷺ . وموطن الصحابة وأرجا الأمر فى القصاص من قتلة عثمان إلى اجتماع الناس واتفاق الكلمة . فيتمكن حينئذ مما يجب أن يفعل . وبذلك عد من لم يبايعه خارجا عليه يحل له قتاله (١) .  
أ.هـ.

(١) إتمام الرفا: ١٨٣ .

كان علىّ ومعاوية رضى الله عنهما متفقين على ضرورة القصاص من قتلة عثمان رضى الله عنه ولكن الخلاف كان حول زمن التنفيذ . فمعاوية كان يستعجل التنفيذ . وعلىّ يرى من الضروري تأخير التنفيذ حتى يتم مبايعة من لم يبايع ويخرج الثوار من المدينة وتستقر أمور الدولة ولكل منهما مبرراته كما ذكر الشيخ محمد الخضرى . ويذكر الأستاذ عبد الستار الشيخ المزيد من التفسير لوجهتى النظر عن كل منهما فيقول (١) : فقد رأى معاوية وأهل الشام . أن الجناة على عثمان وعلى رأسهم الأشتر وابن سبأ فى معسكر على – وهذه حقيقة لا يمارى فيها أحد – وقد قتلوا الخليفة بوحشية مفضعة . وكانوا مسعراً الحرب بين على وأصحاب الجمل . فصعب على معاوية أن يراهم أحياء يتنفسون الهواء وأن يبايع الإمام وهم لا يزالون فى جيشه . فتمنى أن يقتلهم الخليفة . أو أن يسلمهم إلى معاوية – وهو الوالى القوى – فينكل بهم .

وقد كان لعلى – رضى الله عنه – العذر فى عدم التعجيل بعقوبتهم . لأنهم قد أصبحوا فى العراق بمقل من قوتهم . وعنجهية قبائلهم . وكثرة مؤيديهم ومادتهم . وفتح باب القتال معهم ينذر بشر مستطير . وتسكين الأمر هو الحل الأنجع فى مثل هذه الظروف . وهذا ما تنبه له القعقاع بن عمرو عندما سار بالصلح بين أمير المؤمنين وأصحاب الجمل .

ولهذا فإن علياً رفض طلب معاوية ودعاه أن يدخل فى البيعة كما دخل أهل مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والبحرين واليمامة وغيرهم . ثم بعد ذلك يقوم الإمام بإقامة الحدود والقصاص من المجرمين .

فالذين يطالبون بإقامة حد الله على قتلة عثمان معذورون . لأنهم يطالبون بحق سواء أكانوا من أصحاب الجمل . أم من أهل الشام . وكذلك علىّ معذور فى تأجيل إقامة حد الله لأن ذلك كان عن ضرورة قائمة . أ . هـ .

ولنا أن نتساءل هل يجوز فى الفقه الإسلامى أن يقام حد الله على قتلة أمير

(١) الخلفاء الراشدون : ٥٨٢ ، ٥٨٣ .

المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ولم تتم البيعة لأى شخص ليتحمل مسئولية الحكم فيها؟

إن سيدنا معاوية يزعم أن الإمام علىّ لم تتم له البيعة . وأن بيعة أهل المدينة وغير الصحابة لا تكفى لتفرق الصحابة بالأقاليم فكيف – وهو يزعم ذلك – يطلب من سيدنا علىّ بن أبى طالب أن يسلم له قتلة عثمان لينكل بهم إن لم يقم هو بإقامة حد الله؟

واجيب: لا يجوز شرعا أن يقتص من الجانى قبل أن تتم مبايعة الخليفة – لأن المسئولية ليست محددة فى شخص ما – وإذا أقيم الحد بلا خليفة . فسوف يجر هذا الأمر إلى فوضى وأقول أيضا: إن مطالبة معاوية لأمير المؤمنين علىّ بالقصاص من قتلة عثمان أو يسلمهم له لينكل بهم . هو اعتراف من معاوية رضى الله عنه بأن عليا كرم الله وجهه هو أمير المؤمنين فإذا لم يكن هذا الإقرار قائما لطالب غير الإمام علىّ بالقصاص والثار من هؤلاء القتلة إن مبررات علىّ لموقفه . ومبررات معاوية لموقفه . أبلغ رد على أولئك الذين يلمزون الصحابة ويتهمونهم بما ليس فيهم . فلقد رأينا فى هذه المبررات أن كلا من معاوية وعلى . يحترم صاحبه ويعرف له منزلته ومكانته وشرفه . رضى الله عن الصحابة الكرام .

### إلى الشام ووقعة صفين

ولما أصر معاوية رضى الله عنه على موقفه – القصاص أولا ثم المبايعة – قرر أمير المؤمنين على كرم الله وجهه المسير إلى أهل الشام لردهم إلى الجادة . وضمهم إلى الصف الإسلامى وأخذ البيعة منهم . فاستخلف على الكوفة . أبا مسعود: عقبة بن عمرو . وخرج منها حتى وصل إلى ( النخيلة ) – أول طريق الشام من العراق – وقد أشار عليه ناس بأن يبقى فى الكوفة ويبعث غيره إلى الشام فرفض . وقدم عليه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما من البصرة واستخلف عليها زيادا . وعلم بذلك معاوية رضى الله عنه سار إليه فى جيوش الشام فالتقى الجيشان

فى سهل صفين على نهر الفرات شرقى حلب . خرج الشاميون فى تسعين ألفا .  
وتقدم على بجيوشه إلى تلك الجهة فى مائة وعشرين ألفا .

يقول الإمام محمد بن سيرين رحمه الله : ( وكان الصحابة فى أيام هذه  
الفتنة عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مائة . بل لم يبلغوا ثلاثين ) .

وعبر على بجيشه الفرات . وقدم بين يديه زياد بن النضر وشريح بن هانئ  
فى طائفة من الجيش نحو معاوية وضم إليه مالك الأشر .

وفى اليوم الثالث فأقبل على رضى الله عنه فى جيوشه . وجاء معاوية رضى  
الله عنه فى جنوده فتواجه الفريقان . وتواقفوا طويلا . وذلك بمكان يقال له  
( صفين ) فى أوائل ذى الحجة وأقام على يومين لا يكاتب معاوية . ولا يكاتبه  
معاوية .

ثم قرر أمير المؤمنين أن يحاول مرة أخرى فى إثناء معاوية عن موقفه حتى  
يجتمع المسلمون على كلمة سواء فبعث إليه وفدا مكونا من بشير بن عمرو  
الأنصارى وسعيد بن قيس الهمداني وشبث ابن ربعى التميمى قائلالهم : ( ائتوا  
هذا الرجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم ) .

فتوجهوا إليه . فتكلم بشير بن عمرو . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ( يا  
معاوية : إن الدنيا عنك زائلة . وإنك راجع إلى الآخرة . وإن الله محاسبك بعملك  
ومجازيك عليه . وإنى أنشدك الله ألا تفرق جماعة هذه الأمة وألا تسفك دماءها  
بينها .

فقال معاوية : هلا أوصيت بذلك صاحبك ؟

فقال بشير : ليس مثلك . إن صاحبى أحق البرية بهذا الأمر فى الفضل  
والدين والسابقة فى الإسلام والقربة بالرسول ﷺ .

قال : فماذا يقول ؟ قال : يأمر بتقوى الله . وأن تجيب ابن عمك إلى ما  
يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك فى دنياك . وخير لك فى عاقبة أمرك .

قال معاوية: ونترك دم ابن عفان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبدا.

فذهب سعيد بن قيس يتكلم. فبادره شيث بن ربيع. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معاوية قد فهمت ما رددت على بشير. إنه والله لا يخفى علينا ما تطلب. إنك لم تجد شيئا تستغوى به الناس. وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا قولك: قتل إمامكم مظلوما فنحن نطلب بدمه. فاستجاب لك سفهاء طعام. وقد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر. وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ورب متمنى أمر وطالبه يحول الله دونه وربما أوتى المتمنى أمنيته وفوق أمنيته. والله مالك في واحد منهما خير. والله إن أخطأت ما ترجو إنك لشرب العرب حالا. ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلى النار فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه. ولا تنازع الأمر أهله.

فاثرت مقالته هذه في معاوية أشد التأثير لأنه حمله فيها ما لم يرده. فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: أما بعد: فإن أول ما عرف به سفهك وخفة حلمك أن قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقته. ثم اعترضت بعد فيما لا علم لك به. فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافى فى كل ما ذكرت ووصفت. انصرفوا فليس بينى وبينكم إلا السيف.

ومن هنا يفهم أن السفراء بين الأمراء عليهم المدار فى الإصلاح والإفساد.

ولقد صدق معاوية. فإن شيبث بن ربيع كان أول الخارجين على أمير المؤمنين على فرجع الوفد إلى على وأخبره.

وكانت الحرب إذا لا محيص عنها إذ معاوية يطلب قتلة ابن عمه. عثمان ابن عفان. وهو أولى الناس بالمطالبة بذلك لأنه وليه. وحدود الله لا تؤخر لأى سبب. وعلى يريد رده إلى الطاعة والجماعة. ثم ينظر فى القصاص من قتلة عثمان.

ومع ذلك كانوا يحذرون أن يلقي جميع أهل الشام جميع أهل العراق حذرا من الهلاك والاستئصال فيضيع الإسلام. ويطمع فيه أعداؤه<sup>(١)</sup>. أ. ه.

(١) إتمام الوفاء: ١٨٣ - ١٨٥.

وقال القتال بينهما خلال شهر ذى الحجة سنة ٣٦ هـ وفي مطلع شهر المحرم من السنة السابعة والثلاثين للهجرة. ثم عقد هدنة مدتها شهر بين أمير المؤمنين على رضى الله عنه ومعاوية وأهل الشام طمعا فى الصلح لكى يتمكن أمير المؤمنين من رعاية مصالح العباد وإقامة حد الله وشريعته. واختلفت بينهما الرسل والرسائل فى هذا الشهر من تحقيق هذا الغرض. فأرسل أمير المؤمنين إلى أهل الشام. عدى ابن حاتم ويزيد بن قيس الأرحبى وشبث بن ربعى وزياد بن حفصة. ولما وصلوا إلى معاوية رضى الله عنه. تكلم عدى. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد: فإننا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا. ونحقن به الدماء ونصلح ذات البين. إن ابن عمك أحسن الأمة سابقة. وأحسنها فى الإسلام أثرا وقد استجمع له الناس. ولم يبق أحد غيرك وغير من معك. فاحذر يا معاوية لا يصيبك وأصحابك مثل يوم الجمل) فقال معاوية: (كانك إنما جئت مهددا. ولم تأت مصلحا. هيهات يا عدى. إني والله لابن حرب لا يققع لى بالشنان. وإنك والله من المجلبين على عثمان وإنك من قتلته. وإني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله به). فقال من مع عدى: (أتيناك فيما يصلحنا وإياك فأقبلت تضرب لنا الأمثال. دع مالا ينفع وأجبنا فيما يعم نفعه).

فطلب معاوية أن يسلم على من معه من قتلة عثمان. ومن الب عليه.

فقال شبث بن ربعى: (أيسرك أن تقتل عمار بن ياسر؟ فقال: وما يمنعنى من ذلك لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان. فقال شبث: والله الذى لا إله غيره لا تصل إليه حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الأرض والقضاء عليك).

فقال معاوية: لو كان كذلك لكانت عليك أضيق – ثم تفرق القوم بلا نتيجة وكذلك من بعثهم معاوية إلى على<sup>(١)</sup>. ١. هـ – وكان قد بعث جماعة

(١) المصدر السابق: ١٨٥. وأعتقد عدم صحة ما قاله معاوية فى عمار بن ياسر. لأن معاوية ممن سمعوا قول رسول الله ﷺ لعمار (تقتلك الفئة الباغية) فهل يجزؤ معاوية أن يكون من هؤلاء؟

منهم حبيب بن مسلمة فأكدوا على ما خرج أهل الشام لأجله وهو القصاص من قتل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه .

هذا . وقد ذكر الطبرى فى تاريخه<sup>(١)</sup> : أن أمير المؤمنين على رضى الله عنه رد على رسل معاوية فى كلام طويل . وفيه ينتقص من معاوية وأبيه . ويقول فيهما (إنهما دخلا الإسلام ولم يزالا فى تردد فيه) وأنه قال : ( لا أقول إن عثمان قتل مظلوما ولا ظلما ) .

وهذا الكلام قبيح ولا يمكن صدوره من الإمام على رضى الله عنه ولا من أى أحد من الصحابة بل ولا من مؤمن يتقى ربه . لأمرهى :

( ١ ) إن التعرف على إيمان العبد وحقيقته ليس موكولا إلى العباد . فالعباد لهم الظاهر والله عز وجل يتولى السرائر . وفى جهاد معاوية وأبيه ما يدل على حسن صحبتها وصدق إيمانها وقوته .

( ٢ ) إن معاوية وأباه صحابين حسن إسلامهما . ومعاوية كان محل ثقة رسول الله ﷺ وهو من كتاب الرضى كما أنه خال المؤمنين فأخته ( أم حبيبة رضى الله عنها ) إحدى أمهات المؤمنين .

( ٣ ) روى الطبرى هذا الخبر عن أبى مخنف . قال فيه ابن عدى ( شيعى محترق صاحب أخبارهم ) وقال فيه الذهبى ( اخبارى تالف . لا يوثق به ) وقال ابن كثير ( وهذا عندى لا يصح عن على رضى الله عنه ) وكان ممن سعى لنصلح بين الطرفين فى فترة الهدنة : الصحابي الجليلان : أبو الدرداء وأبو أمامة رضى الله عنهما . ذهبا إلى معاوية فقالا له : فيم تقاتل هذا الرجل ؟

فقال : « أقاتله على دم عثمان . وأنه آوى قتلته فاذهبا إليه . فقولا له : فليقدنا من قتل عثمان ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام .

فذهبا إلى على رضى الله عنه فقالا له ذلك . فقال : هؤلاء الذين تريان :

---

(١) ص / ٦١٨ - ٦٢٠ .

فخرج خلق كثير فقالوا: كلنا قتلة عثمان . فمن شاء فليمرنا . فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة . فلم يشهدا لهم حربا .

ولما انتهت مدة الهدنة أمر علي مناديا فنادى: (إني قد استأنيتكم لتراجعوا الحق . وأقمت عليكم الحجة . فلم تجيبوا . وإني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) .

وعبا على جيشه وكذلك معاوية عبأ جيشه رضى الله عنهما - العراقيون أكثر من مائة ألف والشاميون: مائة وثلاثون ألفا وأوصى على أصحابه فقال: ( لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فانتم - بحمد الله - على حجة وترككم إياهم حجة أخرى . فإذا هزمتموهم . فلا تقتلوا مدبرا . ولا تجهزوا على جريح . ولا تكشفوا عورة . ولا تمثلوا بقتيل . وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا لسترا ولا تدخلوا دارا . ولا تأخذوا شيئا من أموالهم . ولا تهيجوا النساء بأذى وان شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس) .

وابتدأ القتال يوم الثلاثاء أول يوم من صفر سنة سبع وثلاثين فخرجت فرقة من العرقيين ومثلها من الشاميين واقتلتا ثمانية أيام . وفي مساء الثلاثاء الثامن صفر خطب على أصحابه . فحمد الله تعالى وأثنى عليه . فقال: ( الحمد لله الذى لا يبرم ما نقضه . وما أبرم لم ينقضه الناقضون ولو شاء الله ما اختلف إثنان من خلقه . ولا اختلفت الأمة فى شئ . ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله . وقد ساقتنا وهؤلاء القوم أقدار . فنحن بمرآى من ربنا ومسمع . فلو شاء عجل الفتنة وكان منه التغيير حتى يكذب الظالم ويعلم الحق أين مصيره . ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال والآخرة دار القرار . ليجزى الذين أساءوا بما عملوا . ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى . ألا وإنكم لا قوا غدا فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن . واسألوا الله النصر والصبر . والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين) .

والتقى الجيشان بكامل عدتهما وعتادهما . فتقاتلوا قتالا شديدا . وانصرفوا عند المساء . وكل غير غالب .

وفى يوم الخميس عاشر صفر فإن رحا الحرب دارت بشدة على الصائفتين . ودعا كل فريقه وحمسهم وتقدم الأشتر بن الحارث بمن معه حتى قارب مكان معاوية . ولم يصددهم عن القتال إقبال الليل فاستمروا فى القتال بضراوة فى ليلة تعد من ليالى الإسلام المظلمة وتساقط القتلى من الطرفين بأعداد كثيرة . وكادت الدائرة تدور على أهل الشام الذين ظهرت عليهم أمارات الملل والسامة ( ليلة الهرير ) فقال معاوية وعمرو بن العاص رضى الله عنهما . ندعوهم لكتاب الله أن يكون حكما بيننا وبينهم فامر معاوية برفع المصاحف على أسنة الرماح وقالوا : ( هذا بيننا وبينكم قد فنى الناس . فمن للشغور ؟ ومن لجهاد المشركين والكفار ) ؟ وقد أشار عمرو بن العاص على معاوية بهذا . فقال له ( أرسل إلى على بمصحف فادعه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك ) .

فجاء به رجل فقال : بيننا وبينكم كتاب الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣] .

فقال على : نعم أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله .

فلما رأى أصحاب على المصاحف . وقد أشرفوا على الانتصار اختلفوا : ففرقة تقول : نجيب إلى كتاب الله عز وجل ورئيسهم الأشعث بن قيس الكندى . وفرقة تأبى إلا القتال حتى يتم الأمر . لأنهم ظنوا أن رفع المصاحف خديعة . ورئيسهم . الأشتر . الذى كان يصر على أن يمعن قتلا فى المسلمين ويسفك دماءهم .

فقد أرسل على إليه . يزيد بن هانى . يأمره بأن يوقف القتال . فرد الأشتر على الرسول قائلا : ( قل له ليس هذه الساعة التى ينبغى لك أن تزيلنى فيها عن موقفى . إني قد رجوت أن يفتح لى . فلا تعجلنى ) . فرجع يزيد بن هانى إلى أمير المؤمنين فأخبره بقول الأشتر . وصمم الأشتر على القتال لينتهاز الفرصة . فارتفع

الشغب وعلت الأصوات . فقال القراء ( الخوارج ) لعلى : والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل . فقال : أرايتموني ساررته ؟ ألم أبعث إليه جهرة وأنتم تسمعون ؟ قالوا : فابعث إليه فليأتك . وإلا والله اعتزلناك . فقال على ليزيد بن هانئ . ( ويحك قل له أقبل . فإن الفتنة قد وقعت ) .

فلما رجع إليه يزيد فأبلغه عن أمير المؤمنين أن ينصرف عن القتال ويقبل إليه . جعل يتململ ويقول : ( ويحك ألا ترى إلى ما نحن فيه من النصر . ولم يبق إلا القليل ) ؟

فقال له يزيد بن هانئ : ( أيهما أحب إليك أن تقبل أو يقتل أمير المؤمنين كما قتل عثمان ؟ ثم ماذا يغنى عنك نصرتك هاهنا ) .

فأقبل الأشرى إلى على تاركاً القتال . وقال : ( يا أهل العراق . يا أهل الذل والوهن . أحين علوتم القوم . وظنوا أنكم لهم قاهرون . رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها . وقد - والله - تركوا ما أمر الله عز وجل به فيها . وسنة من أنزلت عليه ﷺ فلا تجيبوهم أمهلوني فقد أحسست بالفتح ) .

قالوا : لا . قال : أمهلوني عدو الفرس . فإني قد طمعت في النصر . قالوا : إذا ندخل معك في خطيئتك .

فأنى لهذا الرجل ( الأشرى ) الذى يحب سفك الدماء - أن يتهم الصحابة بأنهم تركوا كتاب الله عز وجل . وهجروا سنة النبي ﷺ ؟

فهل يعقل امرؤ مسلم . أنه يجوز لمسلم أن يتهم معاوية وعمراً رضى الله عنهما بذلك ؟

إن هذا الرجل لم يكن سوياً . فكان يحب سفك الدم ويرى في هزيمة أهل الشام نصراً وفتحاً وما أشبه الليلة بالبارحة . فإننا نرى ونسمع من يحوزون لشباب الأمة الجهاد ضد البلدان التى يعيشون فيها . وإذا ما دعاهم أحد لجهاد أعداء الإسلام تقاعسوا واختفوا . فهذا سفه فى الفكر وخلل فى العقل وجهل بأحكام دين الله وشرعه .

لقد حقق في هذا الأثر نبوءة الخليفة الراشد الملهم سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فقد روى أنه رأى هذا الرجل فصوب النظر فيه طويلا ثم قال : ( إن للمسلمين من هذا يوما عصيبا ) وقد كان ما تنبأ به عمر رضى الله عنه بعد سنوات . وهو كشف حظى به عمر .

روى في الحديث : أن النبي ﷺ قال : ( قد كان فيمن كان قبلكم محدثون - ملهون - فإن يكن أحد في أمتي . فهو عمر ) .

هذا : وقام الأثر يناظر أولئك القراء الذي رغبوا في وقف القتال - لما رفعت المصاحف - ونزل أمير المؤمنين على كرم الله وجهه على رأيهم حتى لا يسقط المزيد من القتلى والجرحى فأخذ الأثر يوبخ هؤلاء الناس واتهمهم في دينهم وشجاعتهم فقال لهم :

( خدعتم والله فانخدعتم . ودعيتم إلى وضع الحرب فأحببتم . يا أصحاب الجباه السود كنا نظن صلواتكم زهادة في الدنيا وشوقا إلى لقاء الله عز وجل . فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ) فسبوه وسبهم . فضربوا وجهه دابته بسياطهم وهم يلعنونه وأجمع أكثر العراقيين وكل الشاميين على المصالحة والمسألة مدة . رجاء أن يتفق الطرفان على أمر يحقن دماء المسلمين . وكفاهم الأحداث والمعارك التي أقاموها في صفين خلال مائة وعشر يوما . وخاصة الأيام الثلاثة الأخيرة والتي انتهت بليله الهيرير .

لقد خاض الطرفان خلال هذه المدة تسعين زحفا سقط فيها سبعون ألفا من المسلمين خمسة وأربعون ألفا من أهل الشام . وخمسة وعشرون ألفا من أهل العراق . كما ذكر الكثير من المؤرخين لذا أصبح من الحكمة أن تتوقف الحرب . واللجوء إلى حل المسألة حلا سلميا . فكان ( التحكيم ) .

### التحكيم

رفع أهل الشام المصاحف على الرماح . ونادوا أهل العراق : ( ندعوكم إلى كتاب الله ) . ترك أمير المؤمنين وجمع كثير من أتباعه - وخصوصا القراء - القتال

وأرسل إلى أهل الشام (ابعثوا حكما منكم وحكما منا . ويحضر معهما من لم يباشر القتال فمن رأوا الحق معه أطاعوه) فأجاب الإمام على رضى الله عنه ومن معه إلى ذلك . ورفضته طائفة القراء (الخوارج) ثم كتب على بينه وبين معاوية كتاب الحكومة بين أهل العراق وأهل الشام .

( هذا ما قاضى عليه أمير المؤمنين على معاوية ) فامتنع أهل الشام من ذلك وقالوا: اكتبوا اسمه واسم أبيه . فأجاب أمير المؤمنين إلى ذلك . فأنكره عليه الخوارج أيضا .

واتفق الطرفان على أن يحضر الحكمان بعد مدة عينوها في مكان بين الشام والعراق . كما اتفقا على أن يرجع كل فريق إلى بلده . فرجع على ومن معه إلى الكوفة . ورجع معاوية ومن معه إلى الشام إلى أن يقع الحكم .

وجاء علقمة بن قيس إلى الإمام على رضى الله عنه يحتج عليه بقبول التحكيم وتنازله عن لقب أمير المؤمنين – فقال له أمير المؤمنين: (إني كنت كاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية . فكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ قالوا: لو نعلم أنه رسول الله . ما قاتلناه أمحها قلت هو والله رسول الله ﷺ وإن رغم أنفك، ولا والله لا أمحوها فقال لى رسول الله ﷺ: «أرنيه» فأريته . فمحاها . وقال: «أما إن لك مثلها . وستأتيها وأنت مضطر» .

ثم اتفق الفريقان – بعد توقف القتال – على أن يختار كل من على ومعاوية رضى الله عنهما رجلا من جهته . ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين . فاختار معاوية: عمرو بن العاص رضى الله عنه واختار على . عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . وأبى القراء ذلك وأشاروا على الإمام على بتوكيل أبى موسى الأشعري رضى الله عنه وكان أول من أشار بذلك . الأشعث بن قيس . لما يرون فى أبى موسى من الصلاحية لذلك فهو صحابى جليل ولاه عمر بن الخطاب القضاء وكتب إليه رسالته المشهورة التى يحدد فيها أسس القضاء وقواعده . كما أن أبى موسى رجل نهى عن الفتنة واعتزل المقاتلين وذكر الجميع بقول رسول الله ﷺ فى الفتنة (القاعد فيها خير من القائم) لذلك اختاروه ليمثل العراقيين فى

أمر التحكيم . ولما أرسل إلى أبى موسى بذلك قال : إن الناس قد اصطلحوا . قال : الحمد لله . فقبل له : وقد جعلت حكما . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون .  
ثم أخذوه حتى أحضروه إلى علىّ رضى الله عنهما - وكان نص كتاب التحكيم . ما يلى :

( بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب .  
ومعاوية بن أبى سفيان . وشيعتهما فيما تراضيا عليه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

قضية علىّ . على أهل العراق شاهدهم وغائبهم . وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم إنا تراضينا . أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته . نحى ما أحيا . ونميت ما أمات على ذلك تقاضينا وبه تراضينا .  
وإن عليا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ( أبو موسى الأشعري ) ناظرا وحكما . ورضى معاوية وعمرو ابن العاص ناظرا وحكما .

على أن عليا ومعاوية أخذوا على : عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص : عهد الله وميثاقه وذمة رسوله . أن يتخذا القرآن إماما . ولا يعدوا به إلى غيره فى الحكم بما وجداه فيه مسطورا ، وما لم يجدا فى الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة لا يتعمدان لها خلافا ولا يبغيان فيها بشبهة ، وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علىّ ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا فيما حكمايه مما فى كتاب الله وسنة نبيه . وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره .

وهما آمنان فى حكومتهم على دمائهما وأموالهما وأهاليهما وأولادهما لم يعدوا الحق رضى به راض أو سخط ساخط . وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما فى كتاب الله .

فإن توفى أحد الحكيمين قبل انقضاء الحكومة . فلشيعته وأنصاره أن

يختاروا مكانه رجلا من اهل المعدلة والصلاح على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق .

وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية فليشيعته أن يولوا مكانه رجلا يرضون عدله وقد وقعت القضية بين الفريقين . والمفاوضة ورفع السلاح .

وقد وجبت القضية على ما سميننا في هذا الكتاب . من موضع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين والله أقرب شهيد . وكفى به شهيدا . فإن خالفا وتعديا . فالأمة بريئة من حكمهما ولا عهد لهما ولا ذمة والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل . والسلاح موضوع والسبل آمنة . والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر .

وللحكمين أن ينزلا منزلا متوسطا عدلا بين اهل العراق والشام ولا يحضرهما إلا من أحبا عن تراض منهما .

والأجل إلى انقضاء شهر رمضان . فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجلاها . وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل . أخرهما .

فإن هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل . فالفريقان على أمرهم الأول في الحرب وعلى الأمة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر . وهم جميعا يد واحدة على من أراد في هذا الأمر إلحادا أو ظلما أو خلافا .

وشهد على ما في هذا الكتاب من اهل العراق : الحسن والحسين . ابنا على وعبد الله بن عباس والأشعث بن قيس الكندي وسهل بن حنيف وغيرهم .

ومن اهل الشام : حبيب بن مسلمة الفهري . وأبو الأعور السلمي . وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعبد الله ابن عمرو بن العاص وآخرون .

وكتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين . وقرأ الأشعث بن قيس هذا الكتاب على الناس من الطائفتين . ثم أخذ الناس

يدفنون قتلاهم . وأطلق كل من عليّ ومعاوية سراح الأسرى . وخرج معاوية بمن معه إلى دمشق، ورجع علي وأصحابه إلى الكوفة .

وعند حلول شهر رمضان من سنة سبع وثلاثين للهجرة . بعث علي رضي الله عنه . أربعمائة فارس مع شريح بن هانئ . ومعهم أبو موسى الأشعري . وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وبعث معاوية رضي الله عنه : عمرو بن العاص في أربعمائة فارس من أهل الشام ومعهم عبد الله بن عمرو فتوافوا بدومة الجندل بأذرح - قرية في جنوب بادية الشام - بين الكوفة والشام .

وشهد معهم جماعة من رؤوس الناس . كعبد الله بن عمرو وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي .

واجتمع أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما . وبحثا في هذا الأمر المكلفين به ثم اتفقا على أن يعزلا : عليا ومعاوية . ثم يجعل الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصح منهما أو من غيرهما . ويظل كل منهما أميرا على ما تحت يده حتى يختار المسلمون . أميرا للمؤمنين وقد أشار أبو موسى الأشعري . بعبد الله بن عمر رضي الله عنهما . فأبى عمرو . وطلب من أبي موسى أن يقر ابنه : عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . فأبى أبو موسى ذلك . لأن عبد الله كان مع أبيه في جند معاوية ومع ذلك أثنى عليه أبو موسى خيرا .

وقال عمرو لأبي موسى : ( ما ترى في هذا الأمر ) ؟

قال : أرى أنه في النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

قال عمرو : فأين تجعلني أنا ومعاوية ؟

فقال : إن يستعن بكما ففيكما معونة . وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما واصطلحا أخيرا على أن إمامة المسلمين يترك النظر فيها إلى أعيان الصحابة .

إن هذا هو الحق في أمر التحكيم . أن يظل الأمر على ما هو عليه . معاوية

أميرا على بلاد الشام وعلىّ على ما تحت حكمه حتى ينظر في هذا الأمر أعيان الصحابة ويختاروا أميرا للمؤمنين ويحددوا موقف معاوية من إمارة بلاد الشام. وأبو موسى وعمرو لم يكونا إلا مجتهدين.

أما ما ذكر في كثير من كتب التاريخ من روايات وقصص ومواقف في هذا الأمر فهو زور وبهتان من روايات أبي مخنف الشيعي وغيره من الوضاعين الذين يتهمون عمرو بن العاص بأنه قد خدع أبا موسى الأشعري ولذلك سب كل منهما صاحبه وشتمه.

فهل يتصور مسلم أن تكون أخلاق الصحابة في هذا السفه والانحطاط. وهم الأعلام الكرام إن التاريخ الإسلامي لم يدون إلا بعد سقوط الدولة الأموية وهذا يعنى أشياء كثيرة زورت فيه من خلط ودس وتزوير في الروايات مجاملة لهذا أو تعصبا لذلك أو كراهية لهؤلاء. أو حبا لذلك فكتب التاريخ في حاجة ماسة إلى مراجعتها وتجريدها مما فيها من روايات كاذبة ومن الخزعبلات التي ترد في بعضها فأصحابها إما متشيع أو خارجي أو غير ذلك. فاتخذوا الصحابة غرضا واتهموا كبارهم وسابقيهم رضى الله عنهم.

يقول محب الدين الخطيب بهامش العواصم من القواصم<sup>(١)</sup>: فالتحكيم لم يقع فيه خداع ولا مكر ولم تتخلله بلاهة ولا غفلة وكان يكون محلا للمكر أو الغفلة لو أن عمرا أعلن في نتيجة التحكيم أنه ولى معاوية إمارة المؤمنين وخلافة المسلمين. وهذا ما لم يعلنه عمرو ولا ادعاه معاوية. ولم يقل به أحد في الثلاثة عشر قرنا الماضية. وخلافة معاوية لم تبدأ إلا بعد الصلح مع الحسن بن علي. وقد تمت بمبايعة الحسن لمعاوية. أ. ه.

\* \* \*

---

(١) ص ١٧٥.

## على والخوارج

وكان من أمر جماعة القراء أنهم رفضوا قضية التحكيم . وخرجوا على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ولذلك سموا (الخوارج) وبالغوا فى النكير على الإمام كرم الله وجهه وصرحوا بكفره . ولما انتهى الحكمان من مهمتها . رفض على رأيهما ورد عليهما . وندب الناس إلى الخروج إلى أهل الشام . وكتب إلى الخوارج يعلمهم أن الذى قرره الحكمان مردود عليهما . وأنه قد عزم على الذهاب إلى الشام . ودعاهم إلى القتال معه . فأبو ذلك ورفضوه .

فعجيب أمر هؤلاء الخوارج . أليسوا هم الذين ضغطوا على أمير المؤمنين أن يوقف القتال لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح . ثم هم بعد ذلك يرفضون أمر التحكيم ثم يتجرأون على تكفير وتخطئته . لك الله يا أمير المؤمنين .

وخرج الإمام من الكوفة إلى النخيلة فى خمسة وستين ألفا وأمه ابن عباس بثلاثة آلاف ومائتى فارس من البصرة . فكان جيش أمير المؤمنين ثمانية وستين ألفا ومائتين مقاتلا وخطب فيهم الإمام وحثهم على القتال والصبر عند لقاء أهل الشام .

وبينما هو كذلك إذ بلغه أن الخوارج أخذوا يعيشون فى الأرض فسادا وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل . واستحلوا المحرم واغتصبوا الاموال .

فلما بلغ ذلك عليا وأتباعه خافوا إن هم ذهبوا لقتال أهل الشام . فسوف يزداد عبث هؤلاء الخوارج بالذرارى والديار . فأشار أتباع الإمام أن لا يذهبوا إلى الشام إلا بعد أن ينتهوا من أمر الخوارج وأن يؤمنوا الناس من شرورهم .

جاء إثنان من رؤسائهم - هما زرعة بن البرج . وحرقوق بن زهير السعدى - وطلبا من على أن يتراجع عن التحكيم . فأبى ذلك . فقال له زرعة : (أما والله يا على : لئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله - عز وجل - قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه . فقال له على : بؤسا لك ما أشقاك كأنى بك قتिला تسفى عليك الريح . قال : وددت أن كان ذلك . فقال له على : لو كنت محقا كان فى الموت

على الحق تعزية عن الدنيا إن الشيطان قد استهوكم . فاتقوا الله عز وجل إنه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها . فخرجنا من عنده يحكممان ) أى يقولان لا حكم إلا لله .

قال عبد الله بن شداد عن تلك الفتنة العظيمة : ( إن عليا لما كاتب معاوية وحكم الحكامين خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس . فنزلوا بأرض يقال لها حرراء من جانب الكوفة . وأنهم عتبوا عليه . فقالوا : انسلخت من قميص البسكة الله . واسم سماك به الله . ثم انطلقت فحكمت في دين الله . ولا حكم إلا لله ) .

فلما أن بلغ عليا ما عتبوا عليه وفارقوه عليه . أمر فأذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل إلا رجلا قد حمل القرآن . فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس . دعا بمصحف إمام عظيم . فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول : أيها المصحف حدث الناس . فناداه الناس . فقالوا : يا أمير المؤمنين ما تسال عنه . إنما هو مداد في ورق ونحن نتكلم بما روينا منه . فماذا تريد ؟

قال : اصحابكم هؤلاء الذين خرجوا . بينى وبينهم كتاب الله . يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء: ٣٥] . فامة محمد ﷺ أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل . ونقموا على أن كاتب معاوية . كتبت على بن أبى طالب . وقد جاءنا سهل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشا . فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : لا اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال : كيف تكتب ؟

قال : اكتب باسمك اللهم . فقال رسول الله ﷺ « اكتب » فكتب . فقال : اكتب . هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ . فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك . فكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشا » يقول الله تعالى في كتابه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴿ [الاحزاب: ٢١] <sup>(١)</sup> وهكذا اقام عليهم أمير المؤمنين الحجة . ثم بعث إليهم حبر الامة : عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ليناظرهما ويبين لهم خطأهم فى تاويلهم وتنطعهم فى فهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ فلما جاء ابن عباس الخوارج ووقف فى وسط معسكرهم . قام ابن الكواء - أحد رءوسهم - فخطب الناس فقال : يا حملة القرآن . هذا عبد الله بن عباس . فمن لم يكن يعرفه . فانا أعرفه . ممن يخاصم فى كتاب الله بما لا يعرفه . هذا ممن نزل فيه وفى قومه ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] فردوه إلى صاحبه . ولا تواضعوه كتاب الله . فقال بعضهم : والله لنواضعنه . فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنه وإن جاء بباطل لنكبتنه .

يقول ابن عباس رضى الله عنهما عن أمره مع الخوارج : قلت لعلى بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين . أبرد بالظهر لعلى أتى هؤلاء القوم فاكلمهم . قال : إني خائف عليك . قلت : كلا .

قال ابن عباس : فقمتم وخرجت . ودخلت عليهم فى نصف النهار . وهم قائلون . فسلمت عليهم فقالوا : مرحبا بك يا ابن عباس . فما جاء بك ؟ قلت لهم : آتيتكم من عند صاحب النبى ﷺ وصهره . وعليهم نزل القرآن . وهم أعلم بتاويله منكم . وليس فيكم منهم أحد . لأبلغكم ما يقولون وتخبرون بما تقولون .

قلت : أخبرونى ماذا نعمتم على صاحب رسول الله ﷺ وابن عمه ؟

قالوا : ثلاث .. قلت : ما هن ؟

قالوا : أما إحداهن : فإنه حكّم الرجال فى أمر الله . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحُكْمُ لِلَّهِ ﴾ [يوسف: ٦٧] ما شأن الرجال والحكم ؟ .. فقلت : هذه واحدة . قالوا : وأما الثانية : فإنه قاتل ولم يسب ولم يغتم . فإن كانوا كفارا سلبهم . وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم ؟ قلت : هذه اثنتان فما الثالثة ؟

(١) الخلفاء الراشدون : ٦٢٠ ، ٦٢١ .

قالوا: إنه محا نفسه عن أمير المؤمنين. فهو أمير الكافرين قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟

قالوا: حسبنا هذا.

قلت: أرايتم إن قرأت عليكم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ما يرد قولكم. أترضون؟

قالوا: نعم.. قلت: أما قولكم: (حكّم الرجال في أمر الله) فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم. فأمر الله الرجال أن يحكموا فيه. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] فأنشدكم بالله تعالى. أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم. وأنتم تعلمون أن الله تعالى لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال؟ - قالوا: بلى هذه أفضل.

وفى المرأة ووجهها قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

فأنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في امرأة؟ أخرجت من هذه؟. قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم (قاتل ولم يسب ولم يغنم). أفتسبون أمكم عائشة؟ وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلت: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها. فقد كفرتم. وإن قلت: ليست بأمتنا. فقد كفرتم. لأن الله تعالى يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم تدورون بين ضلالتين. فاتوا منها بما يخرج.

قلت : فخرجت من هذه؟ قالوا: نعم .

وأما قولكم (محا اسمه من أمير المؤمنين) فأنا آتيكم بمن ترضون وأراكم قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين . فقال لعلي رضي الله عنه « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » فقال المشركون : لا والله ما نعلم أنك رسول الله . لو نعلم أنك رسول الله لأطعنك فاكتب : محمد بن عبد الله . فقال رسول الله ﷺ « امح يا علي . رسول الله . اللهم إنك تعلم أنى رسولك - امح يا علي . واكتب : هذا ما صالح عليه . محمد بن عبد الله » .

فوالله لرسول الله خير من عليّ . وقد محا عن نفسه . ولم يكن محوه ذلك بمحاه من النبوة . خرجت من هذه؟ قالوا: نعم .

فرجع منهم أربعة آلاف . كلهم تائب . فيهم ابن الكواء . حتى أدخلهم ابن عباس عليّ . عليّ بالكوفة فبعث عليّ إلى بقيتهم . فقال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم . فقفوا حيث شئتم متى تجتمع أمة محمد ﷺ بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دما حراما وتقطعوا سبيلا فتظلموا ذمة . فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨] بقى من بقى منهم على رأيه وضلالته . حتى شتموا أمير المؤمنين وهو على المنبر .

فبينما هو يخطب ذات يوم . إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال : يا علي أشركت في دين الله الرجال لا حكم إلا لله فتنادوا من كل جانب ( لا حكم إلا لله لا حكم إلا لله ) .

( فجعل علي يقول : هذه كلمة حق يراد بها باطل ) ثم قال : إن لكم علينا أن لا تمنعكم فيئما ما دامت أيديكم معنا . وأن لا تمنعكم مساجد الله وأن لا نبذاكم بالقتال حتى تبدءونا .

إجتمع الخوارج في بيت عبد الله بن وهب الراسبي . فخطب فيهم يرهدهم في الدنيا ويرغبهم في الآخرة والجنة ثم قال لهم ( اخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال ) تكلم حرقوص بن زهير بمثل ما تكلم عبد الله وتكلم أيضا شخص آخر .

واختار المجتمعون: عبد الله بن وهب الراسبي رئاسة جماعتهم فقبل وقال:  
أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا. ولا أدعها فرقا من الموت.

خرج هؤلاء المنتطعون في دين الله من جماعة المسلمين. وتركوا الكوفة إلى  
النهروان. وهناك اشتد ساعدهم وقويت شوكتهم. واتفقوا على أن من لا يعتقد  
معتقدهم. يكفر ويباح دمه وماله وأهله. ولم يقولوا هذا الكلام ليكون كلاما  
نظريا. ولكنهم نفذوه عمليا. فعاثوا في الأرض فسادا وسفكوا الدماء البريئة  
واستحلوا المحارم. وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب بن الارت صاحب  
رسول الله ﷺ أسروه وامراته معه وهى حامل فقالوا: من أنت؟ قال: أنا عبد الله  
بن خباب صاحب رسول الله ﷺ وإنكم قدر وعتمونى. فقالوا: لا بأس عليك.  
حدثنا ما سمعت من أبيك. فقال: سمعت أبى يقول: سمعت رسول الله ﷺ  
يقول: (ستكون فتنة. القاعد فيها خير من القائم. والقائم خير من الماشى.  
والماشى خير من الساعى) فاقتادوه وذبحوه. وجاءوا إلى امرأته. فقالت: إنى امرأة  
حبلى. الا تتقون الله؟ فذبحوها وبقروا بطنها عن وليدها.

فبلغ خبر هذا الحدث الرهيب أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه. وكان قد  
جهز جيشه يريد الشام فاستشار أصحابه. فأشاروا عليه بقتال الخوارج. واستقر  
رايهم على ذلك.

فتوجه الإمام بجيشه إليهم. وبعث إليهم قيس بن سعد بن عبادة يطلب  
منهم ان يخرجوا قتلة عبد الله بن خباب وغيره (ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم  
حتى أقتلهم. ثم أنا تارككم وذاهب إلى الشام ثم لعل الله أن يُقبل بقلوبكم.  
ويردكم إلى خير مما أنتم عليه).

فبعثوا إلى أمير المؤمنين يقولون: (كلنا قتلنا إخوانكم. ونحن مستحلون  
دماءهم ودماءكم) فتقدم قيس بن سعد فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم  
وأنبهم أبو أيوب الأنصارى ووبخهم وتقدم إليهم أمير المؤمنين ووعظهم وخوفهم  
وحذرهم وتوعدهم. فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم. أن لا

تخاطبهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقاء الله عز وجل . الرواح الرواح إلى الجنة  
وتقدم الخوارج واصطفوا للقتال . وتاهبوا للنزال . ووقف على رضى الله عنه  
بجيشه أمامهم وطلب من أبى أيوب الانصارى أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول  
لهم : من جاء إلى هذه الراية فهو آمن . إنه لا حاجة لنا فيكم إلا من قتل إخواننا .  
فانصرف منهم طوائف كثيرون . ولم يبق من الآلاف الأربعة منهم إلا ألفا أو أقل  
مع عبد الله بن وهب الراسبي . فرحفوا إلى على . فقال لأصحابه كفوا عنهم حتى  
يبدؤوكم . وأقبلت الخوارج يقولون : لا حكم إلا لله الرواح . الرواح إلى الجنة .  
وحملوا على مقدمة جيش أمير المؤمنين . وهجم عليهم الجيش بالرمح وبالسيوف  
حتى صرعوهم تحت سنابك الخيول وقتل أمراؤهم عبد الله بن وهب وحرقوص بن  
زير وشريح بن أوفى ولم ينج منهم إلا دون العشرة وقتل من جيش على نحو  
العشرة وكان ذلك فى شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين للهجرة ثم أمر على الناس  
أن يلتمسوا المخدج - ناقص اليد - فى القتلى . وأن علامته أن إحدى يديه كئدى  
المرأة لها حلمة كحلمة ثدى المرأة جوله سبع شعرات . فقال لهم على ( التمسوا  
فيهم المخدج ) فالتمسوه فلم يجدوه . فقام على بنفسه . فوجد ناسا قتل بعضهم  
على بعض فقال أخروهم فإذا هو بالمخدج مما يلى الأرض فكبر . ثم قال : ( صدق  
الله وبلغ رسوله . فقام إليه عبيدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين . الله الذى لا إله  
إلا هو لسمعت هذا من رسول الله ﷺ فقال : إى والله الذى لا إله إلا هو ) .

واستبشر الناس بأن عليا على الحق بعد ما عثر الإمام على المخدج .

هذا . وقد قضى أمير المؤمنين على معظم الخوارج ولكنه لم يستطع  
إبادتهم . وبقيت منهم بقية انضم إليهم من مال إلى رأيهم فى بقية خلافة على .  
ودبروا قتله على يد ابن ملجم .

وقام الخوارج فى وجه الدولة الأموية وأقلق راحة الخلفاء فى حروب متواصلة  
بحجة أنهم مغتصبون للخلافة . وانهكهم الأمويون ولكنهم لم يقضوا عليهم  
وبقيت منهم جماعات حتى صدر الدولة العباسية ودخلت منهم طائفة بلاد  
المغرب ( ريف الجزائر ) .

فلقد عاملهم علىّ رضى الله عنه معاملة طيبة ومد إليهم يد الرحمة ولكنهم اختاروا هذا الطريق لأنفسهم .

سالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها تلميذها التابعى الكبير: مسروق بن الأجدع فقالت: عندك علم عن ذى الشدية الذى أصابه على فى الحرورية؟ قلت: لا .

قالت: فاكتب لى بشهادة من شهدهم . فرجعت إلى الكوفة وبها يومئذ أسباع . فكتبت شهادة عشرة من كل سبع . ثم أتيتها بشهادتهم . فقرأتها عليها . قالت: لعن الله فلانا . فإنه كتب إلى أنه أصابهم بنيل مصر . ثم أرخت عينيها فبكت . فلما سكنت عبرتها قالت: (رحم الله عليا كان على الحق . وما كان بينى وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها)

ولما انتهى أمير المؤمنين من الخوارج عزم على التوجه نحو الشام وخطب فى أتباعه يدعوهم لذلك ولكنهم اعتذروا وشكوا إليه قلة النبال وكلل السيوف . وتعبهم وإرهاقهم . وطلبوا منه أن يأذن لهم بالراحة فى معسكرهم ولم يجد الإمام بدا من الاستجابة لهم .

ولكنهم أخذوا يتسللون ويذهبون إلى رحالهم . ولم يبق معه إلا الصحابة الكرام رضى الله عنهم .

\* \* \*

## وداعاً - أبا الحسن (إنا لله وإنا إليه راجعون)

روى عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «من أشقى الأولين؟» قال: (عافر الناقة). قال: «فمن أشقى الآخرين؟» قال: «الله ورسوله أعلم قال: «قاتلك».

وعن علي رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «إن الأمة ستغدر بك بعدى. وأنت تعيش على ملتى. وتقتل على سنتى. من أحبك أحببى. ومن أبغضك أبغضنى. وإن هذه ستخضب من هذا» أى ستبتل لحيته من رأسه رضى الله عنه ولقد مرض رضى الله عنه مرضاً شديداً حتى قلق عليه أصحابه. فجاءه أحد الأنصار. فقال له: «ما يقيمك بهذا المنزل؟ ولو مت لم يلك إلا أعراب جهينه. احتمال حتى تأتى المدينة. فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك».

فقال على: «إنى لست ميتاً من وجعى هذا. إن رسول الله ﷺ عهد إلى أن لا أموت حتى أؤمر. ثم تختضب هذه - يعنى لحيته - من دم هذه - هامته».

وجاء جماعة من الخوارج وقالوا له: (اتق الله فإنك ميت. قال: لا. والذي قلق الحبة وبراً النسمة. ولكن مقتول من ضربة على هذه تخضب هذه - وأشار بيده إلى رأسه ولحيته - عهد معهود. وقضاء مقضى. وقد خاب من افترى).

وكان له أيام الخوارج حراس يحرسونه كل ليلة. يبيتون فى المسجد بالسلاح. فرآهم رضى الله عنه فقال: ما يجسلكم؟ قالوا: نحرسك. فقال: أمن أهل السماء تحرسون. أم من أهل الأرض؟ فقالوا: بل من أهل الأرض. قال: (إنه لا يكون فى الأرض شئ حتى يقضى فى السماء. وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلاونه حتى يجئ قدره. فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره وإن على من الله جنة حصينة. فإذا جاء أجلى كشف عنى. وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه. وما أخطاه لم يكن ليصيبه).

ولما دخل شهر رمضان جعل على يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عن الحسين . وليلة عند عبد الله بن جعفر زوج ابنته السيدة: زينب رضى الله عنها . لا يزيد على ثلاث لقم ويقول: ( يأتى أمر الله وأنا خميص وإنما هى ليلة أو ليلتان ) . وجاء وقت الرحيل من الدنيا ليلحق على بمن سبقوه . يروى لنا شيخنا الباقورى (١) القصة: اجتمع بعض الخوارج فتذاكروا أمر الناس . وعابوا على ولاتهم ما شاء لهم الهوى أن يعيبوا ثم ذكروا أسلافهم الذين قتلوا من قبل فى معركة النهروان فترحموا عليهم وهم يقولون: ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ وهم الذين كانوا دعاة الناس إلى عبادة الله لا يخافون فى ذلك لومة لائم . فحبذا لو بعنا أنفسنا لله فأتينا أئمة الضلال فالتمسنا قتلهم . إذا الأرحنا منهم البلاد ولاخذنا بثأر إخواننا . فقال ابن ملجم أنا أكفيكم على بن أبى طالب . وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية بن أبى سفيان . وقال عمر بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص . ثم تعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذى توجه إليه يقتله أو يموت دونه .

فاخذوا أسيافهم . فسقوها سما قاتلا . وتواعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثبت كل واحد منهم على صاحبه الذى توجه إليه . وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذى فيه صاحبه فاما ابن ملجم المرادى . فكان عداده فى كندة . فخرج فلقى أصحابه بالكوفة . وكاتمهم أمره كراهة أن يظهرها شيئا من أمره . ثم لقى ابن ملجم فى ذلك اليوم امرأة تدعى ( قطام ) وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهر . وقد كانت المرأة فائقة الجمال . فلما رآها ألبست بعقله ونسى حاجته التى حاء لها . ثم خطبها ليتزوجها . فقالت له: لا أتزوجك حتى تشفينى . قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد وقينة . وقتل على بن أبى طالب . قال: هو مهر لك .

فقالت له: التمس غرته فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي ويهنوك العيش .

(١) على إمام الأئمة: ٣١٥ - ٣١٧ .

وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها . فأجابها : والله ما جاء بى الخارجى إلى هذا المصر إلا قتل على . فلك ما سألت . قالت : اطلب لك من يسند ظهرك ويساعدك على أمرك فبعثت إلى رجل من قومها يقال له (وردان) فكلمته . فأجابها . ثم ذهب ابن ملجم إلى رجل من أشجع يقال له (شبيب ابن بجره) فقال له : هل لك فى شرف الدنيا والآخرة؟ قال : وما ذاك؟ قال : قتل على ابن أبى طالب .

فقال له الرجل : ثكلتك أمك . لقد جئت شيئا إذا . كيف تقدر على . على؟ قال : اكمن له فى المسجد . فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه .

فإن نجونا . شفيننا أنفسنا وأدركنا ثارنا . وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال الرجل : ويحك لو كان غير على لكان أهون على . لقد عرفت بلاءه فى الإسلام وسابقته مع رسول الله ﷺ . وما أجدنى أنشرح لقتله . قال : أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال بلى أعلم . قال : فنقتله بمن قتل من إخواننا فأجابه إلى ما دعاه إليه . ثم جاءوا (قطام) وهى فى المسجد الأعظم معتكفة . فقالوا لها : لقد اجتمع رأينا على قتل على . فقالت المرأة : إذا أردتم ذلك فأتونى .

ثم عاد إليها ابن ملجم فى ليلة الجمعة التى قتل فى صبيحتها على سنة أربعين فقال : هذه الليلة التى أوعدت فيها صاحبى أن يقتل كل منا صاحبه .

فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به . وأخذوا أسيافهم وجلسوا فى مواجهة السدة التى يخرج منها على فلما خرج ضربه شبيب بالسيف . فوقع سيفه فى عضادة الباب . وضربه ابن ملجم فى قرنه بالسيف وهرب وردان حتى دخل منزله . فدخل عليه رجل من بنى أبيه . وهو ينزع الحريرة عن صدره . فقال : ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف فجاء فعلا به وردان فقتله .

ثم خرج شبيب نحو أبواب كنده فى الغلس . وصاح الناس . فلحقه رجل

من حضر موت يقال له (عويمر). وفي يد شبیب السيف فأخذه وجثم عليه الحضرمی .

فلما رأى الناس قد أقبلوا فى طلبه . وسيف شبیب فى يده . فخشى على نفسه فتركه . ونجا شبیب فى غمار الناس . فشدوا على ابن ملجم فأخذوه . إلا أن رجلا من همدان . يكنى : أبا آدماء . أخذ سيفه فضرب رجله فصرعه . وتأخر على . وتقدم جعدة بن بهيرة . فصلى بالناس الغداة .

ثم قال كرم الله وجهه : على بالرجل . فأدخل عليه . فقال له : ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى أحسنت قال : فما حملك على هذا ؟ قال : لقد شحذت سيفى أربعين صباحا . وسألت الله أن يقتل به شر خلقه . فقال كرم الله وجهه : لا رآك الله إلا مقتولا به . ولا أراك إلا من شر خلقه . أ . هـ . لك الله يا إمام . لقد أصبح صاحب الأمس عدو اليوم . فقتلوك بغدرهم وبيغيهم ووصفوك بالقبيح . وأنت على بن أبى طالب ربيب بيت النبوة والسابق إلى الإسلام والمجاهد الصابر المحتسب زوج الزهراء وأبو الحسين وزينب وحبيب الله تعالى ورسوله . لقد قضيت حياتك فى شغل دائم وجهد مستمر لا تكل ولا تمل فى خدمة الدعوة والدفاع عن العقيدة وحبا فى الله تعالى ورسوله ﷺ . ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى كنت العون والمفتى والمستشار لخلفائه الثلاثة . حتى انتقلت إليك الخلافة فى جو مشحون بالتمرد والخلاف فى رأى وتدخل الأوباش والحقدة فى أمور سيادية للدولة حتى قتل سلفك أشد الناس حياء وعفة عثمان بن عفان رضى الله عنه . فساءوا إليك فى مقتله . وتحملت مسئولية القصاص وإقامة الحد بحكم منصبك . فلم يصبروا ويعطوك الفرصة لتقييم شريعة الحق . وكانوا يحملونك على قتال من تحب من أبناء عمومته . ولما استجبت لداعى السلام بمشورتهم انقلبوا عليك وعادوك ثم قرروا التخلص من وجودك وكان أمر الله قدرا مقدورا . فقتلوك بغيا وعدوانا لتلحق بالنبي ﷺ . ومن سقوك من أصحابك فى دار النعيم رضى الله عنك وعنهم أجمعين . وسحقا للخوارج ومن على شاكلتهم ممن عملوا السيف فى رقاب المسلمين .

وروى عن محمد بن الحنفية رضى الله عنه - ابن الإمام على كرم الله وجهه - قال : كنت أصلى تلك الليلة التي ضرب فيها على في المسجد الأعظم - الجامع - وكان معي كثير من أهل الكوفة يصلون قريبا من السدة - ما هم إلا قيام وركوع وسجود . وما يسأمون من أول الليل إلى آخره .

فلما خرج على لصلاة الغداة . جعل ينادى : أيها الناس الصلاة . الصلاة فنظرت إلى بريق وسمعت الكلمة (الحكم لله يا على . لا لك ولا لأصحابك ) ثم رأيت سيفا ثم سمعت عليا يقول :

لا يفوتنكم الرجل . وشد الناس عليه من كل جانب . ثم لم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على عليّ فدخلت فيمن دخل من الناس فسمعت عليا يقول : « النفس بالنفس . إن أنامت فاقتلوه كما قتلنى . وإن بقيت رأيت فيه رأيي » .

ثم دخل الناس على الحسن بن على فزعين لما حدث . فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه إذ قالت أم كلثوم بنت على - بنت الزهراء - وهى تبكى : يا عدو الله . إنه لا بأس على أبى وإن الله مخزيك . فقال الملعون : فعلى من تبكين؟ لقد اشتريت السيف بألف . وسقيته السم بألف ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل الكوفة ما بقى منهم أحد .

ويذكر أهل الثقة : أن جندب بن عبد الله دخل على . على فقال : يا أمير المؤمنين : إن فقدناك - ولن نفقدك - أفبإيع الحسن؟ فقال كرم الله وجهه : ( لا آمركم ولا أنهاكم : أنتم أبصر ) (١) .

### وصية على لأولاده

عرف على كرم الله وجهه أنها النهاية فدعا الحسن والحسين رضى الله عنها فقال لهما :

أوصيكما بتقوى الله . وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما . ولا تبكيا على شئ

---

(١) المصدر السابق : ٣١٧ ، ٣١٨ وأم كلثوم بنت على ولدتها الزهراء : وتزوجها عمر بن الخطاب وولدت له زيدا وماتت وابنها فى يوم واحد وقال عمر : تزوجتها لأصل نسبى بنسب رسول الله ﷺ وأمهرها أكبر مهر أخذته زوجة عربية رضى الله عنها ودفنت بالبييع .

زوى عنكما . وقولا الحق وارحما اليتيم . وأغيثا الملهوف . واصنعا للآخرة . وكونا للظالم خصما . وللمظلوم نصرا . واعملا بما فى الكتاب . ولا تأخذ كما فى الله لومة لائم .

ثم نظر إلى ابنه : محمد بن الحنفية رضى الله عنه فقال : هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم قال على : فإنى أوصيك بمثله . وأوصيك بتوقير أخويك لعظيم حقهما عليك . فاتبع أمرهما . ولا تقطع أمرا دونهما . ثم قال للحسن والحسين : أوصيكما به . فإنه ابن أبيكما . وقد علمتما أن أباكما كان يحبه .

ثم قال للحسن : أوصيك أى بنى : بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها . وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور . ولا تقبل صلاة من مانع زكاة . وأوصيك بغفر الذنب . وكظم الغيظ وصلة الرحم . وحلم عند الجهل . والتفقه فى الدين . والتثبت فى الأمر . والتعاهد للقرآن . وحسن الجوار واجتنب الفواحش . والأمر بالمعروف . والنهى عن المنكر .

ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدى وأهلى بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . فإنى سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب . الله فى الأيتام فلا تعنوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم . والله الله فى جيرانكم فإنها وصية نبيكم عليه السلام والله الله فى الزكاة فإنها تطفى غضب الله - والله . الله فى ذمة نبيكم فلا يظلمن أظهركم . والله الله فى أصحاب نبيكم فإن رسول الله أوصى بهم - والله الله فى الفقراء والمساكين فاشركوهم فى معاشكم . والله الله فيما ملكت أيمانكم . وقولا للناس حسنا . ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . واتقوا الله إن الله شديد العقاب . حفظكم الله من أهل بيت وأستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله . ثم أنهاكم عن المثلة .

ثم سكت رضى الله عنه فلم ينطق إلا : بلا إله إلا الله محمد رسول الله .

حتى قبض وهو يقول: يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين . فتقولوا قتل أمير المؤمنين . الا : لا يقتلن إلا قاتلى انظر يا حسن . إن أنامت من ضربته هذه . فاضربه ضربة بضربة . ولا تمثل بالرجل . فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إياكم والمثلة . ولو كانت بالكلب العقور » .

### وفاة الإمام والقصاص

لما أحسن على كرم الله وجهه بدنو أجله أوصى أولاده . والوصية هنا واجبة – بكلمات تكون دستوراً لكل مسلم وفاضت الروح لبارئها . وأصبح يوم التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة هو يوم ذكرى أليمه وحزينة لشيئته ومحبيه كرم الله وجهه – لأنه ضرب وبقي يوم الجمعة وليلة السبت وفاضت روحه ليلة الأحد وجئ بعبد الرحمن بن ملجم المرادى – قاتله – للإمام الحسن رضى الله عنه فقدمه فقتله ثم أخذه الناس فأدرجوه فى الحصير . ثم أحرقوه بالنار . وللناس فى هذا عذرهم . فلم يسيطروا على عواطفهم فأحرقوه بعد القصاص منه ولما فاضت روح الإمام إلى بارئها غسله إبناه : الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر . وكفنوه فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص . وصلى عليه ابنه الإمام الحسن رضى الله عنه . ودفن بدار الإمارة بالكوفة خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا قبره رضى الله عنه . وما قيل غير ذلك فهو هراء وكذب . فقد ادعى بعض الكذبة أنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدري أين ذهبت . وهذا من كذب رواة الشيعة فلا يلتفت إليه . وكان عمر الإمام يوم استشهد : ثلاثاً وستين سنة . وقضى فى الخلافة الحزينة أربع سنين وتسعة أشهر . أنزله الله تعالى منازل الانبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين ولما مات رثاه الإمام الحسن فقال : ( لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم ولم يدركه الآخرون . كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية . جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره لا ينصرف حتى يفتح له ) .

ولما بلغ خبر مقتله أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها . قالت :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرعينا بالإياب المسافر

وكانت السيدة أم كلثوم رضی الله عنها إذا حضرت صلاة الفجر بالمسجد تبكى وتقول:

( ما لى ولصلاة الغداة . قتل زوجى عمر أمير المؤمنين صلاة الغداة . وقتل أبى أمير المؤمنين صلاة الغداة ) وهذا أبو الأسود الدؤلى - تلميذ الإمام على الذى كلفه الإمام بوضع قواعد علم النحو - يرثى أستاذه:

ألا يا عين ويحك أسعد بنا      ألا تبكى أمير المؤمنين  
وتبكى أم كلثوم عليه      بعبرتها وقد رأت اليقيننا  
ألا قل للخوارج حيث كانوا      فلا قرت عيون الحاسد بنا  
أفى شهر الصيام فجعتمونا      بخير الناس طرا أجمعينا  
قتلتم خير من ركب المطايا      وذلها . ومن ركب السفينا  
وكل مناقب الخيرات فيه      وحب رسول رب العالمين  
لقد علمت قریش حيث كانت      بأنه خيرهم حسبا ودينا  
إذا استقبلت وجه أبى حسين      رأيت البدر فوق الناظرينا

وروى أن معاوية رضی الله عنه سمع رجلا يقول له: جئتك يا معاوية بعد قتل أبخل الناس على بن أبى طالب . فتغير وجه معاوية ثم قال له: ويحك كيف تقول هذا؟ كيف تقول إنه أبخل الناس وهو الذى لو ملك بيتا من تبر وبيتا من تبن . لأنفذ تبره قبل تبنه . ثم هو الذى كان يكنس بيوت الأموال ويصلي فيها . ثم هو الذى قال: يا صفراء ويا بيضاء غرا غيرى . ثم هو الذى لم يخلف ميراثا وقد كانت الدنيا كلها بيده . إلا ما كان من الشام<sup>(١)</sup> . أ . هـ .

هذا وأما من ذهب إلى قتل معاوية . فإنه ضربه فى وركه عند ذهابه لصلاة الفجر وأمسك به وقتلوه .

وأما من ذهب لقتل عمرو بن لعاص . فلم يتمكن من قتله لأن عمرا لم يخرج لصلاة الفجر وأتاب خارجة بن أبى حبيبة فظنه الرجل عمرا فضربه فقتله . فأقتادوه إلى عمرو فأمر بقتله أخذا بثأر خارجة . قبح الله هؤلاء القتلة .

(١) على إمام الأئمة: ٣٢٢ والخلفاء الراشدون: ٦٣٩، ٦٤٠ وإتمام الوفا: ٢٠٧ - ٢٠٩ .

## على بين الغلاة والقلاة

روى فى الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: (يا على: يهلك فيك إثنان: محب غال. ومبغض قال) والغلو: هو مجاوزة حد الاعتدال فى حب الإمام على كرم الله وجهه. وبنية رضى الله عنهم والقال: هو البغض الشديد لعلى وبنية رضى الله عنهم.

فإن ما أفرزته الأحداث والحوادث والحروب والمواقف. مولودان. أحدهما أسبق من الآخر.

الأول: شيعته الذين رفعوا راية الغلو فى محيته.

والثانى: الخوارج الذين رفعوا راية العداة والحقد والكراهية حتى قتلوه كرم الله وجهه وإن من يتحدث عن الإمام أو يكتب عنه لا يستطيع أن يهمل الحديث عن هاتين الجماعتين لأن وجودهما فى حياة الإمام كان وجودا أساسيا. ولا يمكن عزل الحديث عنهما عن الحديث عنه وما دام الحديث عن الإمام مستمرا ولنا فيه هذا الجهد المتواضع. فلا بأس من ذكر عرض موجز عن الطائفتين لتتم بذلك الفائدة المرجوة من هذا البحث.

### أولا: الشيعة

(الشيعة) أقدام المذاهب السياسية الإسلامية. وقد ظهروا بمذهبهم فى آخر عصر «عثمان» رضى الله عنه. ونما وترعرع فى عهد «على» رضى الله عنه. إذ كان كلما اختلط بالناس ازدادوا إعجابا بمواهبه. وقوة دينه وعلمه. فاستغل الدعاة ذلك الإعجاب. وأخذوا ينشرون آراءهم فيه ما بين رأى فيه مغالاة. ورأى فيه الاعتدال.

ولما اشتدت المظالم على أولاد على - رضى الله عنه - فى عهد الأمويين. وكثرة نزول الأذى بهم ثارت دفائن المحبة لهم. وهم ذرية رسول الله ﷺ ورأى الناس فيهم شهداء الظلم فاتسع نطاق المذهب الشيعى. وكثر أنصاره.

وقوام هذا المذهب هو ما ذكره «ابن خلدون» في مقدمته (إن الإمامة ليست من مصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة. ويتعين القائم فيها بتعيينهم. بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام. ولا يجوز لنبي إغفالها وتفويضها إلى الأمة. بل يجب عليه تعيين الإمام لهم. ويكون معصوما عن الكبائر والصغائر).

ويتفق «الشيعة» على أن «علي بن أبي طالب» هو «الخليفة المختار» من النبي ﷺ وأنه أفضل الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم.

ويرى أن من الصحابة من يرى رأى الشيعة في تفضيله على كل الصحابة. وقد ذكر «ابن أبي الحديد» الشيعي المعتدل. أن من الصحابة الذين فضلوا عليا عن كل الصحابة: عمار بن ياسر. والمقداد بن الأسود. و«بأذر الغفاري». وسلمان الفارسي. وجابر بن عبد الله وأبي بن كعب. وحذيفة. وبريدة. وأبا أيوب الأنصاري. وأبا الطفيل عامر بن وائلة. والعباس بن عبد المطلب وبنيه. وبنى هاشم كافة. ويقول ابن أبي الحديد: وابن الزبير كان من القائلين به في بدء الأمر. ثم رجع عنه كما يذكر أن بعض بنى أمية. كانوا يرون هذا الرأي. ومنهم سعيد بن العاص.

ولم يكن الشيعة على درجة واحدة. بل كان منهم الذين عانوا في تقدير علي وبنيه. ومنهم المعتدلون المقتصدون. وقد اقتصر المعتدلون على تفضيله على كل الصحابة من غير تكفير أحد، ومن غير أن يضعوه في درجة التقديس التي يعلو بها على البشر<sup>(١)</sup>.

ويقول الشهرستاني<sup>(٢)</sup>: (الشيعة) هم الذين شابعوا عليا عليه السلام على الخصوص. وقالوا: بإمامته وخلافته. نصا ووصاية. إما جليا وإما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده. وإن خرجت فبظلم يكون من غيره. أو بتقية من عنده. قالوا: وليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية: ٣٠، ٣١.

(٢) الملل والنحل بهامش الفصل لابن حزم: ١٥١، ١٥٢.

وينتصب الإمام بنصيبهم . بل هى قضية أصولية . هو ركن الدين لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله وتفويضه إلى العامة . وإرساله .

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب . وثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولى والتبرى قولاً وفعلاً وعقداً إلا فى حالة انتقية . ويخالفهم بعض الزيدية فى ذلك ولهم فى تعدية الإمامة كلام وخلاف كثير . وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وخبط وهم خمس فرق : كيسانية وزيدية وإمامية . وغلاة . وإسماعيلية .

وبعضهم يميل فى الأصول - العقيدة - إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة . وبعضهم إلى التشبيه . أ . هـ . وقد ظهرت الفرق الشيعية فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه . وانتشرت فى بلاد العالم الإسلامى وخصوصاً فى مصر والعراق وبلاد فارس وخلا منها بلاد الحجاز - مكة والمدينة وما جاورهما - لتمسكها بمذهب السنة وطرد ما عداه .

والفرق الشيعية فرق إسلامية . عدا فرق الغلاة مثل السبائية والغرابية ومن على شاكلتهما فالسبائية تؤله علياً والغرابية تفضله على النبى ﷺ .

والشيعية قد تأثروا بالأفكار الفارسية وهى المؤثر الأول والحقيقى فى فكر الشيعة . والفكر اليهودى له أيضاً أثر ليس بالهين فى الفكر الشيعى . وخاصة فى فرق الغلاة .

وأكثر فرق الشيعة اعتدالا : الزيدية وإمامهم : زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم وهم منفتحون على أهل السنة ويقولون بجواز إمامة المفضل فى وجود الفاضل . ولا يكفرون أحداً من الصحابة رضى الله عنهم . وهم منتشرون باليمن وبجوارهم المذهب الشافعى .

والإمامية ( الإثنا عشرية ) أكبر الفرق الشيعية وهى منتشرة بالعراق وإيران وما جاورهما . وهم يقولون : إن الأئمة لم يعرفوا بالوصف بل بالتعيين . فالإمام على عينه النبى عليه الصلاة والسلام والأئمة عند الشيعة كلهم معصومون ظاهراً

وباطنا ويجوز أن تظهر على أيديهم خوارق العادات وللأسف الشديد . إن الشيعة خذلوا الإمام على كرم الله وجهه بعد قضية التحكيم وانصرفوا عنه ولم يوافقوه في التقدم إلى أهل الشام بعد فشل عملية التحكيم . فاضطر للعودة إلى الكوفة وظل بها حتى لقي ربه عز وجل . على كل حال تأصلت فرق الشيعة وتحدت مبادئها بعد مقتل الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه .

### ثانياً : الخوارج

( الخوارج ) فرقة ظهرت في جيش على بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما اشتد القتال بين أهل العراق وأهل الشام في صفين . وذاق معاوية حر القتال . وكاد يفر من الميدان حتى أسعفته فكرة التحكيم فرفع جيشه المصاحف على أسنة الرماح ليحتكموا إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وأصر على مواصلة القتال . ولكن طائفة القراء ضغطوا عليه ليقبل وقف القتال وهددوه بالانسحاب إن لم يفعل . فنزل على رأيهم . ولما تأت عملية التحكيم بما كانوا يأملون . لاموا الإمام على لأنه قبل تحكيم الرجال بل كفره وطالبوه بالتوبة . ورفعوا شعارهم ( لا حكم إلا لله ) وأخذوا يقاتلون علياً بعد أن كانوا يجادلونه ويقطعون عليه القول .

والخوارج أشد الفرق الإسلامية دفاعاً عن مذهبها وحماسة لآرائها . وأشد الفرق الإسلامية تديناً في جملتها . وأشدّها تهوراً واندفاعاً . وهم يتمسكون بظواهر الآيات والأحاديث النبوية وقد استهوتهم فكرة التبرؤ من عثمان وعلى وطلحة والزبير وخلفاء بني أمية والحكم الظالمين ومن صفاتهم العامة غير التمسك بظواهر النصوص : حب الفداء والرغبة في الموت . والتجرؤ على القتل لاتفه الأسباب . وهذه الصفات كلها ليست مظهراً للشجاعة وإنما هو . هوس ديني وعدم فقه صحيح بأمور الدين وعقيدته . وعصبية جاهلية .

وكانوا يقاطعون الإمام على في خطبته ويسبونونه . ويقاطعونه في صلته

ويسبون عثمان أيضا ويكفرون أتباعهما ولقد قتلوا عبد الله بن خباب ذبحا  
وبقروا بطن امرأته وهى حامل . وقتلوا عليا رضى الله عنه .

يقول الكامل فى المبرد ( من طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلما ونصرانيا .  
فقتلوا المسلم . وأوصوا بالنصرانى خيرا . وقالوا : احفظوا ذمة نبيكم . . ) .

فلا تعجب ايها القارئ الكريم لأن مؤسس فكر الخوارج ومدريستهم كانوا  
من البدو جفاة الأعراب وهم الآن منتشرون فى بعض بلاد الخليج العربى وفى  
ريف الجزائر وجبالها . فكلهم عرب وليس فيهم موالى كالشيعة . فالموالى فى  
طائفة الشيعة بكثرة .

### المبادئ العامة لفرق الخوارج<sup>(١)</sup> :

ومبادئهم التى توضح لنا فكرهم هى :

( ١ ) لا يكون الخليفة إلا بالانتخاب الحر الصحيح يقوم به عامة المسلمين .  
ويستمر خليفة ما دام قائما بالعدل مقيما للشرع مبتعدا عن الخطأ والزيف . فإن  
حاد . وجب عزله أو قتله .

( ٢ ) لا يجب أن يكون الخليفة من قريش حتى لا تكون له عصبية تحميه  
إن أراد واعزله أو قتله ويجوز أن يكون من عامة الناس .

( ٣ ) فرقة ( النجدات ) من الخوارج يرون انه لا حاجة للإمام إذا أمكن الناس  
أن يتناصفوا فيما بينهم فإن رأوا أن التناصف لا يتم إلا بإمام يحملهم على الحق  
فأقاموه جاز .

( ٤ ) الخوارج يكفرون المذنبين بالذنوب كبيرها وصغيرها . ولذا كفروا  
الإمام على لقبوله بالتحكيم وهذا المبدأ هو الذى جعلهم يخرجون على جماهير  
المسلمين ويعتبرون مخالفينهم مشركين وأقلقوا الحكام بسببه . والشواهد على هذا  
كثيرة فى أيامنا هذه .

---

( ١ ) تاريخ المذاهب الإسلامية : ٦١ بتصرف .

وفرق الخوارج منها المعتدل والمغالى .

فالفرق المعتدلة ويعدون من المسلمين: الأزارقة . والنجدات . والصفوية .  
والعجاردة والإباضية . وهذه قريبة من أهل السنة . وهو مذهب أهل عمان .  
والمغالون ولا يعدون من المسلمين كما ذكر البغدادي فى الفرق بين الفرق .  
فرقتان :

اليزيدية : يدعون أن الله سيبعث رسولا من العجم ينزل عليه كتاب ينسخ  
شريعة محمد ﷺ .

الميمونية : أباحوا نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الإخوة والأخوات .  
وقالوا : لم يذكرهن القرآن ولم يعدوا سورة يوسف من القرآن الكريم .  
تتمة :

يعجب الإنسان المسلم من طائفتى الشيعة والخوارج . فقد نشأت كل طائفة  
منهما فى ظل الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . والطائفتان فى مبادئهما  
وأفكارهما تخالفان مبادئ وفكر الإمام على رضى الله عنه . فهو لا يرضى عن فكر  
هؤلاء ولا هؤلاء .

وعلى كل حال لم تتأصل مذاهب فرق كل طائفة – رغم بدو بعض مبادئ  
الخوارج – إلا بعد وفاة الإمام على كرم الله وجهه . ولو أنهما أظهرتا أفكارهما  
لقاومهما الإمام . لأن بعض هذه المبادئ تتعارض مع صريح النص فى القرآن  
والسنة .

وأتوجه إلى الله تعالى أن يؤلف بين قلوب المسلمين وأن يجمعهم على قلب  
رجل واحد ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [ آل عمران : ١٠٣ ] سئل  
النبي ﷺ : ما حبل الله يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى  
الأرض » والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . والله ولى التوفيق .

## ولاية الإمام الحسن بن علي

بعد رحيل الإمام علي كرم الله وجهه إلى ربه عز وجل . بايع شيعته ابنه الإمام : الحسن رضي الله عنهما وكان أول المبايعين : قيس بن سعد بن عبادة فقال له : ابسط يدك أبايعك علي كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ . وقتال المخَلين . فقال له الحسن : لا يريد القتال ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ثم يدخل في الجماعة .

وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافق علي رأيه فعزله . وعين بدلا منه : عبد الله بن عباس ولما علم عبد الله بن عباس ما يريده الإمام الحسن . كتب إلى معاوية يسأله الأمان ويشترط لنفسه فأجابته إلى ذلك معاوية .

ثم خرج الحسن بالناس حتى نزل المدائن . وبعث قيس بن سعد علي مقدمته في إثني عشر ألفا وأقبل معاوية في أهل الشام ونزلوا بمكان .

ونادى منادى بعسكر الإمام الحسن ألا إن قيس بن سعد قد قتل . فأنفروا . فنفر الناس ونهبوا سرداق الحسن حتى نازعوه بساطا كان تحته .

وخرج الحسن حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن . ولما رأى تفرق شيعته بعث إلى معاوية يطلب الصلح . وبعث معاوية إليه : عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة بن جندب فقدا علي الحسن بالمدائن فأعطياه ما أراد وصلحاه .

ثم قام الحسن في أهل العراق فقال : ( يا أهل العراق . إنه يسخرني نفسي عن الإمارة ثلاث قتل أبي . وانتهاج سرداقي . ومنازعتي بساطا كان تحتي ) .

ثم دخل الناس في طاعة معاوية رضي الله عنه . ودخل معاوية الكوفة وقد كتب إليه الإمام الحسن في الصلح وطلب الأمان .

ثم قال لأخيه الحسين وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب . إني كتبت إلى معاوية في الصلح فقال له الحسين : نشدتك الله أن تصدق أحدوثة معاوية . وتكذب أحدوثة علي فقال له الحسن : اسكت فانا أعلم منك .

وما أنتهى أمر الصلح وأخبر الحسن بذلك مرافقيه قام قيس بن سعيد فى الناس فقال: يا أيها الناس اختاروا إما الدخول فى طاعة إمام الضلالة - أنزه فى عن هذا القول - وإما القتال مع غير إمام فقالوا: بل نختار أن ندخل فى طاعة إمام ضلالة ولا نقاتل مع غير إمام.

ثم بايعوا معاوية فتركهم قيس بن سعد وانصرف لحاله.

وفى عام أربعين للهجرة اجتمع الناس على إمام واحد هو أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما وتحققت نبوءة رسول الله ﷺ - وهو يشير إلى الحسن - (ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين متقاتلين من أمتى) وبذلك كانت الخلافة النبوية ثلاثين عاما.

ورضى الله عن على وبنيه. لقد خذلتهم شيعتهم وكفرتهم الخوارج وبكى من أجلهم أهل السنة ويستغفرون لهم محبة فى الله ومحبة فى رسوله ومحبة فيهم رضى الله عنهم وأرضاهم.

### بيت على

تزوج على بن أبى طالب كرم الله وجهه كلا من:

١ - السيدة: فاطمة الزهراء رضى الله عنها. وهى أول زوجاته ولم يتزوج عليها وتوفيت عنده. وكان له منها الحسن والحسين ومحسن - مات رضيعا - وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى وهى زوج عمر بن الخطاب.

٢ - أم البنين بنت حزام. فولدت له: العباس وجعفر وعبد الله وعثمان.

٣ - ليلى بنت مسعود التميمية. فولدت له: عبد الله وأبا بكر.

٤ - أسماء بنت عميس الخثعمية. فولدت له: يحيى ومحمدا الأصغر.

٥ - الصهباء بنت ربيعة (أم ولد) فولدت له: عمر ورقية.

٦ - أمامة بنت أبى العاص وأمها: زينب بنت رسول الله ﷺ فولدت له:

محمدا الأوسط.

٧ - خولة بنت جعفر الحنفية فولدت له : محمدا . الشهير بابن الحنفية .

٨ - أم سعيد بنت عروة بن مسعود فولدت له : أم الحسين ورملة الكبرى .

٩ - محياة بنت امرئ القيس الكلبية ولدت له : جارية ماتت صغيرة .

وكان له بنات أمهاتهن أمهات أولا شتى هن : أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى . ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى . وفاطمة . وأميمة . وخديجة وأم الكرام وأم سلمة . وأم جعفر . وجمانة ونفيسة وكان النسل من ولده الخمسة : الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية . والعباس وعمر .

( أربعة عشر ذكرا وثمانية عشر بنتا وتسع زوجات . وأمهات أولاد ) .

\* \* \*

## خاتمة الكتاب (عدالة الصحابة رضي الله عنهم)

لقد اكرم الله سبحانه وتعالى صحابه النبي ﷺ وآله وصحبه وسلم . فوصفهم بصفات إيمانية عظيمة . واثنى عليهم بعبارات . ومدحهم بإشارات لم يحظ بمثلها أصحاب من سلف من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم . واعطاهم من الفضل والإحسان ما لم يعط مثله حواري وأنصار المصطفون الأخيار من أسلاف المصطفى ﷺ .

ورد ذلك في آيات كثيرة في القرآن الكريم وروى في السنة المحمدية الشريفة .

ولقد قدم هؤلاء الأصحاب الكرام لدينهم – نشرا ودفاعا وإيمانا وعملا – ما جعلهم في محل الرضا والتوبة والثوبة والكرامة .

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾

[الفتح : ١٨]

وقال عز وجل : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة : ١٠٠]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾

[التوبة : ١١٧]

وصفهم الله عز وجل بالإيمان . وأكرمهم بالرضا وإنزال السكينة عليهم . وجعلهم المصطفين الأخيار وهم خيار الخلق بعد الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم . وهم شهداء الله تعالى في أرضه . الظاهرون بالحق على الخلق . أقاموا الدين . وحافظوا على تراث النبيين . ونشروا العدل والسلام . وأقاموا الحجة والبرهان . كانوا رهبانا في الليل وفرسانا في النهار . وفتحوا البلاد والأمصار ورفعوا

عليها رايات الإسلام عالية خفاقة وحققوا لأهل الأرض الأمن والأمان والسلامة في ظل الإسلام وعدالته . أولئك حزب الله . وحزب الله هم المفلحون ولقد نزع الله تعالى من قلوبهم الغل والحقد والحسد . وجعلهم إخوة متحابين متعاونين راشدين فجاءت لهم البشارة والإكرام من العليم العلام على لسان النبي وفي القرآن . رضى الله عنهم ولم يسلم هؤلاء الكرام من السنة الحاقدين والجاحدين والجاهلين والأفاكين . من الشيعة والخوارج الذين حكموا بالكفر على بعضهم وبالفسق على أكثرهم والهجوم بالنقد والتجريح والتنقيص لغالبيتهم . وتبعهم فى هذا بعض العلماء والكتاب من أمثال :

ابن تيمية - غفر الله له - الذى انتقص من قدر الإمام على كرم الله وجهه فى عبارات قبيحة وقاسية فى كتابه (منهاج السنة) مما لست أذكره هنا رعاية لمقام الصحابة . ورفعة قدر علىّ وعلو مكانته والأستاذ العقاد فى (عبقريّة الإمام على) حمل حملة شعواء ناقداً ومنقصاً لعلى ومعاوية وعمرو وطلحة والزبير وعائشة . وكذلك الأستاذ خالد محمد خالد فى كتابه (خلفاء حول الرسول) متشيعاً للإمام على وناقماً ومنقصاً للطرف الآخر . فهؤلاء وغيرهم من الكتاب والمتحدثين كثير قد نالوا من بعض الأصحاب الكرام . فى قراءة لروايات مزورة ومقالات تافهة لبدو من الخوارج والشيعة تعج بها كتب التاريخ الإسلامى الذى لم يدون إلا فى العصر العباسى بعد سقوط دولة الأمويين .

والمسلم الواعى العاقل هو الذى يسلك مسلك أئمة وأعلام السلف الصالح من علماء أهل السنة والذى يتمثل فيما يلى :

١ - الاعتماد على الروايات التاريخية الصحيحة وهى كثيرة فى كتب التاريخ نفسها التى تورّد الروايات المزيفة . لأن المؤرخين قبل ابن خلدون كانوا رواة يسردون الروايات ولم ينظروا فيها نظرة نقد وتحرى .

٢ - يجب أن لا يغيب عن وعى الباحث ما أورده القرآن الكريم وما روى فى السنة الشريفة من إثبات عدالة الصحابة وبيان فضلهم .

٣- الصحابة مجتهدون . والمجتهد يخطئ ويصيب وهو مثاب من ربه في الحالاتين . فهم معذورون .

٤ - أن يظن بهم خيرا ويكل أمرهم إلى الله عز وجل . مثل ما كان يفعل السلف كما عبر عنه الخليفة الراشد الزاهد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في قوله : ( تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها السنننا ) .

وقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : ( تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما قد أسرفت فيه . وتلك دماء طهر الله أيدينا منها فلا نخضب السنننا بذكراها ) .

وقول الإمام الشافعي رضي الله عنه في رسالته القديمة (١) .

( وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل . وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضائل ما ليس لأحد بعدهم . فرحمهم الله تعالى وهنأهم بما آتاهم من ذلك . ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين . هم أدوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه . فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاما وخاصا وعزما وإرشادا وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا . وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل . وأمر استدرك به علم واستنبط به . وآراؤهم لنا أحمد . وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا )

ولما سمع الشافعي شتما لأصحاب رسول الله ﷺ قال : ( ما رى الناس ابتلوا بشتم أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم . إلا ليزيدهم الله بذلك ثوابا عند انقطاع عملهم ) وفي رواية : إلا ليجرى الله عز وجل لهم الحسنات وهم أموات (٢) .

وقال أبو زرعة رحمه الله : ( إذا رأيت الرجل ينقص أحدا من أصحاب

(١) مناقب الإمام الشافعي للبيهقي : ١ / ٤٤٢ .

(٢) مناقب الإمام الشافعي للرازي : ١٣٦ .

رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق. وذلك: أن رسول الله ﷺ حق. والقرآن حق. وما جاء به حق. وإنما أدى إلينا ذلك كله: الصحابة رضی الله عنهم. وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا. ليبطلوا الكتاب والسنة. والجرح بهم أولى. وهم زنادقة).

وعن عبد الله بن عمر رضی الله عنهما أنه: سمع رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين. فقرأ عليه: (للفقراء المهاجرين) الآية. فقال: هؤلاء المهاجرون. أفانت منهم؟ قال: لا. ثم قرأ عليه. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر: ٩] الآية. فقال: هؤلاء. الأنصار. أفانت منهم؟ قال: لا ثم قرأ عليه ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠] الآية. ثم قال: أضمن هؤلاء أنت؟

قال: أرجو. قال: (لا. ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء).  
وفى رواية: (لا والله. ما يكون منهم من يتناولهم. وكان فى قلبه الغل عليهم) (١).

وعن عائشة رضی الله عنها قالت: (أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم) ثم قرأت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] (٢).

وروى عن على زين العابدين رضی الله عنه. وقد جاء إليه نفر من العراق. فسبوا أبا بكر وعمر رضی الله عنهما. ثم عثمان رضی الله عنه. فأكثروا. فقال لهم: أومن المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا: لا. فقال: أضمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؟ قالوا: لا.

فقال: قد تبرأتم ثم من هذين الفريقين. وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] قوموا. فعل الله بكم وفعل (٣).

(١) الدر المنثور: ٨/ ١١٣، ١١٤. (٢) فتح القدير: ٥/ ٢٠٣.

(٣) تفسير القرطبي: ١٨/ ٣١، ٣٢.

لقد شهد القرآن الكريم والسنة الشريفة وإجماع علماء الأمة بعدالة الصحابة رضی الله عنهم فلا يجوز لاحد ما من الناس أن ينال منهم ولو بأدنى درجات اللوم . بل علينا أن نحسن الظن بهم حتى من لابس الفتنة منهم بعد النبي ﷺ . لأن من وقع فيها فهو - كما قال ابن كثير رحمه الله - منهم ما وقع من غير قصد كيوم الجمل . ومنهم ما كان عن إجتهد كيوم صفين والاجتهاد يخطئ ويصيب . ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ . وما جور أيضا . وأما المصيب فله أجران إثنان والله أعلم .

ويقول إمام الحرمين رحمه الله : ومن أقوى ما يعتصم به على الجاحدين المعاندين سيرة رسول الله ﷺ فإنه كمن يعرف أهل النفاق بأعيانهم . لا يخفى عليه مضمحل شقاق بينهم . وقد سماهم بأعيانهم لصاحب سره ومؤتمنه : حذيفة ابن اليمان رضی الله عنهما . وكان عليه وآله الصلاة والسلام يبجل أهل الإخلاص منهم . وينزلهم منازلهم . ويحل كلا على خطره في مجلسه مزكّين أبراراً وكان رسول الله ﷺ يعتمدهم في نقل آثاره وأخباره . ويسألهم عن أخبار . غابت عنه . وكانوا عنده ﷺ ناقلين ومخبرين ، واشتهر ذلك من سيرته ﷺ فيهم . وكان ذلك مسلكا قاطعا في ثبوت عدالتهم بتعديل الرسول ﷺ إياهم عملا وقولا . ثم قال : فقد ثبت تعديلهم بنصوص الكتاب وسيرة الرسول عليه وآله الصلاة والسلام . واتفاق الصحابة والتابعين وأئمة الحديث رضی الله عنهم أجمعين . ولا احتفال بعد ذلك بمطاعن النابغة الثائرين بعد انقراض الأئمة الماضين (١) . أ . هـ .

وروى الإمام البيهقي رحمه الله في تفسيره : قال : قال الإمام الشعبي رحمه الله : ( تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة :

سئلت اليهود : من خير أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب موسى .

وسئلت النصارى : من خير أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب عيسى .

(١) فضائل الصحابة الكرام : ٤٦٦ .

وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد ﷺ. امروا بالاستغفار لهم. فسبوهم... إلخ).

ويقول الإمام مالك رضى الله عنه عن هؤلاء السبئيين والزنادقة الذين ظهروا فى العصر العباسى الأول بقول وفعل أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى.

(إنما هؤلاء أرادوا القدح فى النبى ﷺ فلم يمكنهم ذلك. فقدحوا فى أصحابه حتى يقال: رجل سوء - حاشاه أبى وأمى - ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين) وهكذا يطعن السبأيون. ومعهم زنادقة الفرس الذين جلبتهم الدولة العباسية على النبى ﷺ وصحابته الكرام البررة.

ونحن - بحمد الله تعالى - ندين بحب الله ورسوله ونؤمن بعدالة الصحابة ونستغفر لهم ونعذرهم ونظن بهم خيرا. وندفع عنهم أى اتهام ما حيننا. ولا نكفر أحدا من المسلمين مهما كان توجهه ما دام هو يؤمن بالله ورسوله وقرآنه ويعرف للصحابة قدرهم وفضلهم رضى الله عنهم. ولنا فى هذا المقام رجاء:

لقد تداعت الأمم على الأمة الإسلامية كما تداعى الأكلة إلى قصعتها وثبت بذلك معجزة الصادق المصدوق ﷺ. وزيفت الاتهامات من هنا وهناك ضد الإسلام والمسلمين وتعمد فى هذه الأيام حوارات بين أتباع الأديان وخاصة المسيحية والإسلام.

ألا يكون ذلك ادعى لأن تخلص النيات وتصدق العزائم وتعمد محاورات بناءة ولقاءات جادة بين طوائف الأئمة الإسلامية (أهل السنة والشيعة والخوارج) ومن سلك مسلكهم. لأن الذين يتربصون بالمسلمين لن يميزوا بين السنة والشيعة ولا بين الخوارج والسنة ولا بين الشيعة والخوارج فالخطر وارد والعدو بالإسلام حاقد وجاهل. ويملك القدرة العلمية التكنولوجية والعسكرية إلا من جهود مخلصه لإنقاذ الأمة من كبوتها لتأخذ الحيطة والحذر من يتوعدها بالويل والثبور وخصوصا اليهود الذين ارتفع سهمهم وأصبحوا هم الذين يوجهون ويخططون للعواصم الكبرى فنحن إما أن نكون أمة عزيزة مرهوبة الجانب. نعزدين الله

وندافع عن العقيدة والأرض والمقدسات فنظفر بالكرامة فى الدين والدنيا . أو لا نكون فنذهب غير ما سوف علينا . وسوف يسألنا ربنا عم قدمت أيدينا . وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحابه الكرام البررة  
وانصر المؤمنين من عبادك نصرًا تحمى به الدين والعابدين والأوطان  
وآخر دعوانا أجمع الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

رمضان أحمد عبد ربه عصفور

كبير الأئمة بوزارة الأوقاف

## أهم مصادر الكتاب ومراجعته

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - فتح الباري الإمام ابن حجر العسقلاني
- ٣ - شرح مسلم الإمام النووي
- ٤ - تحفة الأحوزي شرح من الترمذي المباركفوري
- ٥ - الجامع لأحكام القرآن الإمام القرطبي
- ٦ - تفسير القرآن العظيم الإمام ابن كثير
- ٧ - تفسير النسفي الإمام أبو البركات النسفي
- ٨ - تفسير القرآن العظيم الإمام أبو حاتم الرازي
- ٩ - الدر المنثور الإمام السيوطي
- ١٠ - إحياء علوم الدين الإمام الغزالي
- ١١ - معرفة السنن والآثار الإمام البيهقي
- ١٢ - مناقب الشافعي الإمام البيهقي
- ١٣ - أحكام القرآن للشافعي الإمام البيهقي
- ١٤ - اعلام الموقعين ابن القيم
- ١٥ - زاد المعاد ابن القيم
- ١٦ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ابن القيم
- ١٧ - الطبقات الكبرى الإمام الشعرائي
- ١٨ - نور الأبصار الشبلنجي
- ١٩ - الشيعة في عقائدهم وأحكامهم السير أمير الكاظمي
- ٢٠ - دولة الإمام علي محسن الموسوي
- ٢١ - علي إمام الأئمة أحمد حسن الباقوري
- ٢٢ - علي إمام المتقين عبد الرحمن الشرقاوي
- ٢٣ - فضائل الصحابة الكرام خليل إبراهيم العزامي

الإمام النسائي	٢٤ - علي بن أبي طالب
القاضي أبو بكر بن العربي	٢٥ - العواصم من القواصم
الحب الطبرى	٢٦ - الرياض النضرة
المسعودى	٢٧ - تاريخ المسعودى
ابن جرير الطبرى	٢٨ - تاريخ الطبرى
عبد الرحمن بن خلدون	٢٩ - مقدمة ابن خلدون
الإمام ابن حزم	٣٠ - الفصل
الشهر ستانى	٣١ - الملل والنحل
محمد رواس قلعة جى	٣٢ - فقه على
محمد أبو زهرة	٣٣ - تاريخ المذاهب الإسلامية
المؤلف	٣٤ - قضايا إسلامية معاصرة
المؤلف	٣٥ - مشارق الأنوار
المؤلف	٣٦ - الإمام الشافعى فقيها ومحدثا
د. سعاد ماهر	٣٧ - مشهد الإمام على فى النجف
عبد الستار الشيخ	٣٨ - الخلفاء الراشدون
عبد الوهاب النجار	٣٩ - الخلفاء الراشدون
محمد الخضرى	٤٠ - إتمام الوفا
خالد محمد خالد	٤١ - خلفاء حول الرسول
د. طه حسين	٤٢ - على وبنوه
عباس العقاد	٤٣ - عبقرية الإمام على
الشرىف الرضى	٤٤ - نهج البلاغة
سید سابق	٤٥ - فقه السنة
ابن قدامه المقدسى	٤٦ - المغنى
السيوطى	٤٧ - الاتقان
الإمام ابن حجر	٤٨ - الإصابة
ابن عبد البر	٤٩ - الاستيعاب

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	إهداء.....
٥	مقدمة.....
٧	فضل الصحابة رضى الله عنهم.....
١١	فضل الصحابة فى القرآن والسنة.....
١٦	فضل على بن أبى طالب رضى الله عنه.....
٢٢	ابن عم رسول الله ﷺ.....
٢٦	صفات الإمام وأوصافه.....
٣٢	إسلام على.....
٣٥	فى صحبة الرسول ﷺ.....
٣٦	الهجرة إلى المدينة المنورة.....
٤١	الزواج المبارك.....
٤٦	جهاد على ومشاهده مع رسول الله ﷺ.....
٦٣	إمام المتقين ورائد السالكين.....
٧١	إمام الأئمة وشيخ العلماء.....
٧٤	العناية بالقرآن الكرم.....
٧٧	السنة النبوية الشريفة.....
٨٢	علم الكلام.....
٨٧	الفقه والقضاء.....
١٠٤	الإمام والتصوف.....
١١٠	الإمام ولغة العرب وآدابها.....
١١٥	إن من البيان لسحرا.....
١٢٠	أمير المؤمنين.....

## الموضوع

الصفحة

١٢٠	(١) قضية الخلافة.....
١٢٦	(٢) رابع الراشدين.....
١٣٧	خلافته.....
١٥٥	(٣) الإمام والفتنة.....
١٧٩	إلى الشام ووقعة صفين.....
١٨٧	التحكيم.....
١٩٣	على والخوارج.....
٢٠١	وداعا . أبا الحسن.....
٢٠٥	وصية على لأولاده.....
٢٠٧	وفاة الإمام والقصاص.....
٢٠٩	على بين الغلاة والقلادة.....
٢٠٩	(أولا) الشيعة.....
٢١٢	(ثانيا) الخوارج.....
٢١٥	ولاية الإمام الحسن بن على.....
٢١٦	بيت على.....
٢١٨	خاتمة: عدالة الصحابة رضى الله عنهم.....
٢٢٥	أهم مصادر الكتاب ومراجعته.....

\* \* \*

رقم الإيداع : ٨٢٩٢ / ٢٠٠٢